

# **THE BOOK WAS DRENCHED**

**TIGHT BINDING BOOK**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190471**

UNIVERSAL  
LIBRARY







دار الكتب المصرية

# نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين محمد بن علي بن النعمان

السفر الرابع

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٣ - ١٩٢٥ م



# فهرست

السفر الرابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوري

## الباب الثالث :

صحيفة

- ١ ... .. في المجون والنوادر والمكاهات والملح
- ٣ ... .. ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٣ ... .. ذكر من أشتهر بالمزاح من الصحابة رضوان الله عليهم
- ٧ ... .. ذكر شيء من مجون الأعصاب
- ٨ ... .. ذكر شيء من نوادر القضاة
- ١٣ ... .. ذكر شيء من نوادر النحاة
- ١٤ ... .. ذكر شيء من نوادر المتنبيين
- ١٦ ... .. ذكر شيء من نوادر المغفلين والحمقى
- ١٧ ... .. ذكر شيء من نوادر النبيذيين
- ١٨ ... .. ذكر شيء من نوادر النساء والجواري
- ٢٣ ... .. ذكر شيء من نوادر العميان
- ٢٣ ... .. ذكر شيء من نوادر السؤال



صفحة

٢٤	ذ كرشىء من نوادر من أشهر بالمجون
٢٥	ذ كرشىء من نوادر أشعب وأخباره
٣٧	ذ كرشىء من نوادر أبى دلالة
٤٨	ذ كرشىء من نوادر أبى صدقة
٥٢	ذ كرشىء من نوادر الأقيشر
٥٦	ذ كرشىء من نوادر ابن سيابة
٥٨	ذ كرشىء من نوادر مطيع بن إياس الكنائى وأخباره
٦٣	ذ كرشىء من نوادر أبى الشبل
٦٦	ذ كرشىء من نوادر حمزة بن بيض الحنفى
٦٩	ذ كرشىء من نوادر أبى العيلاء عفا الله عنه
٧٣	ذكر ماورد فى كراهة المزج
٧٥	ذ كرشىء من الشعر المناسب لهذا الباب والداحل فيه

### الباب الرابع :

٧٦	فى الخمر وتحريمها ، وأقائها ، وجناتها ، وأسمائها ، وأخبار من تنزه عنها فى الجاهلية ، ومن حد فيها من الأشراف ، ومن أشهر بها ، وليس نوب الخلعة بسببها ، وما قيل فيها من جيد الشعر . وما قيل فى وصف آلاتها وآيتيها ، وما قيل فى مبادرة اللذات ، وما وصفت به المجالس ، وما يحرى هذا المحرى
٧٦	ذكر ما قيل فى الخمر وتحريمها
٨١	وأما ماورد فى تحريمها فى كتاب الله وبيته السنة
٨٢	ذكر ما قيل فى إباحة المطبوع

صيفة

- ٨٣ ... ذكر آفات الخمر وجناتياتها ...
- ٨٦ ... ذكر أسماء الخمر من حيث تعصر الى أن تشرب ...
- ٨٨ ... ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترقعا عنها ...
- ... ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها ولبس
- ٨٩ ... فيها ثوب الخلاعة ومن آفتخر بشربها ...
- ٨٩ ... فأما من حدّ فيها من الأشراف ...
- ٩١ ... وأما من شربها منهم وأشتهر بها ...
- ١٠٢ ... وأما من آفتخر بشربها وسبائها ...
- ١٠٦ ... ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر ...
- ١٠٦ ... فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها ...
- ١٠٧ ... ومما قيل في وصفها وتسببها ...
- ١١١ ... وأما ما قيل في أفعالها ...
- ١١٢ ... وأما ما وصفت به عمر ما قدماء ...
- ١١٤ ... ومما قيل فيها إذا مزجت بالماء ...
- ١١٧ ... ذكر ما قيل في مصادره اللذات ومجالس الشراب وطبها ...
- ١١٨ ... ومما وصفت به مجالس الشرب ...
- ١١٩ ... ومما قيل في طيّ مجالس الشراب ...
- ١٢٠ ... ذكر ما قيل في وصف آلاب الشراب وأوانها ...
- ١٢١ ... ومما قيل في الراووق ...
- ١٢٢ ... ومما وصفت به زقاق الخمر ...
- ١٢٢ ... ومما وصفت به الأباريق ...
- ١٢٣ ... ومما وصفت به الكاسات والأقداح ...

## الباب الخامس :

صحة

في الدمان والسقاة ... .. ١٢٥

ومما قيل في السقاة ... .. ١٢٨

## الباب السادس :

في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما أستدل به  
من رأى ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ،  
ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم  
والأشراف والقواد والأكابر ، وأخبار المفتين الذين نقلوا الغناء من

الفرسية الى العربية ، ومن أخذ عنهم ، ومن أشهر بالغناء وأخبار القيان ١٣٢

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة ... .. ١٣٢

أما ما قيل في تحريم الغناء وما أستدل به من رأى ذلك .. .. ١٣٢

ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسماع والضرب بالآلة ... .. ١٣٦

ذكر ما أستدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية .. .. ١٣٧

وأما ما ورد في الضرب بالآلة ... .. ١٣٩

وأما ما ورد في البراع ... .. ١٤١

وأما ما ورد في القصص والأوتار ... .. ١٤٢

وأما ما ورد في المزامير والملاهي ... .. ١٤٤

ذكر ما ورد في توهين ما أستدلوا به على تحريم الغناء والسماع ... .. ١٤٥

أما ما أحتجوا به من الآيات ... .. ١٤٦

وأما ما أحتجوا به من الحديث ... .. ١٤٩

ذكر أقسام السماع وبواعثه ... .. ١٦٤

ذكر العوارض التي يحرم معها السماع ... .. ١٦٧

العارض الأول	١٦٨
العارض الثاني في الآلة	١٦٩
العارض الثالث في نظم الصوت	١٦٩
العارض الرابع في المستمع	١٧٠
العارض الخامس	١٧٠
ذكر آثار السماع وآدابه	١٧١
ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم	١٨٦
ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد	١٩١
ذكر من غنى من الخلفاء وأبنائهم ونسبت له أصوات من الغناء	
نقلت عنه	١٩٦
من غنى من الخلفاء	١٩٦
ومن غنى من خلفاء الدولة العباسية	١٩٧
وأما أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويد في هذا الفن	٢٠١
ذكر من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله	٢٢١
ذكر من غنى من الأعيان والأكابر والقواد ممن نسبت له صنعة في الغناء	٢٢٥
ذكر أخبار المقفين الذين نهلوا الغناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ	
عنهم ومن أشتهر بالغناء	٢٣٢
ذكر أخبار سعيد بن مسجح	٢٣٣
ذكر أخبار سائب خاثر	٢٣٧
ذكر أخبار طويس	٢٣٩
ذكر أخبار عبد الله بن سريح	٢٤٣
ذكر أخبار معبد	٢٥٥

صيفة

- ٣٦٠ ... ذكر أخبار الغريض وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ...
- ٣٧٣ ... ذكر أخبار محمد ابن عائشة ...
- ٣٨٠ ... ذكر أخبار ابن محرز ...
- ٣٨١ ... ذكر أخبار مالك بن أبي السمح ...
- ٣٨٥ ... ذكر أخبار يونس الكاتب ...
- ٣٨٦ ... ذكر أخبار حنين ...
- ٣٨٨ ... ذكر أخبار عبد الله أبي وهب المعروف بسياط ...
- ٣٩٠ ... ذكر أخبار عبيد الله بن القاسم الشهير بالأنجر ...
- ٣٩١ ... ذكر أخبار أبي زيد الدلال ...
- ٣٩٥ ... ذكر أخبار عطارد ...
- ٣٩٧ ... ذكر أخبار عمر الوادى ...
- ٣٩٨ ... ذكر أخبار حكم الوادى ...
- ٣٩٩ ... ذكر أخبار إسماعيل بن جامع ...
- ٣٠١ ... ذكر أخبار عمرو بن أبي الكثات ...
- ٣٠٤ ... ذكر أخبار أبي المهنا مخارق ...
- ٣١٢ ... ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكي ...
- ٣١٣ ... ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين ...
- ٣١٥ ... ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أمية ...
- ٣١٦ ... ذكر أخبار يزيد حوراء ...
- ٣١٩ ... ذكر أخبار ظبيح بن أبي العوراء ...
- ٣٢٠ ... ذكر أخبار إبراهيم الموصلى عفا الله عنه ...
- ٣٢٧ ... ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلى مع البرامكة رحمهم الله تعالى ...

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .

## الباب الثالث



من القسم الثالث من الفن الثاني

( في المجون والنوادر والفكاهات والملح )

وهذا الباب مما تجذب النفوس اليه وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحة للنفوس إذا تعبت وكَلَّتْ ، ونشاطا للخواطر إذا سَمِتْ ومَلَتْ ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح الى تنقل الأحوال ، فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ، ولا طفتها بالفكاهات في أحد الأزمان ، عادت الى العمل الجلد بنشطة جديدة ، وراحة في طلب العلوم مديدة .

١٠ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أَجِّحُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ ، وَأَتَمِّسُوا لَهَا طَرِيقَ الْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، وَالنَّفْسُ مُؤَثَّرَةٌ لِلْهَوَى ، آخِذَةٌ بِالْهَوَيْنَا ، جَانِحَةٌ إِلَى

(١) أي أريحهما من تعبهما .

اللهو ، أتمارة بالسوء ، مستوطنة بالعجز ، طالبة للراحة ، نافرة عن العمل ، فإن<sup>(١)</sup> أكرهتها أنصبتها، وإن أهملتها أدبتها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه . وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

- ٥ وقال هشام بن عبد الملك : قد أكلت الحلو والحامض ، حتى ما أجد لواحد منهما طعما، وشممت الطيب ، حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء، حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حائطا؟ فما وجدت شيئا ألد إلى من جليس تسقط بيني وبينه مروءة التحفظ .
- وقال أحمد بن عبد ربه : الملح زهة النفس ، وربيع القلب ، ومرتع السمع ، وجلب الراحة ، ومعين السرور . وقال أيضا : إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين ، فكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله ، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله ، فقال شمعون ليوحنا : ما أكثر ضحكك ! كأنك قد فرغت من عملك ! فقال له يوحنا : ما أكثر بكائك ! كأنك قد يئست من ربك ، فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام : أن أحب السيرتين إلى سيرة يوحنا .

- ١٥ والمرب إذا مدحوا الرجل قالوا : هو ضحوك السن ، بئام المشيآت، هش إلى الضيف ، وإذا ذمته قالت : هو عبوس الوجه ، جهم الحياء ، كره المنظر ، حامض الوجه ، كأنما وجهه بالخل منضوح ، وكأنما أسعط خيشومه بالخردل .
- وقيل لسفيان : المزاح هجنة ، فقال : بل سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق» ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) كذا بالأصل وفي المقد الفريد : فان أكرهتها أنصبتها ، وإن أهملتها أردبتها .

(٢) كذا بالأصل وفي المقد الفريد : بئام الثنآت .

### ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم  
 لرجل استعمله : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه  
 وسلم لامرأة من الأنصار : « ألحقى زوجك ففى عينه بياض » فسمت المرأة نحو  
 زوجها مرعوبة ، فقال لها : ما دهالك ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : إن فى عينك بياضا ، فقال : إن فى عيني بياضا لا لسوء . وأنته عجوز  
 أنصارية فقالت : يا رسول الله ، أدع لى بالمغفرة ، فقال لها : « أما علمت أن الجنة  
 لا يدخلها العُجُز ! » فصرخت ، فتهدم صلى الله عليه وسلم وقال لها : أما قرأت  
 (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أعرابي قد صلى صلاة خفيفة فلما قضاها  
 قال : اللهم زوجنى بالحدود العين ، فقال عمر : يا هذا ! أسأت التقى ، وأعظمت  
 الخطبة .

### ذكر من أشهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نعيمًا ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج  
 مع أبى بكر الصديق الى بُصْرَى وكان فى الجملة سُوَيْط ، وهو بدرى أيضا ، وكان  
 سُوَيْط على الزاد ، فجاء نعيمان ، فقال له : أطعمنى ، قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر ،  
 فقال نعيمان : والله لأغيطنك ، وجاء الى أناس جلبوا ظهرا ، فقال : آبتاعوا منى غلاما  
 عربيا فارها <sup>(١)</sup> إلا أنه دعاه لسان لعله يقول : أنا حرفان كنتم تاركه لذلك فدعوه ،



- لا تفسدوا على غلامى، قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص ، فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلمها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو ، فقالوا : قد اشتريناك ، فقال سويط : هو كاذب ، أنا رجل حر ، فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا فى عنقه جبلا ، وذهبوا به ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه ، فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردوا القلائص على أربابها وأخذوه ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك .
- منها حولا .

- ومن مزاحاته : أنه أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة عسل اشتراها من أعرابي ، وأتى بالأعرابي الى باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : خذ الثمن من هاهنا ، فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي : ألا أعطى ثمن عسلى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إحدى هتات نيمان ، وسأله : لم فعلت هذا ؟
- ١٠ فقال : أردت برك يارسول الله ، ولم يكن معى شيء ، فبسم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابي حقه .

- ومن مزاحاته أيضا : أنه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى ، وهو ضيرير ، فقال له : قدنى حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخر المسجد ، قال له : أجلس ، فجلس مخرمة ليبول ، فصاح الناس : يا أبا المسور ، أنت فى المسجد ، فقال :
- ١٥ من قاذى ؟ فقبل له : نيمان ، قال : لله على أن أضربه بعصاى إن وجدته ، فبلغ ذلك نيمان ، فجاء يوما فقال : لمخرمة يا أبا المسور ، هل لك فى نيمان ؟ قال : نعم ، قال : هو ذا يصلى ، وأخذ بيده ، وجاء به الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى ، فقال : هذا نيمان ، فعلاه مخرمة بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين ! فقال : من قاذى ؟ قالوا : نيمان ، فقال : لاجرم لا عرضت له بسوء أبدا .
- ٢٠

ومنهـم أبـن أبـى عـتيق ، وهـو عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الرحمن بن أبـى بـكر الصـديـق  
رضـى الله عنـهـم ، وكـان ذا ورع وعفاف وشرف ، وكـان كـثير المجـون ، ولـه نوادر  
مستظرفة ، منـها : أنه لـقـى عبـد الله بن عـمر بن الخطـاب رضـى الله عنـه فقال : ما تـقول  
فـى إنـسان هـجـانى بشـعر؟ وهـو

أَذْهَبَتْ مَالِكٌ غَيْرِ مَسْرُوكٍ \* فـى كَلِّ مَوْسِئَةٍ وَفـى الْخَمْرِ  
ذَهَبَ الْإِلَهِ بِمَا تَعِيشُ بِهِ \* وَبَقِيتَ وَحْدَكَ غَيْرَ ذَى وَفِرِّ

فقال عبـد الله بن عـمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح ، فقال له عبـد الله بن  
عـبـد الرحمن : والله أرى غير ذلك ، فقال : وما هو ؟ قال : أرى أن أنـيـكـه ، فقال  
أبـن عـمر : سبحان الله ما تترك الهزل ! وأقترقا ، ثم لقيه بعد ذلك ، فقال له : أتـدرى  
ما فعلت بذلك الإنسان ؟ فقال : أى إنسان ؟ قال : الذى أعلمتـك أنه هـجـانى ، قال :  
ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لى حر إن لم أكن نكته ، فأعظم ذلك عبـد الله بن  
عـمر وأضطرب له ، فقال له : أمرأتى والله التى قالت الشعر وهجنتى به ، وكانت  
أمرأته أُم إسماعيل بنت طلحة بن عبيد الله .

وقـد مـدح الشـعراء اللـعبَ فى موضعه ، كما مـدَحَ الجـدُّ فى موضعه ، فقال أبو تمام  
الجـدُّ شـيـمته وفيه فـكاهـة \* طـورا ولا جـدُّ لمن لم يـلعب

وقال الأبيـرد رحمة الله عليه

إذا جَدُّ عِنْدَ الْجَدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ \* وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّ أَلْمَاكَ بِاطِلُهُ

ومن مجـون عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الرحمن ، ما حـكى : أن جاريته قالت له :  
إن فلانا القارىء ، وكان يُظهِرُ النـسـك ، قد قطع على الطريق وأذانى ويقول لى :  
أنا أحبك ، فقال لها : قولى له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المتزل ، ففعلت

•

١٠

١٥

٢٠

- وأدخلته المنزل ، وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل ، ودخلت الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاحتلت فوثب إليها [ فاحتلمها <sup>(١)</sup> وضرب بها الأرض ، فدخل عليه ابن أبى عتيق وأصحابه ، وقد توركتها ففجل وقام وقال : يا فُسَّاق ، ما تَجْعَم هاهنا إلا لرية ، فقال له ابن أبى عتيق : أسر علينا ستر الله عليك ، ثم لم يرتدع عن العيث بها ، فشكت ذلك الى سيدها ، فقال لها : هيئي من الطعام طحن ليلة الى الغداة ، ففعلت ، ثم قال لها : عيديه الليلة ، فإذا جاء فقولى له : إن وظيفتى الليلة طحن هذا كله ، ثم أخرجى الى البيت وأتركه ، ففعلت ، فلما دخل طحنت الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدر الرضى حتى أتقند سيدى فإذا نام وأبنا أن يأتينا أحد ، صرت الى ما تحب ، ففعل ومضت الجارية الى مولاه ، وأمر ابن أبى عتيق عدة من مواباته أن يتراوحن على سهر الليلتين ويتفقدا أمر الطحن ويحثن عليه ، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن : يا فلانة إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كففت عن الطحن فيقوم إليك بالمصا كما داته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكففت عن الطحن ، فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن أجتهد فى العمل والجارية تستفقه وتقول له : استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير الى ما تحب وهو بطحن حتى أصبح وفرغ القمح فأنته الجارية بعد فراغه ، فقالت له : قد أصبح فاتج بنفسك ، فقال : أو قد فعلتها يا عدوة الله ؟ وخرج تعباً نصبا ، وأعقبه ذلك مرضا شديدا أشرف منه على الموت وعاهد الله أن لا يعود الى كلام الجارية ، فلم ترمه بعد ذلك شيئا تكرهه . قال : وتعيشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر فى الدار ووقع آخر وثالث ، فقال للجارية :

(١) الكلام الذى يتدنى هذا المريح [ ويضى فى صحيفة ١١ هذا المريح ] ساقط من الأصل وموجود بالنسخة الراجية .

أخرجني فانظري، أذنوا المغرب أم لا ؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة، وقالت : قد  
أذنوا وصلوا، فقال الرجل الذي كان عنده : أليس قد صلينا قبل أن تدخل الجارية ؟  
قال : بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرجعنا الى الغداة، أفهمت ؟ قال :  
نعم قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup>  
من رسول الى الثريا فإني \* ضقت ذرعا بهجرها والكاتب

فركب بغلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ الخليفة قيل له : أحرم، قال :  
هو الحاجة لا يحرم، وجاء حتى دخل على الثريا، فقال لها : أين عمك يقول  
\* ضقت ذرعا بهجرها والكاتب \*

ثم ركب بغلته وعاد .

### ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له، يقال لها زهرة، فقيل له : أيسرك أنك الخليفة  
وأن زهرة ماتت ؟ قال : لا والله تذهب الأمة وتضيع الأمة . وجد أعرابي امرأة  
وكان قبيح الصورة، فنظر فيها، فرأى وجهه فاستقبحه فرمى بها وقال : لشر ما  
طرحك أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال :  
لأنا يبيع كبده، ونعري جلده، ونطيل كده . وتزوج أعرابي على كبر سنه، فقيل له  
في ذلك، فقال : أبادره باليتم، قبل أن يبادرنى بالعقوق . ومرة أعرابي وفي يده  
دغيف برجل في يده سيف فقال : يعني هذا السيف بهذا الرغيف فقال : أجبون  
أنت ؟ فقال الأعرابي : ما أنكرت مني ؟ أنظر أيهما أحسن أثرا في البطن .

(١) أي وسخ الكاتب .

وحكى أن المهديّ خرج للصيد فطلبه فرسه حتى انتهى به إلى خباء لأعرابيّ، فقال :  
يا أعرابيّ، هل من قرى ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلة من مئة فاكلها وفضلة من  
لبن فسقاه، ثم أتى بنبيذ في زُكوة فسقاه قعباً، فلما شرب قال : أتدري من أنا ؟  
قال : لا والله، قال : أنا من خدم الخليفة ، قال : بارك لك الله في موضعك ،  
ثم سقاه آخر، فلما شربه، قال : أتدري من أنا ؟ قال : نعم زعمت أنك من خدم  
الخليفة، قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين، فقال له الأعرابيّ : رجبت بلادك  
وطاب مزادك ومزادك، ثم سقاه قدحا ثالثا، فلما فرغ منه قال : يا أعرابيّ،  
أتدري من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكني  
أمير المؤمنين ، فآخذ الأعرابيّ الزكوة فأكلمها وقال : والله لئن شربت الرابع لثقولن :  
إنك لرسول الله، فضحك المهديّ ثم أحاطت بهم الخيل ، فزل أبناء الملوك والأشراف ،  
فطار قلب الأعرابيّ فقال له المهديّ : لا بأس عليك وأمر له بصلة ، فقال : أشهد  
أنك صادق، ولو آدعت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابيّ على يزيد بن المهلب وهو على فرسه والناس سباطان فقال : كيف  
أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تحب ، فقال الأعرابيّ : لو كنت كما أحب كنت  
أنت مكاني وأنا مكانك فضحك يزيد .

### ذكر شيء من نواذر القضاة

قيل : أتى عدى بن أرطاة شريحا القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة  
ينحاصها إليه فلما جلس عدى بين يدي شريح، قال عدى : أين أنت ؟ قال : بينك

(٢) القَبْ : القدح الضخم .

(١) الزكوة بالنم : زُكوة لغير .

(٣) أركامها : رطلها .

وبين الحائط، قال : إني امرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد الدار، قال : وإني قدمت العراق ، قال : خير مقدم، قال : وتزوجت هذه المرأة، قال : بالرفاء والبتين، قال : وإنها ولدت غلاما ، قال : ليهنك الفارس، قال : وقد أردت أن ألقها إلى داري، قال : المرء أحق بأهله، قال : كنت شرطت لها دارها، قال : الشرط أملك، قال : أقض بيننا، قال : قد فعلت، قال : فعل من قضيت ؟ قال : على ابن أملك .

ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته، وكانت المرأة من أجمل النساء، فاختصا اليه، فأدلت المرأة بحجبتها، وقويت بيتها، فقال للزوج : هل عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول

فَتِنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا  
فَتَنَهُ بِدَلَالٍ \* وَتَخَطَّى حَاجِبِهَا  
قَالَ لِلْجُلُوزِ قَرَّ \* بِهَا وَقَدَّمَ شَاهِدَهَا  
فَقَضَى جُورًا عَلَى الْخِصَمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

١٠

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما نظر إلى تبسم، وقال

فَتِنَ الشَّعْبِيَّ لَمَّا \* رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

١٥

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين بما آتتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وما آتري به علي، قال : أحسنت .

وأحضر رجل امرأته إلى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المشقب، قبيحة المسفر، فمال القاضي لها على زوجها وقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيترجها

ثم يسئ اليها، ففطن الرجل لميله اليها، فقال : أصلح الله القاضي، قد شككت في أنها أمرأتى، فمرها تسفر عن وجهها، فوقع ذلك يوافق من القاضي، فقال لها : أسفري رحمة الله، فسفرت عن وجه قبيح، فقال القاضي لما نظر الى قبح وجهها : قومي عليك لعنة الله، كلام مظلوم، ووجه ظالم .

- قيل بينا رَقَبَة بن مَصْقَلَة القاضي في حلقتة، إذ مرّ به رجل غليظ العنق، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله، هذا أعبد الناس، فقال رَقَبَة : إني لأرى لهذا عنقا ما دقَّتْها العبادة، فقال : فضي الرجل وعاد قاصدا اليهم، فقال رجل لِرَقَبَة : يا أبا عبد الله، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبة، قال : نعم، أخبره أنت حتى تكون نيمة . ودخل رَقَبَة الى المسجد الأعظم فالتى نفسه الى حلقة قوم، ثم قال : قتيل فالودج رحمة الله، قالوا : عند من؟ قال : عند من حكم في الفرقة وقضى في الجماعة، يعني : بلال بن أبي بردة .

- وأختصم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز في مطرف خز وأتيجاني، وأدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأتيجاني لصاحبه، فدعا إياس بمشط وماء، فبّل رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما : سرح رأسك، فسرحه، فخرج في المشط غفر المطرف، وفي مشط الآخر غفر الأتيجاني فقال : يا خبيث! الأتيجاني لك، فأنقر، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى على من بأس إن أكلت تمرا؟ قال : لا، قال : فهل ترى على من بأس إن أكلت معه كَيْسُوه؟ قال : لا، قال : فإن شربت عليهما ماء؟ قال : جائز، قال : فلم تحرم السكر وإنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو صببت عليك ماء هل

كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فلو ثرت عليك ترابا هل كان يضرك؟ قال : لا ، قال : فإن أخذت ذلك غفلته وعجته وجعلت منه لبنة عظيمة فضررت بها رأسك هل كان يضرك؟ قال : كنت تهتلي ، قال : فهذا مثل ذلك .

دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فأتاه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال [ إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتجليلها قبل الصبح ، فقال : عجّلوها له ، قيل : إن الخازن في بيته ، والأبواب مغلقة ، فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة ، فلما دُعيتُ فصحتُ ، فقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السواد ، فقال : يا أمير المؤمنين ولم؟ وليس في بدني شيء أعز منه ، قال : وما هو؟ قال : السواد الذي في عيني .

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد فقال : لا أحرّمه ، ولكنني أكرهه ، قال : ولم؟ قال : لأنه لا تجلّ فيه عروس ، ولا يلقي فيه حريم ، ولا يكفن فيه ميت ، فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف ، وقال : ما تقول أنت في السواد؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور في السواد ، فاستحسن الرشيد ذلك ، ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين ، قال : وما هي؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به ، فاهتر الرشيد لذلك .

تتّم رجل إلى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني قاضي المعتمد ، وقتم أباه يطالبه بدين له عليه ، فأقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس والده ، فقال القاضي : هل لأبيك مال؟ قال لا أعلمه ، قال : فذ كم دايته بهذا المال؟ قال : منذ كذا وكذا ، قال قد فرضت عليك ثقة أهلك من وقت المدانة ، فحبس الابن وخلّى الأب .



كان عبد الملك بن عمر قاضي الكوفة، فجهاه هذيل الأثمعيّ بأبيات منها  
إذا ذات دلّ كلّته بحاجة \* فهم بأن يقضى تمنح أو سئل  
فكان عبد الملك يقول : قاتله الله، والله لربما جاءني النحنة وأنا في المتوضأ  
فأذكر ما قال فأردّها .

- وقيل شهد سامي الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل، فقال : هو— أصلحك  
الله— ناصبيّ، رافضيّ، قدريّ، مجريّ، يشتم المجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على  
عليّ بن أبي سفيان، فقال له جعفر : ما أدري على أي شيء أحسدك ! على علمك  
بالمقالات، أم على معرفتك بالأنساب ؟ فقال : أصلح الله الأمير، ما خرجت من  
الكتاب، حتى حذف هذا كلّه ورأى .
- وأسفني بعض القضاة وقد تُسببت إلى القاضي أبي بكر بن قُرَعة، ف قيل له : ما يقول  
سيدنا القاضي أيده الله في رجل باع حجراً من رجل فحين رفع ذنبها لقلبها، خرجت منها  
ريح مصوطة اتصلت بمحصة ففقت عين المشتري ؟ أفتنا في الدية والرد يرحمك الله،  
فأجاب : لم تجر العادة بمثل هذه البدائع، بين مشترٍ وبائع، فلذلك لم يثبت في كتب  
الفقهاء، ولم يستعمل في قنوى العلماء، لكن هذا وما شاكله يجري مجرى الفضول،  
المستخرج من أحكام العقول، والقول فيه— وبالله المصمة من الزلل والخلل — :  
أن دية ما جتته الجحر ملني في المذر عملاً بقول النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله  
الأطهار، « جرح العجاء جبار » لا سيما والمشتري عند كشفه لعورتها، استنار  
كأين سورتها، وعلى البائع لما أرتجاعها، وردّ ما قبض من ثمنها ، لأنه دلّس حجراً  
مضيقها منجنيقها، وإذا كانت السهام طائشة، فهي من العيوب الفاحشة، وكيف  
يتمتع ردها، وأغراضها نواظر الحدق، وقلما يستظهر المقلّبون الخليل بالدرق .

### ذكر شيء من نواذر النعاة

قدم رجلٌ من النعاة خصماً إلى القاضي، وقال : لي عليه مائتان وخمسون درهماً، فقال لخصمه : ما تقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي، الطلاق لازم له، إن كان له إلا ثمانية، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نحويّ .

ومرّ أبو علقمة بأعدال قد كُتِبَ عليها : رَبُّ سُلَمٍ لأبو فلان، فقال لأصحابه : لا إله إلا الله، يلحنون ويربحون .

وجاء رجل إلى الحسن البصريّ فقال : ما تقول في رجل مات، فترك أباه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه، فقال : ما لأباه وأخاه، فقال الحسن : ما لأبيه وأخيه، فقال الرجل : إني أراك كلما طأعتك تخالفني . وقيل سكر هارون بن محمد ابن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام في المضرب، فلما أنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه، وقال : يا هارون أنصرف، فقال : هارون لا ينصرف، فأعاد راشد القول على هارون، فقال هارون : سئل مولاك فهو يعلم أن هارون لا ينصرف، فسمع الموفق فقال : هارون لا ينصرف، فتركه راشد، فلما أصبح الموفق، وقف على أن هارون بات في مضربه، وقال : يا راشد، بيت في مضربي رجل لا أعلم به ؟ فقال : أنت أمرتني بهذا، فقلت : هارون لا ينصرف، فضحك، وقال : ما أردتُ إلا الإعراب وظننتُ أنت غيره .

وقيل : قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك فقيل له : تحفظ من مسامة فإنه يقول : لَأَنْ يُلْقِنِي رجلٌ بحجر أحبّ إليّ من أَنْ يَسْمِعَنِي رجلٌ لحناً، فأتاه العريان ذات يوم فسلم عليه، فقال له مسلمة : كم عطائك ؟ قال : ألفين، فنظر إلى رجل عنده وقال له : لحن العراقيّ، فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على

الريان ، وقال : كم عطاؤك ؟ فقال ألفان ، قال : ما الذى دلك الى الحسن أولا والإعراب ثانيا ؟ قال : لحن الأمير فكبرت أن أعرب ، وأعرب فأعربت ، فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

ووقف نحوى على بقال يبيع الباذنجان فقال له كيف تبيع ؟ قال : عشرين بدينق ، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدينق ؟ فقدر البقال أنه يستريده ، فقال ثلاثين بدينق ، فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ، فقال : وما عليك أن تقول : سبعون ؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبدا .

### ذكر شىء من نوادر المتنبيين

قيل : أدعى رجل النبوة فى أيام المهديّ ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بعثت ؟ فقال : ما تركتمونى أذهب الى من بعث اليهم ، فإني بعثت بالفداة وحبستمونى بالعشى ، فضحك المهديّ منه ، وأمر له بمحاضرة وخلّى سبيله .

وتبأ رجل وأدعى أنه موسى بن عمران ، فبلغ خبره الخليفة فأحضره وقال له : من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم ، قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال : نعم ، قال : فألقها من يدك وصرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى ، قال : قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاى ثعبانا كما فعل موسى ، فضحك الخليفة منه واستظرفه ، وأحضرت المائدة فقيل له : أكلت شيئا ؟ قال : ما أحسن العقل ! لو كان لى شىء آكله ، ما الذى كنت أعمل عندكم ؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .

وآذعت امرأة النبوة على عهد المأمون فأحضرت اليه ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا فاطمة النبية ، فقال لها المأمون : أقرمتين بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ، قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق ، فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لا نبي بعدى » قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لا نبيه بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أَمَا أَنَا فَقَدْ أَقْطَعْتُ ، فَن كَانَتْ عِنْدَهُ حِجَّةٌ فَلَيَاتِ بِهَا ، وَضَحِكَ حَتَّى غَطَّى عِلَّ وَجْهِهِ .

• وَأَدْعَى رَجُلٌ النُّبُوَّةَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا عَلَامَاتُ نُبُوتِكَ ؟ قَالَ : أَنْبِئَكُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، قَالُوا : فَمَا فِي أَنْفُسِنَا ؟ قَالَ : فِي أَنْفُسِكُمْ أَنِّي كَذَبْتُ وَلَسْتُ بِنَبِيٍّ .

وَتَبْنَا رَجُلًا فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ فَأَتَانِي بِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا مَعْجَزَتُكَ ؟ قَالَ : مَا شِئْتُ ، قَالَ : أَخْرِجْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ بَطِيخَةً ، قَالَ : أَهْمَلَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : بَلِ السَّاعَةُ أُرِيدُهَا ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْصَفْنِي ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَنْبِئُهَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، فَلَا تَقْبَلْهَا مِنِّي فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ! فَضَحِكَ مِنْهُ ، وَعِلْمُ أَنَّهُ مُحْتَالٌ فَاسْتَأْذَنَهُ وَوَصَلَهُ . ١٠

وَأَدْعَى آخَرَ النُّبُوَّةَ فِي زَمَانِهِ فطَالِبُهُ بِمَعْجَزَةٍ ، فَقَالَ : أَطْرَحُ لَكُمْ حَصَاةً فِي الْمَاءِ فَأَذِيبُهَا حَتَّى تَصِيرَ مَعَ الْمَاءِ شَيْئًا وَاحِدًا ، قَالُوا : قَدْ رَضِينَا ، فَأَخْرَجَ حَصَاةً كَانَتْ مَعَهُ فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَذَابَتْ ، فَقَالُوا : هَذِهِ حِيلَةٌ ، وَلَكِنْ أَذِيبْ حَصَاةً غَيْرَهَا نَأْتِيكَ بِهَا نَعْنُ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَا تَتَعَصَّبُوا فَلَسْتُمْ أَضَلُّ مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَلَا أَنَا أَعْظَمُ مِنْ مُوسَى ، وَلَمْ يَقُلْ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : لَا أَرْضَى بِمَا تَفْعَلُهُ بِعَصَاكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ عَصًا مِنْ عِنْدِي تَجْعَلُهَا ثِمْبَانًا ، فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ مِنْهُ وَأَجَازَهُ . ١٥

وَأَدْعَى رَجُلٌ النُّبُوَّةَ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَصِمِ ، فَأَحْضَرَيْنِ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : إِلَى مَنْ بُعِثْتَ ؟ قَالَ : إِلَيْكَ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْفِيهِ أَحَقُّ ، قَالَ : إِنَّمَا يَذْهَبُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ مِثْلُهُمْ ، فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ . ٢٠

وأدعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له : ما معجزتك؟ قال : سل ما شئت، وكان بين يديه قفل، فقال خذ هذا القفل فاقمعه، فقال : أصلحك الله، لم أقل إنى حدّاد، فضحك منه وأستتابه وأجازاه .

وأدعى آخر النبوة، فطلب ودعى له بالسيف والنطع، فقال : ما تصنعون؟ قالوا : تقتلك، قال : ولم تقتلوني؟ قالوا : لأنك أدعيت النبوة، قال : فليست أدعيها، قيل له : فأى شيء أنت؟ قال : أنا صديق، فدعى له بالسياط، فقال : لم تضربوني؟ قالوا : لأنك أدعيت أنك صديق، قال : لا أدعى ذلك، قالوا : فمن أنت؟ قال : من التابعين لهم بإحسان، فدعى له بالدرة<sup>(١)</sup>، قال : ولم ذلك؟ قالوا : لأنك أدعيت أنك صديق، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبي تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام، لا أقل مما تصبرون على إلى غد حتى أصير لكم ما شئتم .  
وأدعى آخر النبوة، وسمى نفسه نوحا، فنهاه صديق له عن ذلك، فلم ينته، فأخذه السلطان وصلبه، فتر به صديقه الذي كان ينهاه، فقال : يا نوح ! ما حصل لك من السفينة غير الدقل .

### ذكر شيء من نوادر المغفلين والحمقى

قال بعضهم : رأيت ابن خلف الهمداني في صحراء وهو يطلب شيئا، فقلت له : ما تبغي هاهنا؟ قال : دفنت شيئا ولست أهدى إليه، قلت : فهلا علمت عليه شيء؟ قال : جعلت علامتي قطعة من النعم كانت فوقه، وما أراها الساعة . ونظر مرة في الحب وهو الزير، فرآى وجهه، فعلا إلى أمته، فقال : يا أمي في الحب لص، بغاءت أمه وتطلعت فيه، فقالت : إني والله ومعه خبئة . ورئي في وسط داره

وهو يعدو عدواً شديداً ويقرأ بصوت عال، فسيئ عن ذلك، قال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد؛ ودخل إلى رجل يمزيه، قال عظم الله مصيبتكم، وأعان أخاك على ما يريد عليه من ياجوج وماجوج، فضحك الناس، فقال : تضحكون مما قلت، وإنما أردت هاروت وماروت .

• وقيل كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي، ليقيم بين القواعد والعميان والأيتام مالا، فدخل عليه أبو زياد التميمي، وكان مغفلاً، فقال أصلحك الله : أكتبني في القواعد، قال له : عافاك الله، القواعد من النساء اللاتي قصدن عن أزواجهن، فقال : فأكتبني في العميان . قال : آكتبوه منهم، فإن الله تعالى يقول : (فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) قال أبو زياد : وأكتب أبني في الأيتام، قال : نعم، من كنت أباه فهو يتيم .

١٠ وسئل بعضهم عن مولده، فقال : ولدت رأس الملال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام، فاحسبوا الآن كيف شتم .

### ذكر شيء من نوادر النبذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبذ : وجهت إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجدك، فقال : ذاك وقت لا أجده فيه نفسي .

١٥ وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الفداة والظهر، قالوا : فالمصر ؟ قال : نعرف وننكر، قالوا : فالمساء ؟ قال : ييلفها الجواد، قالوا : فالتمّة ؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

٢٠ شرب الأقيشر في حانوت تخار حتى نفذ ما معه، ثم شرب بقبابه وبقى عرياناً، فجلس في تين يستدفئ به، فترجل ينشد ضالة، فقال الأقيشر : اللهم أردد عليه،

وأحفظ علينا، فقال له الخمار : سحقت عينك، أى شئ يحفظ عليك ربك ؟ قال :  
هذا التبن، لئلا يأخذه صاحبه فأهلك من البرد .

وباع بعضهم ضيعة له، فقال له المشتري : بالعشى أشهد عليك، فقال : لو كنت  
من يفرغ بالعشى ما بعت ضيعتى .

### ذكر شئ من نوادر النساء والحوارى

قال رجل : قلت لجارية أريد شراءها : لا يُربِك شئى فلان عندى قوة ،  
فقال : أيسرك أن عندك عجوزا منتلمة ؟

أدخل على المنصور جاريّتان فأعجبناه، فقالت التى دخلت أولا : يا أمير المؤمنين،  
إن الله فضلى على هذه بقوله : ( وَالسَّاقُونَ وَالسَّالُونَ )، وقالت الأخرى : لا، بل  
الله فضلى عليها بقوله : ( وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ) .

وعُرض على المعتصم جاريّتان بكر وثيبٌ، فال إلى البكر، فقالت الثيب : ما بيننا  
إلا يوم واحد . فقالت البكر : ( وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) .

فيل لامرأة ظريفة : أكرأنت ؟ قالت : أعوذ بالله من الكساد .

وقال المتوكل لجارية أسترخصها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير  
المؤمنين .

وأسترخص رجل جارية فاستجح قدمها فقالت : لا تُبَالٍ، فإنى أجعلهما وراء  
ظهرك .

وقال الرشيد لنميص جاريته : إنك لبقيفة الساقين، قالت : أحوج ما تكون  
اليهما لا تراهما .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق : أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة ، وقد مضى شطر الليل ، قال : فأخرج جارية كأنها مَهْمَاءٌ ، فأجلسها في حجره ، ثم قال غنّيني ، فغنته

يَجْنُ من الروم وَقَالِقْلَا \* يَرْقُلْنَ في المِرْطُولِينَ الْمَلَا  
مُقَرَّطَقَاتٍ بصنوف الحُلَى \* يَاحِبِذَا الْبَيْضُ وتلك الحُلَى

فاستحسنه وشرب عليه ، ثم استؤذن للفضل بن الربيع فَأُذِنَ لَهُ ، فلما دخل ، قال : ما وراثة في هذا الوقت ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى لي الساعة سببٌ لم يميز كتمانهُ ، قال : وما ذاك ؟ قال أُخْرِجَ إلى في هذا الوقت ثلاثُ جوارٍ : مَكِّيَّةٌ ، ومَدِينِيَّةٌ ، وعِراقِيَّةٌ ، فقبضت المدينة على ذَكَرِي ، فلما أُنْظِرُ ، وثبتت المَكِّيَّةُ فقمعدتُ عليه . فقالت لها المدينة : ما هذا التعدي ؟ ألم تعلمي أن مالكا حقتنا عن الزهري عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا أرضا ميتة فهي له » ؟ فقالت الأخرى : أو لم تعلمي أن سُفْيَانَ حَدَّثَنَا عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصِّيدُ لمن صاده ، لا لمن أثاره » فدغستها العراقية عنه ، ووثبت عليه وقالت : هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا ، فضحك الرشيد ، وأمر بجلهين إليه ففعل وحظين عنده ، وفيه يقول

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآسَاتُ عَنَانِي \* وَحُلَّانُ من قلبي بِكُلِّ مَكَانٍ

طلبت جارية محمود الوزاق للعنصم بسبعة آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشترى له بعد ذلك من ميراثه بسعمائة دينار ، فذكر المعتمد ذلك لها ، فقالت :



إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهواته المواريث فسيمون ديناراً في ثمن كثير فكيف  
بسمعائه .

أقترح بعضهم على جاريته أن تفتي له

سرى وسرك لم يسمعهما أحد \* إلا الإله وإلا أنت ثم أنا

قالت : يا سيدى والقوادة لا تنساها فهى الأصل .

وأستعرض رجل جارية فقال لها : فى يدك عمل ؟ قالت : لا ، ولكن فى رجل .

وحكى أن بعض المجان كان يشق جارية أجمن منه ، فاضاق يوماً ، فكتب إليها :

قد طال عهدى بك يا سيدتى وأظفنى الشوق إليك ، فإن رأيت أن تستدركى رمى  
بمُضْغَةٍ طلك وتجعليه بين دينارين وتغذيه إلى لأستشفى به فعلت إن شاء الله ،  
ففعلت ذلك وكتبت إليه : ردُّ الظرف من الظرف ، وقد سارعتُ إلى إنفاذ  
ما طلبت فأنيم برد الطبق والمكبة ، وأستعمل النحر : استبدوا الهدايا برد الظرف .

وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها ، قالت : يا سيدى ، هذا ذهب وأخاف

أن تذهب ، ولكن خذ هذا المود حتى تعود .

وكتب رجل الى عشيقته : مرى خيالك أن يلم بى ، فكتبت اليه ، أبعث إلى

بلديارين حتى آتيك بنفسى .

قدم بعضهم عجوزاً دلالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى ، زوجتني هذه امرأة

فكلما دخلت بها ، وجدتها عرجاء ، قالت : أصلح الله القاضى ، زوجته امرأة

ييامها ، ولم أعلم أنه يريد أن يبيع عليها أو يسابق بها فى الحلبة أو يلعب عليها بالكرة

والصوبلان .

كتب رجل الى عشيقته رقة ، قال في أولها : عصمتا الله وإياك بالتقوى ،  
فكتبت اليه في الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعائك لم تلق أيدا .

قال عقيل بن بلال : سمعتي أعرابية أنشد  
وكم ليللة قد يتها غير آثم \* بمهزومة الكشحين ريانة القلب<sup>(١)</sup>

فقلت : هل لا أمت ؟ أخزأك الله !

كان أبو نواس يوما عند بعض إخوانه ، فخرجت عليه جارية بيضاء ، عليها ثياب  
خضر ، فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى ، فقالت : وما  
رأيت ؟ قال : ألك معرفة بعلم التعبير ؟ قالت : ولا أعرف غيره ، قال : رأيت كأنى  
راكب دابة شهباء ، وعليها جل أخضر ، وهى تمرح تحنى ، فقالت : إن صدقت رؤياك  
فستدخل بخللة . وقد روى أن هذه الحكاية أنحقت له مع عنان جارية النطاف . ١٠

وكان بعضهم جالسا مع أمراءه فى منظرة ، فتر غلام حسن الوجه ، فقالت : أعيذ  
هنا بالله ما أحسنه وأحسن وجهه وقده ! فقال الزوج : نعم لولا أنه خفى ،  
فقلت : لعنه الله ، ولعن من خصاه .

ولما زفت عائشة بنت طلحة إلى مصعب ، قال : والله لأقتلنها الليلة رجاء ،  
فواقعها مرة ونام فلم يتبها الى السحر ، فحركته وقالت : آتبه يا قتال . ١٥

قال أبو العيلاء : خطبت امرأة فاستبجنى ، فكتبت اليها  
فإن تنفري من قبح وجهى فإنى \* أريب أديب لا غنى ولا فدم

فأجابنى : ليس لديوان الرسائل أريدك .

(١) القلب بالضم : سوار المرأة .

وخطب ثُمَامَةُ العوفِيَّ امرأةً فسألت عن حِرْفَتِهِ ، فكتبَ إليها يقول

وسائلةٌ عن حِرْفِي قُلتَ حِرْفِي \* مقارعة الأبطال في كلِّ مازِي

وضرِي طُلَى الأبطال بالسيف معلما \* إذا زحف الصفان تحت الخوازيق

فلما قرأتِ الشعر ، قالت للرسول : قل له : فديتك أنت أسد فاطلب لك لبؤة ،

فإني ظلية أحتاج إلى غزال .

خرجت حُجَيُّ المَدِينَةُ في جوف الليل فلقبها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا

الوقت ؟ قالت : ما أبالي ، إن قُبِنِي شيطان فانا في طاعته ، وإن لُقِنِي رجل فانا

في طلبه ، وجاءت إلى شيخٍ يبيع اللبن ، فتحت ظرفاً فذاقته ، ودفعته إليه ، وقالت :

لا تجعل بشدة ، ثم فتحت آخر فذاقته ، ودفعته إليه ، فلما أشغلت يديه جميعاً ،

كشفت ثوبه من خلفه ، وجعلت تَصْنِفُ <sup>(١)</sup> بظاهِر قدميها أَسْتَه وخصييه ، وتقول :

يا ثاراتِ ذاتِ النحرينِ ، والشيوخِ يستغيث فلم يخلص منها إلا بعد جهد .

غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه اشترى جارية ، فاشتريت غلامين ، فبلغه ذلك ،

بجاء مبادراً ، وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرحي إلى بغيين أحوج من

البغل إلى رحلين ، ولكن مع الجارية حتى نبيع الغلامين ، ففعل ذلك ففعلت .

ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه اعتمَ ونظر في المرأة ، فقالت له امرأته :



كأنك قد هممت بِيَحْبِلَةِ امرأة ، قال : قد كان ذلك ، قالت : فإذا فعلت فاعلم أن

المرأة إلى رجلين أحوج من الرجل إلى امرأتين ، فتعص عِمتَه وترك ما كان قد هم به .

نظر المتوكل إلى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها ، فقال لها : إنك لَرَحَاءُ ،

فقالت يا أمير المؤمنين ، ما قصصناه من الطسيتِ زدنائه في المسينة <sup>(٢)</sup> .

(١) تصفُّقٌ : ضربٌ ، والصفق الضرب يُسمَّى له صوتٌ .

(٢) كذا بالأصل ولم تقف لها على معنى .

### ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيّابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمته إلا عوضه عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت ، لما الذي عوضك الله عن عينيك ؟ قال : قدّ النظر لبغض تهيل مثلك .

ونظير هذه الحكاية ، ما حكى عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض شائي ، فإذا أنا بأعمى على طاقه جرة ، وبیده سراج ، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر ، وملاً جرتّه وعاد ، قال : قتلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلك ، يستضيء به لئلا يثر في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العتاهية أن المتوكل يقول : لولا عمى أبي العتاهية لاستكثرت منه ، فقال : قولوا لأئير المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلّة ، ونظم الآلئ والبواقيت ، وقراءة نقوش الخواتيم ، فأنا لا أصلح لذلك ، وإن كان يريدني للحاضرة والمناكرة والمسامرة ، فهاهيك بي ، فاتهى ذلك إلى المتوكل فضحك منه ، وأمر بإحضاره فحضر وناداه .

تزوج بعض العميان بسوداء ، فقالت له : لو نظرت إلى حسنى وجملى وبياضى لأزدت في حبا ، فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركت لي البصر .

### ذكر شيء من نوادر السؤل

سأل أبو عرن رجلا فنعته ، فأخّ عليه فأعطاه ، فقال : اللهم أجربنا وإياهم ، نسألم إلفافا ويعطوننا كرها ، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يورحهم عليها .

(١) هكذا في الأصل . والذى في إحدى النسخ الخلية : الراحة من النظر...

وقف أعرابي سائل على باب وسأل ، فأجابه رجل وقال : ليس ها هنا أحد ، فقال : إنك لأحد لو جعل الله فيك بركة .

وقف سائل على باب ، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة ، فسمع السائل صوت بولتها فظنه شهيش المقل ، فقال : أطعمونا من هذا الذي تفلونه ، فضرطت المرأة وقالت : حطبنا رطبٌ ليس يُشعل .

وقف سائل على باب وقال : تصدقوا على فلاني جائع ، قالوا : إلى الآن لم نخبز ، قال : فكف سويق ، قالوا : ليس عندنا سويق ، قال : فشرية من ماء فلاني عطشان ، قالوا : ما أمانا السقاء ، قال : فسير دهن أجعله في رأسي ، قالوا : من أين لنا دهن ، فقال : يا أولاد الزنا ، فما قعودكم هنا ؟ قوموا وأتحنوا معي !

### ذكر شيء من نوادر من أشهر بالمجون

١٠

كان مُزَبَّدٌ ممن أشهر بالمجون والنوادر ، وله نوادر ، فنها قيل : إنه أخذه بعض الولاة ، وقد آتهم بالشرب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ، فقال : فيثوه ، فقال مزبد : ومن يضمن عشائي أصلحك الله ، فضحك منه وأطلقه . وهبت ريح شديدة فصاح الناس : القيامة ، القيامة ، فقال مزبد : هذه قيامة على الريق بلا دجال ، ولا دابة ، ولا القائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا يأجوج ومأجوج . وقيل له : لم لا تكون كفلانين ؟ ينون رجلا موسرا ، فقال : بأبي أتم ، كيف أشبه بمن يضرب فيُشمت<sup>(١)</sup> ، وأعطس فأعلم . وقيل له : ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو المنزل ، وحير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المقلب . ونظرت أمراته وهي حبل الى قبح وجهه ، فقالت : الويل لي ، إن كان الذي في بطني يشبهك ،

٢٠

(١) التشتيت بالثين المحبة والبن المهمة : الداء للعاطس .

فقال لها : الويل لك ، إن لم يكن يشبني . وسميع رجلا يقول عن ابن عباس : من نوى حجة ، وعاقه عائق ، كُتِبَ له ، فقال مزبد : ما خرج العام كراء أرخص من هذا . وحكى عنه : أنه جمع بين رجل وعشيته في منزله ، فعاتبها ساعة ومد يده اليها ، فقالت : ليس هذا موضعه ، فسمع مزبد قولها ، فقال : يا زانية ! فأين موضعه ، بين الركن والمقام ؟ هذه الدار ما بُنيت إلا للتعاطب والقيادة ، ولا آخذ ثمن أخشابها إلا من القمار ، ولا موضع أحقّ منها بهذا .  
ومن أشهر المجنون أشعب .

### ذكر شيء من نوادر أشعب وأخباره

- هو أشعب بن جبير ، وأسمه شُعَيْب وكُنيتُه أبو العلاء ، وأنه أُمّ الجَلندَح ، وقيل أُمّ حيد حبيدة<sup>(١)</sup> ، وهى مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها ، وكان أبوه قد خرج مع المختار بن أبي عبيد ، فأسره مصعب بن الزبير ، فقال له : ويلك ، تخرج على وأنت مولاي ؟ وقتله صبرا ، وقد قيل فى ولاته : إن أباه مولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وأن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب ، وإن ميمونة أُمّ المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فيستظرفنها ، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض ، وتغرى ببنهن ، فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت . وقد حكى عن أشعب : أنه جلس يوما فى مجلس فيه جماعة ، فتناخروا وذكروا كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتحدح به الناس ويتفاخرون ، فوثب أشعب ، وقال : أنا ابن أُمّ الجَلندَح ، أنا ابن أُمّ المحرّشة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ويلك ، أو بهذا يفخر الناس ؟ قال : وأى أفتخار أعظم
- (١) كذا بالأصل وعبرة الأغانى : كان يقال لأمه أم "الجلندح" وقيل أم جميل وأسمها حبيدة .

من هذا، لو لم تكن أمي عندهن ثقة لما قبلن روايتها في بعضهن بعضا . وقد حكى :  
 أنها زنت ، لحقت ، وطيف بها على جل ، فكانت تنادي على نفسها : من رآني فلا  
 يزني ، قالت لها امرأة : نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه ، ونطيعك ، وأنت  
 جلودة مخلوقة ، راكبة على جل . ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب ،  
 وكفله وتولت تربيته عائشة بنت عثمان ، وعمر أشعب عمرا طويلا . وحكى عنه  
 أنه قال : كنت مع عثمان رضي الله عنه يوم البار لما حُصر ، فلما جرد ماله  
 السيوف ، ليقاتلوا ، كنت فيهم ، فقال عثمان : من أغمد سيفه فهو حر ، فلما  
 وقعت في أذني ، كنت والله أقل من أغمد سيفه ، ففتكت ، وكانت وفاته بعد  
 سنة أربع وخمسين ومائة ، وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفان  
 رضي الله عنه .

١٠

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن المهدي عن عبيد  
 ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من  
 ممالك عثمان بن عفان ، وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت  
 في أشعب خلل ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه حشرة ، وأكثرهم نادرة ،  
 وكان أقوم أهل دهره بلجج المعترلة ، وكان أمرا منهم . وقال مصعب بن عبد الله :  
 كان أشعب من القراء حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نكح وغزا ، وقد روى  
 الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبي الزناد  
 في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المترلة . وقال إسحاق  
 ابن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يفتي أصواتا يمجدها ، وفيه يقول عبد الله  
 ابن مصعب الزيري عفا الله عنه

٢٠

إذا تمزّزت صُراحيّة<sup>(١)</sup> \* كمثل ربح المسك أو اطيبُ  
ثم تنسّى لى بأهزاجه \* زيد أخو الأنصار أو أشعبُ  
حببت أنى ملك جالس \* خفت به الأملاك والموكبُ  
وما أبالى وإله العلا<sup>(٢)</sup> \* أشرق العالم أم غروبوا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة ، وقد آن أن نذكرها ، فنها :  
ما حكى ، أنه كان يقول : كلبى كلب سوء ، يصبص للأضياف ، وينبح على أصحاب  
الهدايا ، وقيل له : قد لقيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو حفظت  
أحاديث تتحدث بها ! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث ، قيل : فحدثنا ، قال : حدثني  
عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ، قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل  
الجنة ، ثم سكت ، فقيل له : مات ما الخلتان ؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ، ونسيت  
أنا الأخرى ، وكان أشعب يتحدث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فيقول :  
حدثني عبد الله ، وكان يفضنى في الله ، وكان أشعب يلزم طعام سالم بن عبد الله  
ابن عمر رضى الله عنهم ، فأشتهى سالم أن يأكل مع بناته ، فخرج الى البستان ، بفاء  
أشعب الى منزل سالم على عادته ، فأخبر بالقصة فاكترى جملا بدرهم ، وجاء الى  
البستان ، فلما حاذى الحائط ، وثب ، فصار عليه ، ففعل سالم بناته بثوبه ، وقال :  
بناتى بناتى ! فقال أشعب : ( لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ  
مَا نُرِيدُ ) .

قال أشعب : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين يدي  
الفراش ، بغامت بعد أيام وقالت : أبى أنت ، الدينار ، فقلت أرفى فراشى وخذى  
ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت الى جنبه درهم ، فأخذت الدرهم ، وترك

(١) الصراحيّة : آتية فخر . (٢) في الأصول : العلا ، واقى في الأغاني : الروى .



الدينار، وعادت بعد أيام، فوجدت معه درهما آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك ، وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتهما بكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصنّفين بالولادة ولا تصنّفين بالنفاس .

- ومن أخباره المستغرقة ما حكاه المدائني ، قال : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة ، فقلت : اللهم أذهب عني الحِرص والطلب إلى الناس ، فررت بالقرشيين وغيرهم فلم يُعطني أحدُ شيئاً ، فغثت إلى أمي ، فقالت : مالك قد جثت خائباً ؟ فأخبرتها بذلك ، فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك ، فرجعت ، فجعلت أقول : يا ربِّ أفلني ، ثم رجعت ، فما مررت يجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني ، ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بجمال موقرة من كل شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ غففت أن أخبرها فتموت فرحاً إن قلت : وهبه لي ، فقالت : أي شيء هذا ؟ فقلت : غين ، قالت : أي شيء ؟ قلت : لام ، قالت : أي شيء ؟ قلت : ميم ، قالت : وأي ميم ؟ قلت : غلام ففُتني عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً . قال : وجلس أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان ، فانفلتت من مروان ريح لها صوت ، فانصرف أشعب يومئذ الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح ، فلما آنصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب ، فقال له : الدية ، قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحملتها عنك ، وإلا شمرتك ، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحه عليه .

- وقال محمد بن أبي قيسلة : غدّى أشعب جدياً بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غايةً ، ثم قال لزوجه أم ابنه وردان : إني أحبُّ أن ترضعيه بلبنك ، ففعلت ، ثم جاء به (١) كما بالأمل ، وفي الأمان : قالت : رأى شيء ، لام ، قلت : ألف . قالت : رأى شيء ، ألف ، قلت : ميم الخ .

(١٢)

٢٠

الى إسماعيل بن جعفر بن محمد، فقال : نأله إنه لأجنى، رضع بلبن زوجتي،  
قد جوتك به، ولم أر أحدا يستأله سواك، فنظر إسماعيل إليه وأمر به، فذُبح  
وسُحِبَ، فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة، فقال : ما عندي وأهله اليوم شيء،  
ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يشس أشعب منه، قام من عنده،  
فدخل على أبيه جعفر، ثم أندفع فشوق حتى التقت أضلاعه، ثم قال : أخلي،  
قال : ما معنا أحد يسمع، ولا عليك عين، قال : وثب أبنيك إسماعيل على آجني  
فذبجه، وأنا أنظر إليه، فارتاع جعفر وصاح، ويلك ! وفيم ؟ وتريد ما ذا ؟ قال :  
أما ما أريد، فوأقه مالي في إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك، فجزاه خيرا  
وأدخله منزله وأخرج اليه مائتي دينار، فقال : خذ هذه، ولك عندنا ما تحب،  
قال : ونخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطلأ عليه، فإذا به مسترسل في مجلسه  
فلما رأى وجه أبيه أنكروه، وقام إليه، فقال : يا إسماعيل فعلتها بأشعب ! قتلت  
ولده ؟ قال : فاستضحك، وقال : جاءني، وأخبره الخبر، فأخبره أبوه بما كان منه،  
وما صار إليه، قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رعتني راعك الله، فيقول :  
روعة أبنيك بنا في الجدي أكثر من روعتك بالمائتي دينار .

قال المدائني : دخل أشعب على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وعنده أعرابي  
قبيح المنظر، مخطف الخلق، فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبي أنت وأمي،  
أتأذن لي أن أسلمح عليه ؟ فقال : إن شئت، ومع الأعرابي قوس وكأنة، ففوق  
نحوه سهما، وقال : وأهله ثلث فطمت، لتكونن آخر سلعة سلحتها، فقال أشعب  
لحسين : جعلت فداك، أخذني القولنج . وعنه، قال : توضع أشعب ففسل رجله  
اليسرى وترك اليمنى، فقيل له : لم تركت غسل اليمنى ؟ فقال : لأن النبي صلى الله عليه  
(١) القولنج : بضم القاف أو فتحها أو فتح اللام أو كسرهما : مرض موى مؤلم يصير منه خروج الثقل والريح .

وسلم قال : « أمتي عُمرٌ محجلون من آثار الوضوء » <sup>(١)</sup> وأنا أحب أن أكون أغرَّ محجلاً مطلق الإيمان . وقال : سمع أشعب حُبِّي المدنيَّة يقول : اللهم لا تمنني حتى تغفر لي ذنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسأل الله تعالى المغفرة ، وإنما سأله عمر الأبد ، يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا .

- وقال الزبير بن بكار : كان أشعب يوما في المسجد يدعو ، فإذا هو قد قبض وجهه فصيرته كالشجرة المجموعة ، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فخصبه ، وناداه : يا أشعب إنما أنت تناجي ربك فتواجه بوجه طليق ، قال : فأرني لحية حتى وقعا على زُورِهِ <sup>(٢)</sup> ، قال : فأعرض عنه ، وقال : ولا كلّ ذا .

وقال مصعب : بلغ أشعب أن الغاضريَّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأن

- ١٠ جماعة استطابوه ، فرفههم حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحيهم ، فصار إليهم ، ثم قال : قد بلغني أنك قد نحوت نحوي ، وشغلت عني من كان يألُفني ، فإن كنت مثلي فأفعل كما أفعل ، ثم غصن وجهه وعرضه وشنبه ، حتى صار عرضُه أكثر من طوله ، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يمحوز صدره ، وصار كأنه وجه الناظر في سيف ، ثم نزع ثيابه وتحدب ، فصار في ظهره حدة كستام البعير ، وصار طوله مقدار شبر ، ثم نزع سراويله ، وجعل يمد جلد خصيه حتى حك بهما الأرض ، ثم خلاهما من يده ، وجعل يمس ، وهما يخططان الأرض ، ثم قام فتطاول وتمتد وتعلّى ، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال ، فضحك القوم حتى أغشى عليهم ، وقطع بالغاضريَّ فما تكلم بنادرة ، ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء لا أعاود ما تركه أبدا ، إنما أنا عبدك ونحريك ، ثم أنصرف أشعب وتركه .

٢٠

(١) هكذا في الأصل . والقي في الجاهل الصغير : « أمتي يوم القيامة عُمرٌ من السجود محجلون من الوضوء » .

(٢) الزُورُ : وسط الصدر .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمي ، قال : لقي أشعبَ صديقَ لابيهِ ، فقال له :  
ويك يا أشعب ! كان أبوك ألقى وأنت أقط<sup>(١)</sup> ، قال من نرجعت تشبه ؟ قال :  
إلى أمي .

وقال الميثم بن عدي : بقيت أشعبَ ، فقلت له : كيف ترى أهل زمانك  
هذا ؟ قال : يسألوني عن أحاديث الملوك ، ويسطوني عطاء العبيد .

وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعبَ سالمُ بن عبد الله بن عمرو ، فقال له :  
يا أشعب ، هل لك في هريس أعد لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، ففضي أشعب  
إلى منزله ، فقالت له أمراؤه : قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك ، قال :  
ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها ، وعبد الله بن عمرو في يدي  
متى شئت ، وسالم إنما دعوته للناس فتة ، وليس لي بد من المضى إليه ، قالت :  
إذا يغضب عبد الله ، قال : أكل عنده ، ثم أصير إلى عبد الله ، فإني إلى منزل سالم ،  
بفصل يا كل أكل متعالي ، فقال له : كل يا أشعب ، وأبعث ما فضل عنك إلى

متزك ، قال : ذلك أردت ، بأبي أنت وأمي ، قال : فقال : يا غلام ، أحمل هذا  
إلى منزله ، فحمله ، ومشى أشعب معه ، فقالت أمراؤه : نكثت أمك ، قد حلف  
عبد الله لا يكلمك شهرا ، قال : دعيني وإياه ، هاتي شيئا من زعفران ، فأعطته ،  
فأخذه ودخل الحمام ، فمسحه على وجهه وبدنه ، وجلس في الحمام حتى صفّره ، ونرج  
متوكئا على عصا يردد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلما رآه حاجبه ،  
قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى ؟ ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له فلما دخل  
عليه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد في الرعدة ، ويقارب الخطو ، بفلس

- وما كاد أن يستقل ، فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك ، فقال له سالم : ويحك مالك ! ألم تكن عندى آنفا ؟ أكلت هريسة ! قال : لقد شُبه لك ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : لعل الشيطان ينشبه بك ، قال أشعب : على وعلى - إن كنت رأيتك منذ شهر ، فقال له عبد الله : أعزب ويحك عن خالي ! أتبهته ؟ لا أم لك ! قال : ما قلت إلا حقا قال : بحياتي أصدقني وأنت آمن من غضبي .  
قال : وحياتك لقد صدق ، وحديثه بالقصة فضحك حتى أستلقى على قفاه .

- وقال المدائني والهميم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أشعب بعد ما طلق أمرأته سعدة ، فقال له : يا أشعب : لك عندى عشرة آلاف درهم ، على أن تبلغ رسالتى سعدة ، فقال له : أحضر المال حتى أنظر اليه ، فأحضر الوليد بذرة ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك ، قال : قل لها يقول لك

أسعدة هل إليك لنا سبيل \* وهل حتى القيامة من تلاق

يلي ! ولعل دهرنا أن يؤاتي \* بموت من حليلك أو طلاق

فأصبح شامتا وتفر عني \* ويجمع شملنا بعد آفراق

قال : فأتى أشعب الباب ، فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففرش لها فرش وجلست

- وأذنت له ، فدخل فأنشدها ، فلما أنشد البيت الأول

أسعدة هل إليك لنا سبيل \* وهل حتى القيامة من تلاق

قالت : لا والله ، لا يكون ذلك أبدا ، فلما أنشد البيت الثاني

يلي ! ولعل دهرنا أن يؤاتي \* بموت من حليلك أو طلاق

قالت : كلا إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به ، فلما أنشد البيت الثالث

- فأصبح شامتا وتفر عني \* ويجمع شملنا بعد آفراق

قالت : بل تكون الشهادة به ، ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال :  
يا سيدتي ، إنها عشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأحطنك أو تبغها كما بلغتني ، قال :  
وما تبين لي ، قالت : بساطي الذي نحتي ، قال : قومي عنه ، فقامت ، فطواه ، ثم قال :  
هاتي رسالتك ، فجعلت فداك ، قالت : قل له

أتيتك على لبي وأنت تركتها \* فقد نهبت لبي فأنت صانع ؟

فأقبل أشعب ، حتى دخل على الوليد ، فأنشده البيت ، فقال : أوه قتاني والله ،  
فأتراني صانعا بك يا ابن الزانية ؟ أخترا ما أن أدليك منكسا في بر ، أو أرميك من  
فوق القصر منكسا ، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ، قال له : ما كنت  
فاعلا بي شيئا من ذلك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عيني قد نظرتا  
إلى سعدة ، قال : صدقت يا ابن الزانية .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى إبراهيم بن المهدي عن ابن أشعب عن  
أبيه ، قال : دُعِيَ ذات يوم بالمغنين إلى الوليد بن يزيد ، وكنت نازلا معهم ، فقلت  
لِلرَّسول : خذني فيهم ، قال : لم أؤمر بك ، إنما أمرت بإحضار المغنين ، وأنت  
بطال لا تدخل في جمعتهم ، فقلت له : أنا والله أحسن غناء منهم ، ثم أتدفع ففنيبت ،  
فقال : لقد سمعت حسنا ، ولكن أخاف ، قلت : لا أخوف عليك ، ولك مع ذلك  
شرط ، قال : وما هو ؟ قلت : كل ما أصبت فلك شطره ، فأشهد على الجماعة ،  
ومضينا حتى دخلنا على الوليد ، وهو يمسّ النفس ، فغناه المغنون في كلّ فن فلم يترك  
ولم ينشط ، فقام الأمير إلى الخلاء ، وكان خيئا داهيا ، فسأل الخادم عن خبره ، فقال  
بينه وبين أمراته شر ، لأنه عشق أختها ففضبت عليه ، وهو إلى أختها أميل ، وقد  
عزم على طلاقها ، وحلف أن لا يذكرها أبدا بمراسلة ولا غاطبة ، ففرج على هذه  
الحال من عندها ، فماد الأبحر البنا ، وجلس ثم أتدفع يفتي

فبني فلاني لا أبالي وأيقنى \* أصعد باقي حاكم أم تصوبا  
المعلمي أني عزوف عن الهوى \* اذا صاحبي من غير شيء تغضبا

فطرب الوليد وأرتاح، وقال للأجير: أصبحت والله يا عبيدة ما في غمسي، وأمر له  
بشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأجير، فلما  
أيقنت بأقضاء المجلس وثبتت قلت: إن رأي أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني  
مائة سوط الساعة بحضرتك، فضحك! ثم قال: قبحك الله! وما السبب في ذلك؟  
فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأنى بالمكروه في أول يومه، فاتصل على  
إلى آخره فأريد أن أضرب مائة سوط، ويضرب بصدى مثلها، فقال: لقد لطفت،  
بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي  
أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وأنصرفت.

١٠

وقال عبيدة بن أشعب: غضبت سكيناً على أبي في شيء خالفها فيه، لحقت  
لتحلق لحيته، فقال له الحجام: أنفخ أشداقك حتى أتمكن منك، فقال له أشعب:  
يا ابن البظراء، أمرتك أن تحلق لحيتي أو تعلمني أزمري؟ أخبرني عن أمرائك إذا  
أردت أن تحلق حرماً تنفخ أشداقه؟ فنضب الحجام وحلف أن لا يحلق لحيته  
وأنصرف، فبلغ سكيناً الخبير، فضحكت وعفت عنه.

١٥

قال ابن ربيع<sup>(١)</sup>: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأولهم، فبينا نحن ذات يوم  
عنده، وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزمري  
يتلفظ كأنه أمي، والشر<sup>(٢)</sup> في وجهه، ما يدنونه أحد إلا شتمه ونهره، فقال  
أبان: هذا والله من البائة<sup>(٣)</sup>، ادعوه لي، فدعوه له، وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان

٢٠

(١) كما بالأصل وصوابه: زبيج فتح الزاي والباء رفح النون مشددة وحرارية بن مرة.  
(٢) البائة: أسم بدة.

- يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن سببه، فانتسب له، فقال له أبان :  
حيّاك الله يا خال، أجلس، بخلص، فقال له : إني أطلب جلا مثل جملك هذا  
منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف،  
والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه، أتيهنيه ؟ فقال : نعم أيها الأمير،  
قال : فإني قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابي وسرّ وأتفخ . وبان  
الطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب، ثم قال له : ويحك يا أشعب ! إن خالي  
هَذَا من أهلك وأقاربك، يعني : في الطمع، فأوصع له مما عندك، فقال : نعم،  
بإبي أنت وزيادة، فقال له أبان : يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل  
يساوي ستين ديناراً، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيك  
عُرُوضاً تساوي مائة دينار، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير،  
وأسرّ أبان إلى أشعب فأخرج شيئاً مغطى، فقال له : أخرج ما جئت به، فأخرج  
جرّد عمامة تساوي أربعة دراهم، فقال له : قومها يا أشعب، فقال : عمامة الأمير  
يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً، قال : ضعها بين يديه،  
وقال لأبن زَبَّج : أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت الهامة بين يدي الأعرابي،  
فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام، قال : هاتِ قلنسوتي،  
فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدمع وتقرّقت تساوي نصف درهم،  
قال : قوم، فقال : قلنسوة الأمير تملو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس،  
ويجلس فيها للحكم ! ثلاثون ديناراً، قال : أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة  
بين يدي الأعرابي فأربّد وجهه وحفظت عيناه وهمّ بالوثوب، ثم تماسك وهو  
مقلقل، ثم قال لأشعب : هات ما عندك فأخرج خُفَّين خَفَّين قد نُفِّبَا وتُقشرا  
وَفُتَّتا، فقال : قوم، فقال : خُفَّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويملو بهما منبر النبيّ



صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضمهما بين يديه ، ثم قال للأعرابي :  
 أضرم اليك متاعك ، وقال لبعض الأعراب : أَمْضُ مع الأعرابي وأقبض ما بقى لنا  
 عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابي ، فأخذ القماش ، فضرب  
 به وجوه القوم لا يالو في شدة الرمي ، ثم قال له : أتدري في أى شيء أموت ؟ قال :  
 لا ، قال : كيف لا أدركت أباك عثماناً فأشرك بالله إذ ولد مثلك ؟ ثم  
 نهض كالمجنون حتى أخذ برأس سميره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضحك من كان  
 معه ، فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له : هلم إلى يابن الحبيشة ،  
 حتى أكافئك على قيمتك المتاع ، يوم قومت ، فيهرب منه أشعب .

وقتل الزبير بن بكار عن عمه : تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر بن محمد بن  
 عمرو بن حزم ، فقالت : لا يدعى هذا من كثرة الجماع ، فقال له أشعب : أتراني  
 أعطف ولا أركب ؟ فلكف ضررها لأكف أرى .

وقال المدائني : حدثني شيخ من أهل المدينة ، قال : كانت امرأة شديدة العين ،  
 لا تنظر إلى شيء فتستحسنه إلا عاتته ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو  
 يقول لأبنته : يا بنية ، إذا أنا ميت فلا تدبيني ، والناس يسمعونك ، وتقولين : وأبنته ،  
 أندبك للصوم والصلاة ، للفقهِ والقرآن ، فيكذبك الناس ويلعنوني ، ثم ألفت فرأى  
 المرأة فغطى وجهه بكفه ، وقال لها : يا فلاته ، بالله إن كنت استحسنيت شيئاً مما أنا  
 فيه ، فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهلكيني ، فضربت المرأة ، وقالت :  
 سمعت عيناك ، وفي أى شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ، قال : قد  
 طابت ، ولكن قد لا تكونين قد استحسنيت خفة الموت على ، وسهولة التزع ، فيشتد  
 ما أنا فيه ، فخرجت من عنده وهي تسبه ، وضحك من كان حوله من كلامه ومات .

### ذكر مئىء من نوادر أبى دلالة

هو أبو دلالة زئء بن الءون وزئء بالنون، وهو كوفى أسوء مولى لبنى أسء، كان أبوه عبءا لرجل منهم، ىقال له : قصاص، فاعقه وأءرك آءرزمى بنى أمىة ولم يكن له نباءة فى أيامهم، وبنى فى أيام بنى العباس فاقطع إلى أبى العباس السقاع وأبى جعفر المنصور والمهءىء، وكانوا ىقدمونه وىفضلونه وىستطىبون مجالسته ونواءره .

قال أبو الفرج الأصفهانى : كان أبو دلالة رءىء المذهب، مرءكبا للءارم، مضىءا للفرؤض، متجاهرا بئلك، وكان ىعلم هذا منه، وىعرف به، فىءتجافى عنه للطف محله، وله أخبار وأشعار لىس هذا موضع ذكرها، وإنما ثبء فى هذا الموضع ما له من ناءرة أو حكاىة مستظرفة، فن ذلك : أنه ءل على أبى جعفر المنصور، وكان المنصور قد أمر أصحابه بلىس السواء والقلائس الطوال، وءءم بمىءان من ءاؤها، وأن ىلقوا السىوف فى المناطق، وىكتبوا على ظهورهم : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، فلما ءل علىه أبو دلالة فى هذا الزىء، قال له المنصور : ما حالك؟ قال : شر حال يا أمىر المؤمنىن، وجهى فى نصفى، وسىنى فى أسىءى، وقء صبغت بالسواء ثىابى ونبئت كئاب الله من وراء ظهرى، ثم أنءء

وكنا نربىء من إماننا \* بئقامء بطول زاءه فى القلائس  
تراها على هام الرجال كأنها \* ءىار ىهود جئئت بالبرانس

فضحك منه المنصور وأضاه وءءره من ذلك، وقال : إءاك أن ىسمع هذا منك أءء .

وحكى عنه : أنه كان واقفا ىن ىءى السقاع أو المنصور، فقئال له : سئى حاجئك، فقئال أبو دلالة : كئب صىء، قال : أعطوه إياه، قال : وءابه أنصىءء

عليها، قال : أعطوه، قال : وغلّام يقود الكلب ويتصيّد به، قال : أعطوه غلاماً، قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه، قال : أعطوه جارية، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيالٌ فلا بدّ لهم من دار يسكنونها، قال : أعطوه داراً تجمعهم، قال : فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال : قد أقطعك مائة جريب عامرة، ومائة جريب غامرة، قال : وما الناصرة؟ قال : ما لا نبات فيه، قال : قد أقطعك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد، فضحك وقال : أجعلوا المساكين كلها عامرة، قال : فائتذنى أن أقبل يدك، قال : أما هذه فدعها، فإني لا أفضل، قال : والله ما منعت عيالي شيئاً أقلّ عليهم ضرراً منها . وروى : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها

- ١٠ إن الخليلط أبتدوا البين فأتجمعوا \* وزودوك خبالاً، بئس ما صنعوا  
والله يعلم أن ككادت، لينهم \* يوم الفراق، حصاة القلب تصدعُ  
عجبت من صيتي يوماً وأهمهم \* أتم الدلالة لما حاجها الجزعُ  
لا بارك الله فيها من منبهة \* هبت طوم عيالي بعد ما جمعوا  
ونحن مشتبهاوا الأكران، أوجهنا \* سود قباح، وفي أسمائنا شنعُ  
١٥ إذا تشككت إلى الجوع، قلت لها \* ما حاج جوعك إلا الرى والشبعُ  
قالت أذاك قد صارت عيالتنا \* على الخليفة منه الرى والشبع  
لا والذى يا أمير المؤمنين قضى \* لك الخلافة في أسبابها الرّم  
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله \* دوني ودون عيالي ثم تضطجعُ

(٧)

(١) في الأغاني : عيذك .

(٢) الجريب : المزرعة .

٢٠

(٣) كما في الأصل وجارة الأغاني : وروى وهو الجريد

أذاك الجوع مذ صارت عيالتنا \* على الخليفة منه الرى والشبع

شوها<sup>(١)</sup> مشاة في بطنها<sup>(٢)</sup> مجل \* وفي المفاصل من أوصافها قدع<sup>(٣)</sup>  
ذكرتها بكاتب الله حرمتا \* ولم تكن بكاتب الله ترنجع<sup>(٤)</sup>  
فانزعطت ثم قالت وهي مصيبة<sup>(٥)</sup> \* أنت تسلو ككاتب الله يا لكع  
أخرج تبغ لنا مالا ومزرعة \* كما لجيراننا مال ومزدرع  
وأخذع خليفتنا عنا بمالة \* إن الخليفة للسؤال يخدع

قال فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بما تحب جريب عامرة و يروى ستمائة  
جريب عامرة وغامرة ، فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب عامرة  
فيما بين الحيرة والتعيف وإن شئت زدتك فضحك وقال : أجعلوها كلها عامرة .  
قال : ولما توفى السقاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يمزونه فقال

أسمت بالأخبار يا ابن محمد \* لم تستطع عن عفرها تحويلا  
ويلي طيك وويل أهل كلهم \* ويلا وعولا في الحياة طويلا  
فتبكين لك السماء بمبرة \* وتبكين لك الرجال عويلا  
مات الندي إذمت يا ابن محمد \* بفعلته لك في التراب عديلا  
إني سألت الناس بعدك كلهم \* فوجدت أسمع من سألت بجيلا  
الشقوي أنثرت بعدك للتي \* تدع العزيز من الرجال ذليلا ؟  
فلا حلفن يمين حق برة \* نالقه ما أعطيت بعدك سولا

(١) مشاة : فيمة .

(٢) الثجل : عظم البطن وأسترخاؤه .

(٣) القدع : احواج الرسخ في اليد أو الرجل .

(٤) كترنطت : رقت أقمها استكبرا أو غضبا .

(٥) كذا في الأصل وعبرة الأغاني " مغضبة " وهي الأصم .

- قال : فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : إن سمعتك تشدد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما وهو الذى جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه بقل كما قال يوسف ( لَا تَرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) فسرى عن المنصور وقال : قد أفلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك ، قال : يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس • أمر لي بمشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن جالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن : يا سليمان أذهبها إليه وسيّره الى هذا الطاغية ، يعنى عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين أعينك بالله ١٠ أن أخرج معهم والله إني مشوم ، قال المنصور : امض فإن يُنّي يظلب شؤمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يمزب ذلك مني على مثل هذا العسكر ، فإني لا أدري أيهما يظلب ، يترك أو شؤمي ؟ إلا أني بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعني وهذا ، فإني لك من الخروج بد . قال : فإني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا كلّها هزمت ، وكنت سبها ، فإن شئت الآن على ١٥ بصيرة أن يكون عسرك تمام العشرين فاقبل ، فضحك المنصور وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة ، وعن جعفر بن حسن المهديّ <sup>(١)</sup> قال : حدثني أبو دلامة ، قال : أتى بي المنصور أو المهديّ وأنا سكران خلف لي خرجتي في بحث حرب فانخرجني مع روح بن حاتم المهديّ لقتال الشراء <sup>(٢)</sup> فلما ألتقي الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك ومعى سلاحك لأخترت في صدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك ٢٠
- (١) كذا بالأصل ، وفي الأغاني : جعفر بن الحسين المهديّ . (٢) الشراء : اسم مدينة بالشام .

وقال : والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ولا أخذلك بالوفاء بشرطك ، فقتل عن فرسه  
وزرع سلاحه ودفع ذلك الى ودعا بغيره فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي  
قلت : أيها الأمير هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبيتا فاسمها ، قال : هات فأنشدته

إني استجرتك أن أقدم في الوغى \* لتطاعين وتنازلي وضراب  
فهي السيوف رأيتها مشهورة \* وتركتها ومضيت في التهريب  
ما ذا تقول لما يحى ولا يرى \* من بادر الموت بالنشاب

٥٨

فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال : اخرج  
اليه يا أبا دلامة ، فقال : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فقال : والله لتخرجن ،  
قلت : أيها الأمير ، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جامع  
ما تنبئ مني جراحة من الجوع فرلى بشئ آكله ثم أخرج ، فأمر لي برغيفين  
ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رآني الشاري أقبل نحوي وعليه  
فرو قد أصابه المطر فآبى وأصابته الشمس فافعل<sup>(١)</sup> وعيناه تمدان فأسرع الى ،  
فقلت : على رسلك يا هذا ! فوقف فقلت : أتمت من لا يقاقلك ؟ قال : لا ،  
قلت : أتمت أن أتمت رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أقتتل ذلك قبل  
أن تدعوني فاقاقله الى دينك ؟ قال : لا ، فأذهب عني الى لمة الله ، فقلت :  
لا أفضل أو تسمع مني ، قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا عداوة أو ترة أو تعرفني  
بما لي تحفظك على أو تعلم بيني وبين أهلك وترأ ؟ قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله  
لك إلا على جميل ، فإني لأهواك وأتمت من هلك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك ،  
فقال : يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف ، قلت : إن معي زادا أريد أن آكله وأريد

مؤاكلتك لتؤكد المودة بيننا ويرى أهل السكرين هوانهم علينا ، قال : فافعل ،  
فتقدمت اليه حتى اختلقت أعناق دولابنا وجمعنا أرجلنا على مآرفها وجعلنا نأكل  
والناس قد غلبوا ضحكاً ، فلما استوفينا ودعنى ثم قلت له : إن هذا الجاهل ، إن أقمت  
على طلب المبارزة ندبني اليك فتعب وتتعبني ، فإن رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ،  
قال : قد فعلت ، فأنصرف وأنصرف ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني  
فقل لغيري يكفيك قرنه كما كفيتك ، ونخرج آخر يدعو الى البراز فقال لي : اخرج  
اليه ، فقلت

إني أعوذ بروح أن يقتلني \* الى القتال فتخزى بي بنو أسيد  
إن البراز الى الأقران أعلمه \* مما يفترق بين الروح والجسد  
قد حالفك النايما إذ رصدت لها \* وأصبحت لجميع الخلق كالرصد  
إن المهلب حب الموت أورتكم \* فاورثت اختيار الموت عن أحد  
لو أن لي مهجة أخرى جلدت بها \* لسكرتها خلقت فردا فلم أجِد  
قال : فضحك روح وأعفاني ، قال : وشرب أبو دلالة في بعض الحانات وسكر  
فمشى وهو يميل فلقبه العسس فأخذه ، فقيل له : من أنت؟ وما دينك؟ فقال :

ديني على دين بنى العباس \* ما ختم الطين على القراطيس  
إذا اصطبحت أربعا بالكليس \* فقد أدار شربها براسي  
فهل بما قلت لكم من بايس \*

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه ، وأتى به الى أبي جعفر ، فأمر بحبسه مع البجاج  
في بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو

مع ذلك يسمع صوت التلجج، وُرُقَاءُ الديك فلما أكثر، قال له السجنان : ماشأناك؟  
قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان السجنان ،  
قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن خرق طيلسانى ؟ قال :  
الحرس ، فطلب أن يأتبه بدواة وقرطاس ، ففعل فأنه ، فكتب الى أبى جعفر  
المنصور يقول

أمير المؤمنين فذلك نفسى \* علام حبستنى ونحرت ساجى  
أمن صبياء صافية المزاج \* كآف شماعها لبُ المراج  
وقد طُبِخَتْ بنار الله حتى \* لقد صارت من التطف النضاج  
تهش لها القلوب وتشتها \* انا برزت تفرق فى الزجاج  
أفاد الى السجون بغير جريم \* كآنى بعض عمال الخراج ؟  
فلو معهم حُست لكان سهلا \* ولكنى حُست مع اللجاج  
وقد كانت تحببى ذنوبى \* بانى من عقابك غير ناجى  
على أنى وإن لاقيت شرًا \* خليرك بعد ذاك الشر راجى

فاستدماه المنصور، وقال : أين حبست يا أبا دلامة؟ قال : مع الدجاج قال :  
فما كنت تصنع ؟ قال : أقوف معهم الى الصباح ، فضحك وخلق سبيله وأمر له  
بمائدة، فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله :  
وقد طبخت بنار الله ؟ — معنى الشمس — قال : لا والله ، ما عيت إلا نار الله  
الموقدة التى تطلع على نواد الربيع ، فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تماود

(١) الزنا : الصياح .

(٢) أقوف : أصبح ، من توقفت الصباة أى صاحته .



التعرض له . وروى عن المثنائى قال : دخل أبو دلامة على المهديّ وعنده إسماعيل بن عليّ وعيسى بن موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم فقال له المهديّ : أنا أعطى الله عهدا إن لم تهج واحدا من في البيت ، لأقطعن لسانك أو لأضربن عنقك ، فتنظر اليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأن عليّ رضاك ، قال أبو دلامة : فعاتت أنى قد وقعت وأنها عزيمة من عزماته .

لا بد منها ، فلم أر أحدا أحقّ بالهجرة منى ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسه ، فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامة \* فليست من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قردا \* وخشيرا إذا نزع العمامة<sup>(١)</sup>

جمعت دمامة وجمعت لؤما \* كذلك اللؤم يتبعه العمامة

فإن تك قد أصبحت نعيم دنيا \* فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه . قال : وخرج المهديّ وعليّ بن سليمان إلى الصيد ، فسبح لهما قطع من ظباء ، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ورمى المهديّ سهمًا فأصاب ظليبا ورمى عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة

قد رمى المهديّ ظليبا \* شك بالسهم فؤادة

وعليّ بن سليما \* نرمى كلبا فصاده

فهنيئا لها ككل أمرى يا كل زادة

فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن مرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة سنوية ، فلقب عليّ بن سليمان بعد ذلك : صائد الكلب ، فغلب عليه . قال :

(١) كذا في الأصل وفي الأغاني "كان" بدل "ظنت" .

وتوفيت حمادة بنت عيسى، وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة : ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال : آبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة آبنة عيسى يحاء بها الساعة فتدفن فيها، فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .

قال الهيثم بن عدي رحمه الله عليه : حجت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح أبو دلامة : جعلني الله فداك ، الله في أمري ، فقالت : من هذا؟ قالوا : أبو دلامة . فقالت : سلوه ما أمره ، قالوا له : ما أمرك؟ قال : أدنوني من محلها ، قالت : أدنوه ، فأدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم ، قالت : فله ، قال : تهبني جارية من جوارك تؤنسني وترفق بي وتريحني من عبوز عندي ، قد أكلت رفدي ، وأطالت كذي ، فقد عاف جلدي جلدها ، وتشوقت ففدتها ، فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها ونرجع معها الى بغداد فأقام حتى عرض ، ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع اليها رقعة قد كتب بها الى الخيزران ، فيها

أبلى سدي بالله يا أم عبيد  
أنا أرشدها الله وإن كانت رشيدة  
وعدتني قبل أن تخرج للبحر وليده  
فأتيت وأرسلت بعشرين قصيدة  
كلما أخلقن أخلقست لها أخرى جديدة  
ليس في بيتي تمهيد فراشي من قبيده  
غير عجماء عجوز \* ساقها مثل القديده

وجهاً أفتح من حو • تطرى في عصبة

ما حياة مع أنى • مثل عرمى بسمة

فلما قرئت عليها، ضحككت ودعت بجارية من جواريا فاتمة الجمال، فقالت لها :

خذى كل مالك فى قصرى ، فقلت ، ثم دعت بعض الخدم وقالت له : سلمها

الى أبى دلامة ، فانطلق الخادم بها فلم يصلده فى منزله ، فقال لأمرأته : انا رجع

أبو دلامة فادغيا اليه وقول له : تقول لك السيدة : أحسن محبة هذه الجارية ، فقد

أمرت لك بها ، فقالت له : نعم ، فلما خرج الخادم دخل أبنا دلامة فوجد أنه

❦

تبكى فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرئى يوما من الأيام فاليوم ،

قال : قولى ما شئت فأنى أفعله ، قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطوؤها

فتحزمها عليه وإلا ذهبت بقله بلغانى وجفاك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها

ووافقها ذلك منه ، وخرج ، فدخل أبو دلامة فقال لأمرأته : أين الجارية ؟ قالت :

فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محطم ذاهب ، فمده اليها وذهب ليقبّلها ، فقالت :

مالك ويمك ! تسحّ وإلا لطمتك لكمة دقت منها أهلك ، فقال : أهذا أوصيك

السيدة ؟ قالت : إنها بمنى الى قى من هيئته وحاله كيت وكيت ، وقد كان

عندى آنفا ونال منى حاجته ، فلم أنه قد دُعِيَ من أم دلامة وأبنا ، فخرج أبو دلامة

الى دلامة فطمه وتلبّ به وحلف أن لا يفارقه إلا الى المهديّ فضى متلبّا به

حتى وقف بباب المهديّ ، فرف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال فأمر بإدخاله ،

فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخبثونة ما لم يفعله ولد بأبيه ولا يرضنى

إلا أن تقتله ، قال : ويمك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر فضحك حتى استلقى

ثم جلس ، فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف

والنطم ، فقال له دلامة : قد سمعت قوله يا امير المؤمنين ، فاسمع حجتى ، قال : هات ! قال : هذا الشيخ اصفى الناس وجها ، هو يفعل بائى منذ اربعين سنة ما غضبت ، فعلت انا بيجاريتيه مرة واحدة غضب وصنع بى ما ترى ، فضحك المهدي اشد من ضحكه الاول ، ثم قال : دعها له يا ابا دلامة ، وانا اعطيك خيرا منها ، قال : على ان نخبأها لى بين السماء والارض والا فل بها والله كما فعل بهذه ، فنقدم الى دلامة ان لا يعاود مثل فعله ، وحلف انه ان عاود قتله ثم وهب له جارية .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ابن ابي دلامة يوما الى ابيه وهو فى محفل من جيرانه وعشيرته يجلس بين يديه ثم اقبل على الجماعة فقال لهم : ان شيعتى كما ترون قد كبر سنه ورق جلدته ودق عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا ازال اشير عليه بالشئ ، يمسك ريقه ويبقى قوته فيخالفى فيه واني اسالك ان تسالوه قضاء حاجة لى اذكها بمحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته فاسعفوني بمسالته معى ، فقالوا : نفعل حبا وكرامة ، ثم اقبلوا على ابي دلامة بالسنتهم فتناولوه بالكتاب حتى رضى ابنه ، وهو ساكت ، قال : قولوا له الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون انه لم يات الا بلبية فقالوا له : قل ، فقال : ان ابي إنما قتله كثرة الجماع فتعاونوني حتى اخضيه فلن يقطع عن ذلك غير الخصى فيكون اصم لجسمه واطول لعمره ، فعجبوا بما اتى به وضحكوا ثم قالوا لابي دلامة : قد سمعت فاجب ، قال : قد سمعت اتم فترتكم انه لم يات بخير ، قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلت اتم حكما فيما بينى وبينه ، فقوموا بنا اليها ، فقاموا باجمعهم ودخلوا اليها وقص ابو دلامة القصة عليها وقال : قد حكمتك ، فاقبلت على الجماعة فقالت : ان ابى هذا ابقاه الله قد نصح اياه ولم يال جهدا ، وما انا الا الى بقاء ابيه اخرج منى الى بقاءه ، وهذا امر لم يقع به تجربة منا

ولا جرى بمشله عادة لنا، وما أشك في معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثار محموداً استعمله أبوه، فضحك أبوه والقوم وأنصرفوا يعجبون من خبثهم جميعاً .  
ومنهم أبو صدقة .

### ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش، قال أبو الفرج:
- وكان مليح الفناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحاً وأشدهم طمعاً وألحهم مسألة وهو من المفتين الذين أقدمهم الرشيد من المجاز في أيامه، قيل: إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة، فقال: وما يعنني من ذلك، وأسمي مسكين وكنتي أبو صدقة وأبني فاقه وأبني صدقة، فمن أحق بهذا مني؟ وكان الرشيد يعبث به كثيراً، فقال ذات يوم لمسور: قل لأبن جامع وإبراهيم الموصلي وزير بن دحمان وزلز و برصوما وأبن أبي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسأل كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسور ما أمر به الرشيد، ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم، فلما جلس قال له:
- يا أبا صدقة، لقد أنجزتني بكثرة مسألك وأنا في هذا اليوم مجير وأحببت أن أفزع وأفرح ولست آمن أن تنقص عليّ مجلسي بمسألك، فلما أن تعفني أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف، فقال له: لست في يومى هذا إلى شهر أسألك حاجة، فقال له الرشيد: أما إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بمخممة دينار وها هي ذه نخذهنا طيبة مجبلة فإن سألني شيئاً بعدما في هذا اليوم فلا لوم عليّ.

- إن لم أصلك سنة بشيء ، فقال : نعم وستين ، فقال له الرشيد : زدنى فى الوثيقة ، فقال : قد جعلت أمر أتم صدقة فى يدك فطلقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك فى يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك ، فذفع إليه المال ثم أذن للجلساء والمفتين فدخلوا وشرب القوم فلما طابت نفس الرشيد ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين قد نلت منك ما لم تبلغه أمتى وكثر إحسانك الى حتى كبت أعدائى وقتلتهم وليس لى بمكة دار تشبه حالى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمال أبى به دارا وأفرسها بياقيه لأفقا عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل ، فقال له : وكم قدرت لذلك ؟ قال : أربعة آلاف دينار فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصلى فقال : يا أمير المؤمنين قد ظهرت نعمتك على وعلى الكبار من ولدى ، وفى أصاغرم من أحتاج ختانه ، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتى على ذلك فعل ، فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع ، وجعل كل واحد منهم يقول فىثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته وأبو صدقة ينظر الى الأموال تُفرق يمينا وشمالا فوثب قائما ورمى بالدنانير من كفه وقال للرشيد : أقلنى أقال الله عثرتك ، فقال الرشيد : لا أفعل ، بفعل يستحلفه ويضطرب ويلج والرشيد يضحك ويقول : مالى الى ذلك سبيل ، الشرط أملك ، فلما عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدى الرشيد وقال : ها كنها قد رددتها عليك وبتك أتم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا وإن لم تلحقنى بمواثر القوم فالحقنى بجائزة هذا البارد عمرو الغزال وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار ، فضحك حتى استلقى ثم رقد عليه الخمسة دنانير وأمر له بألف أخرى معها ، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه الى أن مات ، رحمة الله عليهم .

- وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : مُطَرْنَا ونَحْنُ مع الرشيد بِالرَّفَّةِ مع الفجر فاتصل الى غد ذلك اليوم وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أمّ ولده المسماة : سحر، فتشاغلنا عنه في منازلنا، فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد لحضرتنا جميعا، وأقبل يسأل كلّ واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه فيخبره الى أن انتهى الى جعفر ابن يحيى فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكار الأعشى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور اليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشماله ويفطن أبو زكار لذلك فيُجَنّ ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كلّ الشتم حتى يفضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك الى أن توسّطنا الشرب وسمّنا من عبته به، قُلت له : دع هذا عنك وغنّ غناك، فغنى رَمَلًا ذكر أنه من صنته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين وزمان وهو



فتننى بفاحم اللونِ جيد \* وبغفر كانه نظمٌ درّ

وبوجه كانه طلعة البدر \* روعين في طرفها تمّت سحر

- قُلت له : أَحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال : يا سيدي إني قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لما فرشا فافرشها لي، فتناظرت عنه وعلود النساء فعمدتُ لأن قلت : أَحسنتَ، فسألني فتناظرت فقال : يا سيدي، هذا التناظر متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحقّ أبيك عليك إلا أجبني عن كلامي ولو بستم، فأقبلتُ عليه وقُلت له : أنت والله بفيض، أسكت يا بفيض، وأكفف عن هذه المسألة الملعنة، فوثب من بين يديّ، قُلت إنه قد خرج لحاجة فاذا هو قد نزع ثيابه ويجوز منها خوفا من أن تبسل ووقف تحت

السما لا يواريه شيء والمطر يأخذه ويرفع رأسه وقال : يارب أنت تعلم أنى مله  
ولست نأتمنا وعبدك الذى قد رفعت وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنت  
لا يقول لى : أسأت، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت، فيحلف  
بك جراً عليك أنى بفيض فاحكم بينى وبينه فأنت خير الحاكمين، فغلبنى الضحك  
وأمرت به فتشجى وجهدت به أن يقضى فامتنع حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش له  
داره يا أمير المؤمنين وخدعته فلم أسم له بما أفرشها فقال له الرشيد : طيب والله!  
الآن تم لنا به اللهو، آدعوه فإنه اذا رآك سوف يتجزك الفرش لأنك حلفت له  
بحياتى فهو يقتضيك ذاك بمحضرتى ليكون أوفى له قتل له : أنا أفرشها لك بالبورى<sup>(١)</sup>  
وحاكمه الى، ثم دعا به فحضر فلما استقر فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى  
حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى، تقدم به، فقال له جعفر : اختر  
إن شئت فرشاً لك بالبورى وإن شئت فبالبردى من الحصر، فصاح وأضطرب  
فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة؟ فأخبره فقال له : أخطأت يا أبا صدقة  
إذ لم تسم النوع وتحد القيمة فاذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد برقى يمينه،  
وإنما خدعك ولم تظن أنت ولا توتقت وضيعت حقك، فسكت ثم قال : نوفر  
أيضاً البردى والبورى عليه أعزّه الله، وغنى المغنون حتى انتهى الدور اليه فاخذ يفتى  
غناء الملاحين والبنايين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء فقال له الرشيد : أى  
شيء هذا الغناء؟ قال : من فرش داره بالبورى والبردى فهذا الغناء كثير منه أيضاً  
لمن هذه صلته، فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار من ماله، وقال  
له : أفرش دارك بهذه فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا أخذها أو تحكم لى على

(١) البورى جمع بارى وهو الحصر المنسوح .



جعفر بما وعدني وإلا مت وإقته أسفا لقوات ما حصل في طمعي ووعدت به ،  
فحكم له على جعفر بنعمائة دينار أخرى فأمر له جعفر بها .

### ذكر شيء من نوادر الأقيشر

هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن  
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه .  
أقيشر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعمر الأقيشر عمرا طويلا ، ولعله ولد في الجاهلية  
ونشأ في الإسلام وكان أبعد بني أسد نسبا ، قال : وكان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا  
للخمر ، وهو الذي يقول لنفسه

فإن أبا معرض إذ حسا \* من الزاح كأسا على المنبر  
خطيب لبب أبو معرض \* فإن ليم في الخمر لم يصبر  
أحل الحرام أبو معرض \* فصار خليعا على الكبير  
يحب اللثام ويلجى الكرام \* وإن أقصروا عنه لم يقصر

قال : وشرب الأقيشر في بيت نهار بالحيرة بغناء الشرط ليأخذوه فتحز  
منهم وأغلق الباب وقال : است أشرب فما سبيلكم علي ؟ قالوا : قد رأينا العس  
في كفك وأنت تشرب ، فقال : إنما شربت من لبن لقعة لصاحب هذه الدار ، فما  
برحوا حتى أخذوا منه درهمين فقال

إنما لقعننا باطية<sup>(٢)</sup> \* فإنا ما من جت كانت عجبت

(١) قوله : أقيشر هو تصغر أقيشر وهو الشديد الحرة .

(٢) الباطية : إزاء من الزجاج لخمير يوضع بين الشرب يشرفون منه .

لَبْنٌ أَصْفَرُ صَافٍ لَوْنُهُ \* يَتَرَعُ الْبَاسُورُ مِنْ عَجَبِ الذَّنْبِ<sup>(١)</sup>  
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِنَا \* فَسَلُوا الشَّرْطَى مَا هَذَا الْفَضْبُ؟

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وغيره قال : كان الأفيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين في كراء بغل إلى الحيرة ، وكان له جار يكتني أبا المضاء له بغل يكره فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة حتى يأتي به بيت التمار فينزله عنه ويربطه ثم يجلس للشرب حتى يمسى ثم يركبه ، وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال : وتزوج الأفيشر ابنة عم له يقال لها : الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألم فلم يعطوه شيئا ، فأتى إلى رأس البغل وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال

كفاني المجوسي<sup>(٢)</sup> "هم الرباب<sup>(٣)</sup> \* فدنى للمجوسي خال وعم<sup>(٣)</sup>  
شهدت بأنك "بظرواللسان" \* "وأنتك بمر" جواد خضم<sup>(٣)</sup>  
وأنتك سيد أهل الجحيم \* إذا ما تردت فيمن ظلم<sup>(٣)</sup>  
تجاوز "هامان" في قمرها \* وفرعون والمكتنى بالحكم

فقال له المجوسي : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئا ، وجئتني فأعطيتك بخزيتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك

(١) العَجَبُ : أصل القنب .

(٢) الدهقان بالكسر والضم : رئيس الاقليم .

(٣) الكلمات المرفوعة برم (٣) وردت هكذا في الأصل ووردت في الأغاني بحسب ترتيبها هكذا :

مهر . رطب المشاش . وأن أباك . قارون .

وقرين أبي جهل؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربيعي التميمي فسأله فلم يعطه شيئاً، فقال فيه

سألت ربيعة من شرها \* أبا ثم أنا فقالوا : لمـة

قلت : لأعلم من شركم \* وأجعل للسب فيه سمة

فقالوا : لعكرمة المخزيات \* وماذا يرى الناس في عكرمة؟

فإن يك عبدا زكا ماله \* فما غيرنا فيه من مكرمة

قال الأصمعي : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر فأنشده قوله

ترك القذى من دونها وهي دونه \* لوجه أخيها في الإناء قطوب

كيت إذا شجبت وفي الكأس وردة<sup>(١)</sup> . لها في عظام الشارين ديب

فقال له : أحسنت والله يا أبا معرض ، لقد أجدت في وصفها وأظنك قد شربتها ،

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه ليربني معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر يأتي

إخوانه فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهم فأمر له بمخمسائة درهم فأخذها ومضى

الى الحانة فدفعها الى صاحبها ، وقال له : أقم لي ما أحتاج اليه ، ففعل ، فانضم اليه

رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفذت الدراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه يوما ويوما ،

فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا اليه من بعيد ، فقالوا لصاحب الحانة : أصعد بنا

الى الغرفة ، وأعلم الأقيشر أننا لم نأت اليوم ، ففعل ، فلما جاء الأقيشر أعلمه بما قالوا ،

فلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهني ، فطرح اليه بعض ثيابه وقال له :

أقم لي ما أحتاج اليه ، ففعل ، فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول

(١) كذا بالأصل وفي الألفي "فنت" .

يا خليلي أسقياني كأسا \* ثم كأسا حتى أترنما  
إن في الغرفة التي فوق رأسي \* لأناسا يغادعون أناسا  
يشربون المعقّى الرّاح صرفا \* ثم لا يرفضون للزور راسا<sup>(١)</sup>

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بأبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له : إما أن  
تصعد إلينا وإما أن تنزل إليك فصعد إليهم . ومروا الأقيشر بخمارة بالحيرة يقال لها :  
دومة ، فنزل عندها وأشتري منها نبيذا ثم قال : جودى الشراب حتى أجود لك  
المدح ، ففعلت ، فأنشأ يقول

ألا يا دوم دام لك النعيم \* وأسمر مثل كفك مستقيم  
شديد الأسر يبيض حالباه \* يُحمُّ كأنه رجلٌ سقيم  
يرويه الشراب فيزدهيه \* وينفخ فيه شيطانٌ رجيم

(١٥)

قال : فسرّرت به الخمارة وقالت : ما قال في أحد أحسن من هذا ولا أسرّرتي منه .  
قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دراهم ،  
بغاه مرة فوجده قد أصيب بأبيه ، فردّته أمراؤه عنه ، ثم عاد بعد ذلك بيومين  
فردّته عنه أيضا ، فكتب إليه بيتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصليها إليه  
فقرأها ، فاذا فيها

ألا أبلغ لديك أبا هشام \* فلان الرّيح أبردها الشّمال  
عدائك في الهلال عداة صديق \* فهل سمعت كما سمن الهلال

فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال : لقد سمعت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له  
بها وزادها خمسة دراهم . وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه السير ويسخطه .

(١) الزور جمع زائر ، كراكب وركب .

- وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأفيشر قتيلا ،  
وقيل : إنه مدح عبد الله بن إسمحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فهجاه ،  
فزعوا أن غلمانا لعبد الله بن إسمحاق قتلوه فاجتمع بنو أسد وآذعوا عليه قتل الأفيشر  
فانتدب منهم بديته ، وقال ابن الكلبي : كان الأفيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إسمحاق  
ومدح أخيه زكريا ، فقال لغلماناه : ألا تريحوني منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بعرا وقصبا  
بظهر الكوفة وجعلوه في وسط <sup>(١)</sup> إبرة وأقبل الأفيشر سكرانا من الحيرة على بغل أبي المضاء  
المكاري ، فأنزلوه عن البغل وشدوه رباطا ثم وضعوه في تلك الإبرة وألهبوا النار  
في القصب والبر فأت ، ولم يعلم من قتله والله أعلم .

### ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

- ١٠ هو إبراهيم بن سيابة مولى بن هاشم كان يقال : إن جدته حجام أعتقه بعض  
الهاشميين ، فقدمه إبراهيم الموصلي وأبناه إسمحاق لأنه مدحهما فرضا من قدره وغنى  
بشعره ونوفا بذكره ، وكان خليفا ماجنا حسن الدارة ، وله نوادر نذكر منها نبذا  
فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني ، منها ما رواه عن إسمحاق الموصلي قال : أتى إبراهيم  
ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد فماتقه وقبله وكان معه  
داية ، يقال لها : رخاص ، فقيل لها : إنه لم يقبله تقبيل التسليم ، وإنما قبله شهوة ،  
فلحقته الداية فشتته وأسمته كل ما يكره ، وهجره النلام بعد ذلك ، فقال

لئن لثمتك سرا \* فأبصرني رخاص

وقال في ذاك قوم \* على انتقامي رخاص

هجرتي وأتقي \* شقيقة وانتقامي

فهاك فاقصص مني \* إن الجروح قصاص

٢٠

وقد قيل : إنا رَحاص هذه كانت مَغْنِيَة كان الغلام يهواها ، وإنه سكر ونام فقبله  
أبن سيابة ، فلما آتته قال للَغْنِيَة : ليت شعري ! ما كان خبرك مع أبن سيابة ؟ فقالت  
له : سل عن خبرك أنت معه ، وحدثته بالقصة فهجره الغلام ، فقال هذا الشعر .

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان أبن سيابة عندنا يوما مع جماعة نتحدث وتناشد  
وهو ينشد شيئا من شعره ، فتحرك ففرضت يده على آسته غير مكترث وقال :  
إما أن تسكتي حتى أتتكلم ، وإما أن تتكلمي حتى أسكت .

وقال جعفر الكاتب : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كنت عند  
جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فإن المصيبة عندك أكبر  
منها عند القوم ، وبيتك أولى بالثأم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :  
قدم على إبراهيم بن سيابة بنيسابور فآزرته على ، فجاء ليلة من الليالي فجعل يصيح :  
يا أبا أيوب ، فخشيت أن يكون قد غشيه شيء فقلت : ما تشاء ؟ فقال

• أعياني الشادُّ الربُّ •

قلت بماذا؟ فقال

• أكتبُ أشكو فلا يُجيبُ •

قلت : داره وداره ، فقال

من أين أبني شفاء قلبي ؟ • وإنما دائي الطيبُ

قلت : لا دواء إذا إلا أن يخرج الله عز وجل عك ، فقال

يارب فخرج إذا وعجل • فإني السامعُ المحيُّ

ثم أنصرف وقد تهتمت هذه الحكاية والسلام .

## ذكر شيء من نوادر مطيع بن إياس الكفائي وأخباره

- قال أبو الفرج الأصفهاني : هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفا خليعا ماجنا حلو العشرة مليح النادرة قال : وكان متهما في دينه بالزندقة ، وكان مولده ومنشؤه بالكوفة ، وكان منقطعا الى الوليد بن عبد الملك ، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد وكان سبب ذلك ما حكى عن حكم الوادي ، قال : غنيت ابن يزيد الوليد وهو غلام حديث السن بشعر مطيع بن إياس وهو

إكليلها الوأن \* ووجهها قنأن  
وخالمها فريد \* ليس له جيران  
إذا مشت تنثنت \* كأنها ثعبان  
قد جلدت بغامت \* كأنها عاتن

١٠

فطرب حتى زحف عن مجلسه الى واستعادني الصوت حتى صهل صوقي<sup>(١)</sup> ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت عبد لك يا أمير المؤمنين أراضا لخدمتك ، قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن إياس قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ، فأمر أن يُحمَلَ اليه مع البريد ، فحمَلَ اليه فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقلت : عبدك أنا يا أمير المؤمنين ، فقال له : أذن مني ، فدنا منه فضمه الوليد اليه وقبل فاه وبين عيذه ، وقبل مطيع رجليه والأرض بين يديه ، ثم أدناه حتى جلس في أقرب المجالس اليه ، وأصطحب معه أسبوعا متواليا الأيام على هذا الصوت ، وكان في خلال الدولة الأموية ينقطع الى أوليائها وعلمائها ، ثم انقطع في الدولة العباسية الى جعفر ابن أبي جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر ، ومات مطيع في خلافة المهدي

١٥

بعد ثلاثة أشهر مضت منها؛ وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها فلتقتصر  
ها هنا من أخباره عليها دون غيرها .

قيل : سقط لمطيع حائطٌ فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة  
قال : أحمد الله أنت إذ لم ترك هديته ولم يصبك غباره ولم تفرم أجرة بنائه .  
ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع  
أبن إلياس، قال : قال لي حماد بن عمار يوماً : هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقي  
وهي المعروفة بظلية الوادي؟ قلت : نعم قال : إنك إن بدلت عنها وحقت عينيك  
في النظر أفسدتها عليّ، فقلت : لا والله لا أتكلّم بكلمة تسوءك ولا تسرك، فضى بي  
وقال : والله إن خالفت ما قلت لأخريتك، قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره  
فاصنع بي ما أحببت قال : أمض بنا، فمضينا فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم  
وأحسنهم وجهاً، فلما رأيته أخذني الزعم <sup>(١)</sup> وفطن لي، فقال : أسكت يا بن الزانية،  
فسكت قليلاً، فلحظتني ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه،  
وكانت صلته حمراء كأنها آست قرد، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً، فقلت

(٧)

وإن السوءة السوما \* يا حماد عن خُشَّة

عن الأثرجة الفضة والتفاحة المشّة

فالتفت إلى وقال : فعلت يا بن الزانية، فقالت له : أحسن، فوالله ما بلغ صفك  
بعد، فما تريد منه؟ فقال لها : يا زانية ! فسبته وسأورا، فشئت قبيصه وبصقت  
في وجهه وقالت له : ما تصادقك وتدع مثل هذا إلا زانية، وخرجنا وقد لقي كل  
بلاء، وقال لي : ألم أقل لك يا بن الزانية إنك ستفسد عليّ مجلسي؟ فأمسكت عن



جوابه، وجعل يهجو ويسبى ويشكونى الى أصحابنا، فقالوا لى : أجه ودعنا وإياه، فقلت

ألا يا ظليّة الوادى \* وذات الجسد الرادى

وزين المصير والدار \* وزين الحى والنادى

وذات الميسم العذب \* وذات الميسم البادى

أما بالله تستحيين من خلّة حماد

فحماد قى ليس \* بذى عز فتقادى

ولا مال ولا طرف \* ولا خلط لمرئاد

فتوبى وآتى الله \* وبقي حبل عجراد

فقد ميّزت بالحسين \* عن الخلق بمفراد

وهذا الين قد حم \* بخودى لى بالزاد

قال : فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق، ونجرت أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رأها وقراها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية وساعدتموه، قال : وأخذها حكم الوادى فغنى بها فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكاري إلا غنى فيها ثم غيبت مدة وقدمت فأتانى فاسلم على حتى قال لى

أما بالله تستحيين من خلّة حماد

قتلتى قتلك الله، والله ما كلتنى حتى الساعة قال : قلت : اللهم آدم هجرها له وسوء رأيها فيه وأسفه عليها وأغوه بها فشتنى ساعة، قال مطيع : ثم قلت له : قم أمض بنا حتى أريك أختى، وكانت لمطيع صديقة يسميها أختى وتسميه أنى وكانت مغنية، فلما خرجت إلينا، دعوت قيمة لها فأسررت إليها فى أن تصلح لنا طعاما

وشربا، وعرقها أن الذي مى حماد، فضحكت ثم أخذت صاحبتى فى الفناء وقد  
صابت بموضعه وعرفت فكان أول ما غنت

أما بالله تسجحين من خلّة حماد

فقال لها : يا زانية ! وأقبل على وقال : وأنت يا زانى يا ابن الزانية ! أسررت هذا  
الى قيمتها، فقلت : لا والله كذبت وشاتمته صاحبتى ساعة ثم قامت فدخلت وجعل  
يتغيط على ، فقلت أنت ترى أنى أمرتها أن تغنى بما غنت، فقال : أرى ذلك  
وأظنه ظنا لا والله ولكنى أتيقنه، خلقت له بالطلاق على بطلان ظنه وأنصرفنا .

وحكى، قال يحيى بن زياد المحاربى لمطيع وكان صديقا له : أنطلق بنا الى فلانة  
صديقتى فإن بنى وبينها مفاضبة تُصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت، قال :  
فدخلنا عليها، فأقبلا يتماثلان ومطيع ساكت حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسكك؟  
أسكت الله نأمتك، قال مطيع<sup>(١)</sup>

أنت معتلة عليه وما زالا مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى وهش له، فقال مطيع

فدعيه وواصل ابن إياس \* جعلت نسه الغداة فذاك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يحلده بها رأسه ويقول : ألهذا جئت بك  
يا ابن الزانية؟ ومطيع يفوّه حتى ملّ يحيى، والجارية تضحك منهما ثم تركه .

وروى عن محمد بن الفضل السكونى قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن  
مطيع بن إياس زنديق وأنه يلزم أبنه جعفر وجماعة من أهل بيته ويوشك أن

(١) جاء فى القاموس : أسكت الله تعالى مائة ويقال : ناسه مشقة، أى أماته .

(٢) يفوّه : يستغيث .

- يفسد أديانهم أو يُنسبوا إلى مذهب، فقال له المهديّ : أنا به عارف أما الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحلّ للحرام، قال : فأحضره ونهاه عن صحبة جعفر وسائر أهله فأحضره المهديّ وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقد أفسدت أنى ومن تصحبه من أهل ، والله لقد بلغنى أنهم يتفارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم في الناس ، ولولا أنى شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك ، يا ربّيع أضربه مائة سوط وأحبسه ، قال : ولم يا سيدي ؟ قال : لأنك سكير نخير
- (٢٨) قد أفسدت أهل كلّهم بصحبتك ، فقال له : إن أذنت لي وسمعت أحتججت فقال له : قل ، فقال : أنا أمرؤ شاعر وسوقى إنما تنفق على الملوك وقد كسدت عندكم وأنا في أيامكم مطوّح وقد رضيّت منها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على مائة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفينه على ذلك شكرى وشعرى ، فإن كان ذلك غالبا عندك تبّت منه ، فأطرق المهديّ ثم رفع رأسه ، فقال : قد رفع إلى صاحب الخبر أنك تتاجن على السؤال ، وتضحك منهم ، قال : لا والله ما ذاك من فضلى ولا شائى ولا جرى منى قط إلا مرة واحدة ، فإن سائلا أعمى أعترضنى وقد عبرت الجسر على بقلّى ، فظننى من الجند فرفع عصاه في وجهى ، ثم صاح : اللهم سخر الخليفة لأن يعطى الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وترج التجار عليهم فتدثر أموالهم فيجب فيها الزكاة عليهم فيصدقوا علىّ منها ، فتفرت بقلّى من صياحه ورفعه عصاه في وجهى حتى كدت أسقط في الماء ، قتلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر فضولا منك ، سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوسائط التى لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول ، فضحك الناس منه ورفع علىّ في الخبر

[قول له هذا<sup>(١)</sup>] فضحك المهدي وقال : خلوه ولا يضرب ولا يُحبس ، فقال له :  
أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضى وتبرا ساحتى وأنصرف بلا جائزة ، قال :  
لا يجوز هذا ، أعطوه مائتي دينار ، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجد عنده ذنوبه ، وقال له :  
أخرج عن بغداد ودع محبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين ثم عد إلى فقال له :  
فأين أقصد ؟ قال : أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملا ويحسن إليك قال :  
قد رضيت ، فوفد إلى سليمان بكاتب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود  
ابن أبي هند فعزله به .

وأخبره في هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

### ذكر شيء من نوادر أبي الشبل

هو عاصم بن وهب بن البراء بن مولى الكوفة ، نشأ وتآذب بالبصرة ، وفد إلى  
سامراء أيام المتوكل ومدحه ، وكان طيباً كثير الفزل والنوادر والمجون ، فنفق عند  
المتوكل وخدمه وأختص به وأتمدحه بقوله

أقبل فأنخير مُقْبِل \* وأترك قول المَلَل

وثق بالنجح إن \* أبصرت وجه المتوكل

ملك يُنصف يا ظا \* لمتي فينا وبعد

فهو الناية والمأ \* مول يرجوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدل على  
ظرفه وسنذكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق ، وقدر

(١) الزيادة عن الأعمى .

(٢) سامراء : لغة في سرمن رأى وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت .

أن يسطيه ألف درهم، فبعث إليه بصره مخومة فيها مائة دينار فظن أنها دراهم فردعا إليه وكتب معها

فليت الذي جادت به كف مالك \* ومالك مدموسان في أسيت أم مالك  
وكان إلى يوم القيامة في أستها \* فأسر مفقود وأسرهاك

- وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر وقال :  
ما هذا؟ ظلمتنا واعتديت علينا، فقال : قد توت عندك ألف درهم فوصلني بمائة درهم  
فقال : أنفحها ففتحها فإذا فيها مائة دينار فقال : أظني أيها الأمير، فقال : قد أفتك  
ولك كل ما تحب أبدا ما بقيت وقصدي . قال وكان له جار طيب أحمق فأت فرناه  
فقال

- ١٠ قد بكاه بولُ المريض بدمع \* وأكيف فوق مقليه ذروف  
ثم شقت جيوبهن القواريرُ عليه ونُحْنَن نوح اللهيف  
يا كساد الخيار شنب والأقتر راص طراويا كساد السفوف  
كنت تمشي مع القوى فإن جا \* ضعيف لم تكثر بالضعيف  
لطف نفسي على صنوف رقاعا \* يت تولت منه وعقلي مخيف

- ١٥ وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هيرة يشرب النبيذ وكان يشنأنا، وكانت له  
جارية صفراء مغنية يقال لها : لهب، وكانت تشنأنا معه وكنت أعبت بها كثيرا فقام  
مولانا يوما إلى الجالية يستقي نينا فإذا قيصة قد أنشقت فقلت فيه

قالت له لهب يوما وجاد لها \* بالشعر في باب فعلاين ومفعول  
أنا القميصُ قد أزدى الزمانُ به <sup>(١)</sup> \* فليت شمري ما حال السراويل؟



قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضطرب على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع فقلت فيه

في الحى من لا علمت ختته \* فقى إذا ما قطعته وصلا  
له مجوز<sup>(١)</sup> بالحقي أبصر من \* أبصرته ضاربا ومرتبلا  
مادته مرة وكنت فقى \* ما زلت أهوى وأشهى الغزلا  
حتى إذا ما أمالها سكر \* شئت في قلبها لها مشلا  
إنكأ<sup>١</sup>ت يسرة وقد خرقت \* أشراجها كي تقوم الرملا  
فلم تزل إستها تطارحنى \* إسمع الى من يسومنى العملا

- وقال محمد بن المربان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبى ، وكان إذا حضرا ضحك  
الشكى بنوادره ، فقال له أبى يوما : حدثنا ببعض نوادرِكَ وطرائقِكَ قال : نعم ، من  
طرائف أمورى : أن أبى زنى بجمارية سندية لبعض جبرانى فحلفت وولدت وكانت  
قيمة الجارية عشرين دينارا ، فقال : يا أبت ، الصبي والله أبنى ، فساومت فيه  
فقبل لى : خمسون دينارا ، فقلت : ويلك ! كنت تخبرنى وهى حبل فاشتريها  
بعشرين دينارا وتربح الفضل بين الثنتين ، وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى  
أشتريته من القوم بما أرادوا ، ثم أحبلها ثانيا ، فولدت أبنا آخر ، فغضب يسألنى أن  
أبتاعه فقلت : عليك لعنة الله ، أى شىء حلك على أن تحبل هذه ، هل لا عزلت  
عنها ؟ فقال : إنى لا أستحل العزل ، ثم أقبل على جماعة عندى فجعل يقول : شيخ  
كبير يأمرنى بالنزل ويستحلّه ، فقلت له : يابن الزانية تستحل الزنا وتتحرج من  
العزل ؟ فضحكك منه وقتلنا له : وأى شىء أيضا ، قال : دخلت أنا ومحمود الوزاق الى  
جار له يهودى نحار ، فقلت : أريد نعرا بنت عشر قد أنضجها المخبير ، فأخرج لنا

(١) الحقي : الصراط .

شيئا عجيبا، فأبتعاه منه وشربنا، فقلت : أشرب معنا، فقال : لا أستحل شرب الخمر، فقال لي محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هذا ؟ يهودى يخرج من شرب الخمر ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل والله، لا نفلح أبدا ولا يعبأ الله بنا، ثم شربنا حتى سكرنا وقتنا بالليل فقلعنا بأبنته وأمرأته وأخته وسرقنا ثيابه ونشرنا في تيارات النيد وأنصرفنا .

### ذكر شيء من نوادر حمزة بن بيض الحنفي

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية وهو كوفي خلع ماجن، وكان منقطعا الى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة وأكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق وحلان وغير ذلك ألف ألف درهم، وله نوادر، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني عنه :  
أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يثبت به عبثا شديدا فوجه إليه ليلة رسول وقال : خذني على أي حالة وجدته وحلقه وغلظ عليه الإيمان على ذلك، فغضب الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاه فقال له : أجب الأمير فقال : ويحك ! إنني أكلت طعاما كبيرا وشربت نيدا حلوا وأخذني بطني، فقال : والله ما تفارقني أو أمضي بك إليه ولو سلحت في ثيابك، فجهد في الخلاص فلم يقدر عليه ومضى به فوجده قاعدا في طارئة<sup>(١)</sup> له وجارية جميلة جالسة بين يديه، وكان يحفظها، تسجر الند<sup>(٢)</sup> بغلس حمزة يحادثه وهو يبالغ ما هو فيه قال حمزة : فعرضت لي ربح فقلت : أستررها وأسترع لعل ربحها لا يظهر مع هذا الند فأطلقتها

(١) التيارات : جمع تيار وهو الخوض .

(٢) الطارئة : بيت من خشب كالقبة .

(٣) تسجر : تحرق .

- فغلبت والله ريح البخور وغمرته فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : على عهد الله وميثاقه وعلى المشي والمهدي إن كنت فعلتها وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة ، فغضب ونجحت الجارية فما قدرت على الكلام ، ثم جاءتني أخرى فسرحتها فسطع والله ريحها ، فقال : ما هذا ؟ ويلك ! أنت والله الآفة ، فقلت : أمرأتى طالق ثلاث إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه إيمين لازمة إن كنت فعلتها وما هو إلا عمل هذه الجارية وقال لها : ما قصتك ؟ ويلك ! قومي إلى الخلاء إن كنت تجددين شيئا فزاد نجسها وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها ما لم يكن في الحساب ، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض فقد نقصت على ليلتي فأخذت بيدها وخرجت ، فلقيني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أمض بهذه الجارية ، فقال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت لينقضنك بغضا لا تنفع به بعده أبدا ، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يتحفظاها ، وسيندم على هبته إياها لك ، فأبيت إلا بخمسة دینار ، فقال : ليس غير ما ذكرت لك ، فأخذتها وترك الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلما قربت من داره لقيني الخادم وقال لي : هل لك في مائة أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذا ؟ قال : إذا دخلت فادع الفسوات الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأنضح عن الجارية ما قرقتها به ، فأخذتها ودخلت على عبد الملك ، فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحكك ، قال : لك الأمان ، فقلت : أرايت ليلة كذا وكذا وما جرى ؟ قال : نعم قلت : فعلى وعلى إن كان فما تلك الفسوات غيري ، فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرني ؟ قال : فقلت : أردت بذلك خصالا ، منها : أني قت ففضيت حاجتي وقد كان رسولك معنى من ذلك ، ومنها : أني أخذت جاريتك ، ومنها : أني كافأتك



على أذاك لي بمثله . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها الى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار، فسر بذلك وأمر لي بمائتي دينار أخرى، وقال : هذه لجميل فعلك في وترِكَكَ أَخَذَ الجارية . قال حمزة : ودخلت اليه يوما وكان له غلام لم ير الناس أتنَّ إبطا منه ، فقال لي : يا حمزة، سابق غلامي هذا، حتى يفوج صنانكما فايكما كان صنانه أتن فله مائة دينار، فطمعت في المائة ويُسْتُ منها لما أعلمه من تن إبط الغلام، فقلت : أفعل، وتعادينا ساعة فسبقني، فساحت في يدي ثم طليت إبطي بالسلاح وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكا، فلما دنا الغلام منه وشمه وثب وقال : هذا والله لا يشاكله شيء، فصحت به : لاتعجل على الحكم، مكانك ! ثم دنوت منه فالتقت أنفه إبطي حتى علمت أنه قد خالط دماغه، وأنا أمسك رأسه تحت يدي، فصاح : الموت والله ! هذا بالكُفِّ أشبه منه بالإبط، فضحك عبد الملك ثم قال : أحكمت له ؟ قال : نعم فأخذت الدنانير . قال : ودخلت يوما على سليمان بن عبد الملك فلما مثل بين يديه قلت

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ شَنْتُ<sup>(١)</sup> نَحْرًا \* عَلَى بِنَفْسَجَا وَقَضَيْتُ دِيْنِي

فَصَدَّقُوا بِأَفْدَتِكَ النَّفْسُ رَوْيَا \* رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ لَدَيْكَ عَيْنِي

قال سليمان : يا غلام، أدخله خزانة الكسوة وأشتن عليه كل ثوب نخر بنفسجي، ففرجت كَأَنِّي مِشْجَبٌ<sup>(٢)</sup> ثم قال كم دينك ؟ قلت عشرة آلاف فأمر لي بها وما أعلم والله أني رأيت من ذلك شيئا .

(١) شنت بمعنى نسجت وحكت .

(٢) المشجب : حشبات تصب ليوضع عليها الثياب .

### ذكر شئ من نوادر أبي العيناء عن الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بنى حنيفة أهل اليمامة وأسر ياسر في سبيل في خلافة المنصور، فلما صار في يد المنصور أعتقه، فهم موالى بنى هاشم. وكان أبو العيناء ضرير البصر يقال : إن جده الأكبر لقي على بن أبي طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب؛ وهو ممن أشهر المجنون، وله نوادر وحكايات مستظرفة ومراسلات عجبية سأورد منها طرفاً، وأسطر طرفاً. فمن ذلك : أن بعض الرؤساء قال له : يا أبا العيناء أو مت رقص الناس طرباً ومروراً، فقال بديهة

أردت مذمتي فأجبت مدحى \* بحمد الله ذلك لا بمحك

فلا تك واتقا أبداً بعميد \* فقد أتى القضاء بغير عميد

ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا فلورأوني الموتى لطربوا لدخول مثل عليهم ، وحلول عقل لديهم، ووصول فضلى اليهم؛ فما زال الموتى يفتطونكم ويرحمونى بكم . وقال : واتصلت أشغال أبى الصقر الوزير فأخر توقيعه عن أبى العيناء برسومه فكتب اليه : رقتى أطال الله بقاء الوزير، رقعة من ظم شطك، فأطرح عدك، وحقق أمرك، فتبسط عذرك، أما والليل إذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما والصبيح إذا تنفس، فالبنان للغان، وهوامرات السلطان، فن أبو العيناء القرنان؟ فوق أبو الصقر تحت سطوره : لكل طعام مكان، ولكل معوز إيمان؛ وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظاً من المقسوم، وكفيتنا أنفسنا عذرك الذى هو تعزير، ولسانك الذى هو تحذير، والسلام. ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبته فقال : طاعة شيك، لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على ذنوبى اليك، وتجننى خلقى عليك، فقال

أبو الصقر : كبير حسناتك ، يستغرق يسير سيئاتك ، فدعا له وأنصرف شاكرا . قال :  
وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين ، فقال له قتي من أبناء الكذب  
كانت فيه جرأة : كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة ، وأنت زوجة أبي علي البصير ،  
فقال له أبو العيناء : قد ملكنا عصمتك بيقين لحواك ، ثم ننظر في شكوك دعواك ،  
وقد طلقت الناس كلهم سواك ؛ ذلك أدنى أن لا نعمل ، وفيك ما يروى الفحول ،  
ويتجاوز السول ، قال : ففضحه بهذا الكلام فلم يجبه . قال : وكان في بني الجراح  
قتي خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء فنهاه نصحاؤه فأبى ، فقالوا : شأنا ! فقال له :  
يا أبا العيناء قتي أسأمت ؟ فقال : حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك . فقال له  
الفتي : إذا قد علمت أنك ما أسأمت ، فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك دعوى ،  
وشهادتي عليهم بلوى ، وسترى أي السلطانين أقوى ؟ وأي الشيطانين أغوى ؟  
وسعلم أهلك ، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فنبأ من ذمته ، ودفعه إليه  
برقمته ، فقال له أبو العيناء : قد وهبت جوره لملكك ، وتصدقت بحقه على عقلك .

- ومن أخبار أبي العيناء أيضا : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم  
أنه غير فار ، فكتب إلى أبيه : أعلم الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا علي محمد أراد أن  
يترى فعقتي ، وأن يرصني فأرجلني ، أمرني بدابة تقف للنبوة ، وتستر بالبعرة ،  
كالقضيبي اليابس عجفا . وكالماشق المجهود دقا ، يساعد أعلاه لأسفله ، حبأفه<sup>(١)</sup>  
مقرون بسعاله ؛ فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لثعزيت ؛ ولكنه يجمعهما في الطريق  
المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله  
النسوان ، ويتناغم من فعله الصبيان ، فن صائح يصبح : داوه بالطباشير ، ومن  
قائل يقول : نق له من الشعر ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء

في الأمصار ، فلو أُعِين بنطقي ، لروى بحق وصلقي ، عن جابر الجعفي ، وطامر الشعبي ، وإنما أبيت من كتبه الأعرور ، الذي اذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا اختار لنفسه أخبث وأتزر ، فإن رأى الوزير أن يبدلني ، ويريني بمركوب يضحكني كما يضحك مني ، يحو بحسنه وفراسته ، ما سطره العيب بقبحه ودمامته ، ولست أرد كرامته ، سرجه وبلامة ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما هديه ، أو ينقض ما يمضيه ؛ فوجه اليه عبيد الله بذنونا من براذينه بسرجه وبلامه ، ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه فقال عبد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه ليشتريه الآن منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا تستك ، فقال : أعز الله الوزير لو لم أكذب مستريدا ، لم أنصرف مستفيدا ، وإنى وإياه لكما قالت امرأة العزيز : (الآن حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة بملاحضتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة . ودخل أبو العيناء على أبي الصقر وكان قد تأخر عنه فقال : ما أترك عنا ؟ قال : سُرِق حماري قال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم لم تأت على غيره ؟ قال : أبعدني عن الشراء فلة يساري ، وكهت ذلة المكاري ، ومنه العواري ؛ قال : وصار يوما الى باب صاعد بن محمد فقبل له : هو مشغول يصلي فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة ، وقال له صاعد يوما : ما الذي أترك عنا ؟ قال بقي ، قال : وكيف ؟ قال : قالت لي : يا أبت قد كنت تغدو من عندنا فتأتي بالخلعة السرية ، والجارزة السنية ، ثم أنت الآن تغدو مسدفا ، وترجع ممثا ، فإل من ؟ قلت : الى أبي العلاء ذي الدرايتين قالت : أعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيسفك ؟ قلت : لا ، قالت : أرفع مجلسك ؟ قلت : لا ، قالت : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئا ؟ . ولأبي العيناء مع المتوكل أخبار وحكايات ؛

- فنها : أن المتوكل على الله قال له يوما : يا أبا العيناء هل رأيت طالبيًا حسن الوجه قط ؟ قال : يا أمير المؤمنين أرايت أحدا يسأل ضريرا عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريرا فيا تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فقي ما رأيت أجمل منه ! قال المتوكل : تجده كان مؤابرا ويحك قوادا عليه . فقال أبو العيناء : أوفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ؟ أتأني أدع موالئ على كثرتهم وأقود على الغرباء ؟ قال :
- أسكت يا مابون ، قال : مولى القوم منهم ، فقال المتوكل : أردت أن أشتني به منهم فاشتني لهم مني . وقال له رجل من بني هاشم : بلغني أنك بقاء قال : ولم أنكرت ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ « مولى القوم منهم » قال : إنك دعي فينا قال : بغائي صحح نسي فيكم ، وسأل أبو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحب له ، فكتب الكتاب وناولوه الرجل ، فصاد به الى أبي العيناء وقال :
- قد أسعف ، قال : فهل قرأته ؟ قال : لا لأنه مخنوم ، قال : ويحك ! فضّه لا يكون صحيفة المتلمس ، ففضّه فاذا فيه : موصول كتابي سألتني فيه أبو العيناء وقد عرفت سفهه وبذوه لسانه وما أراه لمعروفك أهلا فإني أحسنت اليه فلا تحسبه على يدا وإن لم تحسن اليه لم أعهده عليك ذنبا والسلام ، فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان فاجعل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء هذه
- علامتي فيمن أعتني به ، قال : فاذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنها علامته فيمن شكر معرفه . وقال أبو العيناء : مررت يوما بدرب بسامراء فقال لي غلامي : يا مولاي ، في الدرب جمل سمين والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلسانى وصرت به الى منزلي ، فلما كان من الغد جاءني رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنا بالأمس جمل فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت سرقته فأمر برده متفضلا ، قال أبو العيناء فكتبت اليه : أي سبحان الله !

ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ ديننا يزعمون أنك بقاء والكذبهم ولا أصتقهم ،  
وتصنق أنت صيانت دريكم أنى سرقت الجمل ؟ قال فسكت وما عاودنى .  
ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب  
وتركنا ما سواه .

### ذكر ما ورد فى كراهة المزاح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مزح استخف به » .  
وقال حكيم : خير المزاح لا يبال ، وشره لا يقال ، سكرات الموت به مُحْدَقَة ، وعيون  
الآجال إليه مُحْدَقَة . وقال آخر : تجنب شؤم المزل ونكد المزاح فإنهما بابان إذا فتحا  
لم يبقا إلا بعد عسر ، وفلان إذا لقيا لم يتجا غرضا . وقالوا : المزاح يضع قدر  
الشريف ، ويذهب هبة الجليل . وقالوا لا تقل ما يسوءك عاجله ، ويضرّك آجله .  
وقالوا : إياك وما يستقبح من الكلام ، فإنه ينقر عك الكرام ، ويحسر عليك اللثام .  
وقال عمر بن عبد العزيز : أنقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة . وقال حكيم لأبيه :  
يا بنى إياك والمزاح فإنه يذهب بيهاء الوجه ويحط من المروءة . قال شاعر

إكره لنفسك ما لنفرك تكره \* وأفضل لنفسك فعل من يتتره

وأرفع بصمتك عنك سبب الورى \* خوف الجواب فإنه بك أشبه

ودع الفكاهة بالمزاح فإنها \* تودى وتسقط من بها يتفكّه

وقيل

ألا رب قول قد جرى من ممزح \* فساق إليه الموت فى طرف الحبل

فإن مزاح المرء فى غير حينه . دليل على قرط الحفاقة والجهل

وقيل

فإياك إياك المزاح فإنه \* يُجرى عليك الطفل والرجل النذلا  
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه \* ويورث بعد العز صاحبه ذُلا

وقال بعض البلغاء : المزاح حرف، والاقتصاد فيه ظرف، والإفراط فيه ندامة .

- وقالوا : من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقدٍ عليه ؛ ويقال : أكثر  
أسباب القطيعة المزاح ، وإن كان لا غنى للنفس عند الجمام ، فليكن بمقدار الملح  
في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله

أفد طبعك المكدود بالمهم راحة \* تراخ وعقله بنى من المزج  
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن \* بمقدار ما يُعطى الطعام من الملح

١٠

وقيل

إصرح بمقدار الطلاقة واجتنب \* مزحا تضاف به الى سوء الأدب  
لا تُنضبن أخا إذا ما زحته \* إن المزاح على مقدمة الغضب

وقيل

مازح صديقك ما أحب مزاحا \* وتوق منه في المزاح جماحا  
فلربما مزح الصديق بمزحة \* كانت لبدء عداوة مفتاحا

١٥

وقال سعيد بن العاص لولده : يا بني أقصد في مزحك فإن الإفراط فيه يذهب  
البهاء ، ويمرئ السفهاء . ويقال : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح . قال أبو التماهية

وترى الفقى يلقى أخاه وخذنه \* في بعض منطقهِ بما لا يُفكر  
ويقول : كنتُ ملاعبا وممازحا \* هيات ! نارك في الحشا تسعر

٢٠

ألقيتها وطفقت نصحك لاهيا \* وفؤاده مما به يتفطر  
أو ما علمت ومثل جهلك غالب \* أن المزاح هو السباب الأكبر

فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه الشئون، فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المزاحين .

### ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه

وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رفلت معانيه، في حلل أنفاسها، على صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه، بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها، من بديع إيناسها، يضحك سامعه وإن كان ثكلاً، ويستوفيه وإن كان تجللاً، هذا مع ما فيه من فحش القول الذي إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود الالاء، وإن لمحتنه في غيره كان أقفر من ظلم الليالي، نسأل الله المسامحة لكتابه وقائله، ومستتمعه وناقله، فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء

يا أبا أحمد بنفسي أفديك وأهلي من سائر الأسواء  
كيف كان انحطاط جعسك في طاعة شرب الدواء يوم الدواء  
كيف أمسى سبال مبعرك الندى لغيرها في المزة الصفراء  
وقال الحسن بن هانئ

للطعمة يلطمني أمرؤ \* تأخذني العين والفككا  
أطيب من قحاحة من يدي \* ذى حلية مشققة مسكا  
وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاج

قومي تتقي فلسطين من شاني \* قومي آذني لا يرأك شيطاني  
لا كان دهر عليك حصتي \* ولا زمان اليك أبلاني  
فعدت نفسي فوق طنفتي \* ما بين راحي وبين ريجاني  
لما علمنا من الكيف وقد حضرت إلابنا ووردان<sup>(١)</sup>

(١) بنات وردان : دوات حراء اللوز وأكثر ما تكون في الحمامات وفي الكف .



وقال أبو بكر محمد الخوارزمي

فسا الشيخ سهواً وفي كفه \* شرابٌ فلمناه لوما قيحا

فقال : لي الدخْلُ والخرجُ لي \* فادخلتُ راحا وأخرجتُ ريمحا

وقال ابن سكرة

• وبات في السطح مع صاحب \* من أكرم الناس ذوى الفضل

أفسو فيفسو فهو لي مسعدٌ \* وإنما أُملي ويسملي

## الباب الرابع

### من القسم الثالث من الفن الثاني

في الخمر وتحريمها وآفاتنا وجناباتها وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية،

ومن حدّ فيها من الأشراف ومن أشتهر بها، وليس ثوب الخلاعة بسببها، وما قيل

فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلائها وآيبتها، وما قيل في مبادرة اللذات،

وما وُصفت به المجالس وما يجري هذا المجرى .

### ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها

أجمع الناس على أن الخمر المحرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ هي المتخذّة من عصير

العنب بعد أن يغلى ويقذف الزّبد من غير أن يمسّها نارٌ وإذا أُنقِبت بنفسها وتخلّلت

طهرت من غير أن يتسبّب في ذلك بشيء يُلقي فيها، وطهارتها: إذا غلبت عليها

المخوضة وفارقها النشوة، والخمر المتخذة أيضا من التمر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم

فيا رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : « انخر من هاتين الشجرتين  
 النخلة والعنب » وفي حديث آخر « من هاتين الشجرتين الكرمة والنخلة » وعن عبد الله  
 ابن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول : « أما بعد ، أيها الناس ، إنه نزل تحريمُ الخمر وهي من خمسة ، من الخمر  
 والعنب والعسل والخطة والشعر » ؛ وانخر ما خامر العقل ولا خلاف بين أحد من  
 الأئمة في أن الخمر حرام لما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ؛ أما ما ورد في كتاب الله  
 عز وجل فأربع آيات ، منها ما يقتضى الإباحة ، ومنها ما يقتضى الكراهة والتحريم ،  
 فأول ما نزل فيها بحكمة قوله عز وجل : ( وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ  
 سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ) فكان المسلمون يشربونها يومئذ وهي حلالٌ لهم ، ثم أنزل الله  
 عز وجل بالمدينة : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ  
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ) نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وغير  
 من الأنصار أنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أتنا في الخمر  
 والميسر فإنهما منبهةٌ للعقل سلبةٌ لال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم « إن ربكم تقدم في تحريم الخمر » فتركها قوم للإثم الكبير  
 وقالوا : لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير ، وشربها قوم لقوله تعالى :  
 ( وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ ) وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنبون ما أمها إلى أن صنع عبد الرحمن  
 ابن عوف طعاما فدنا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم بخمر  
 فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا بعضهم ليصلي بهم ، فقرأ ( قُلْ  
 يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُوا مَا تَشَاءُونَ ) إلى آخر السورة بحذف « لَا » فأنزل الله عز  
 وجل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ )  
 فحرم السكر في أوقات الصلاة ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عز

وجلّ تقارب في النهى عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحزمها، فلما نزلت هذه الآية تركها قومٌ، وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة ، وقال قوم نشرها ونجلس في بيوتنا، فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة الى أن شربها رجلٌ من المسلمين، فجعل ينوح على قتلى بدرٍ ويقول

- نَحْيِي بِالسَّلامَةِ أُمُّ بَكْرٍ \* وهل لي بعد رهطك من سلام  
ذريني أصطليح بكراً فإني \* رأيت الموت كَفَتَ عن هشام  
وود بنو المغيرة لو فدّوه \* بألف من رجال أوسوام

في أبيات أخر، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فِرَاطَ يَمِزُ رداءه حتى انتهى اليه، ورفع شئاً كان في يده ليضربه، فلما عينه الرجل قال : أعوذ بالله

- من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبداً، ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : ( إِمَّا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ )؛ ورُوي أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب، وكان تزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة والله تعالى سبحانه أعلم وحسبي الله .

- وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب مارواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن ١٥  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أصبت شارفاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفاً أخرى من الخمس، قال علي : فلما أردت أن أبتى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً صَوَاعاً من بنى قَيْنِقَاعَ <sup>(٢)</sup> يرتحل معي فتأتى <sup>(٣)</sup> بإذخِرٍ أردت أن أبيعه من الصَّوْاعِينَ

٢٠ (١) الثارف : المسة المرة من الوق .  
(٢) قَيْنِقَاعُ هتج القاف وتثنيث الون : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .  
(٣) الإذخِر : الحشيش الأخضر وله نور طيب الرائحة .

فاستعين به على وليمة عرسى ، فبينما أنا اجمع لشارفى متاعا من الألقاب والفرائر والجلال ، وشارفاى متاختان الى جنب حجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما جمعت ، فاذا شارفاى قد أجبَّتْ أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أجادهما فلم أملك نفسى حين رأيت ذلك المنظر منهما ، قلت : مَنْ فصل هذا ؟ قالوا : فله حمزة بن عبدالمطلب وهو فى هذا البيت فى شَرْبٍ من الأنصار غتته قينة وأصحابه .  
قالت فى غنائها

• ألا يا حمز للشُّرفِ النَّوَّاءِ •

لم يذكر مسلم فى صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه ، والأبيات التى غنت بها  
ألا يا حمز للشُّرفِ النَّوَّاءِ <sup>(١)</sup> • وهن معْقُلاتٌ بالفناءِ  
ضع السكين فى اللَّبَّاتِ منها • فضرجهنَّ حمزةٌ بالدماءِ  
وعجِّل من شرائعها كُبابا • ملهوجة <sup>(٢)</sup> على وجم الصلاءِ  
وأصلح من أطايبها طيخا • لشريك من قديد أو شواءِ  
فانت أبا عمارة المربجى • لكشف الضر عنها والبلاءِ

قام حمزة بالسيف فأجبَّ أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أجادهما ،  
قال على : فأطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن  
خارثة ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهى الذى لقيت ،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم  
قط ، عدا حمزة على ناقتي فأجبَّ أسنمتها وبقر خواصرهما وها هوذا فى بيت معه  
شَرِبُ ، فدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فأرتداه ثم أطلق يمشى وأتبعته أنا

٢٠ (١) الشرف جمع شارف وهى الافة المسماة كما تقدم .

(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

- وزيد بن حارثة حتى جاء الباب الذي فيه حمزة فاستأذن فأذنوا له ، فإذا هم شرب ، فطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل وإذا حمزة تحمزه عيناه ، فنظر حمزة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر الى ركبته ثم صعد النظر الى سترته ثم صعد النظر ، فنظر الى وجهه ، فقال حمزة : وهل أتم إلا عيباً لأبي ؟ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تململ ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه .
- القهقري وخرج وخرجنا معه ؛ وفي حديث آخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : إن عمك قد تململ وهما لك علي ، فزعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ، فلما أصبح حمزة ، غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر ، فقال : مه يا عم ، فقد سألت الله فغفا عنك ؛ قالوا : وأتخذ عتيان بن مالك صليعاً ودعا رجلاً من المسلمين فنهيم سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بغير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم أفتخروا عند ذلك وأنفسوا وتناشدوا الأشعار وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار ونحروا لقومه ، فقام رجل من الأنصار فأخذ لحى البعير فضرب به رأس سعد فشججه شجّة موحشة ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الأنصار فقال عمر رضى الله عنه : اللهم يّٰ لا رأيتك في الخمر بيانا شافيا ، فانزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ) الآية الى (مُنْتَهَوْنَ) فقال عمر : آتيتها يارب ، وقيل : إنها حرمت بعد غزوة الأحزاب بأيام في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة والله أعلم ؛ قال أنس رضى الله عنه : حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر ، قال : فأخرجنا الجلباب الى الطريق فصبينا ما فيها ، فثنا من كسر حبه ، ومنّا من غسله بالماء والطين ، واتقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كما مطرت ، استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها ؛ وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنت ساق القوم

يوم حُرِّمَت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شربهم إلا الفَضِيخُ<sup>(١)</sup> والبسر والتمر، فاذا منادٍ ينادى فقال : أخرج فأنظر، فاذا منادٍ ينادى : ألا إن الخمر قد حُرِّمَت، قال : بَحَرَّتْ في سكك المدينة فقال لي أبو طلحة : أخرج فاهرقها فاهرقها، فقالوا أوقال بعضهم : قَتِلَ فلان ! قَتِلَ فلان ! وهى في بطونهم ، فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).



### وأما ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبيئته السُّنَّةُ

فالأحاديث متضافرة في تحريمها فن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من مات وهو ممنون تحمى لى الله وهو كعائِد وثن » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة مدمون خمر » وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيرد عليه ذلك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفي -  
 ١٠ سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها وقال : إنما أصنعها للدواء، فقال : « إنها ليست بدواء ولكنه داء » وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سألته رجل قدم من جيشان - وجيشان من اليمن - فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الفرة يقال له : المززر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 ١٥ «أو مسكر هو؟» قال : نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » فقالوا : يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال : « عَرَقُ أهل النار » وعن أبي عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مسكر نمر وكل مسكر حرام وممن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يؤمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة » وفي لفظ « حُرِّمَها في الآخرة »

(١) الفَضِيخ : نية يسد من البسر والتمر .

- فلم يُسْقَهَا « وفي لفظ « إلا أن يتوب » ؛ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حُرِّمَتِ الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كل شرابٍ ، وعنه رضي الله عنه : من سَرَهُ أن يُحَرَّمَ ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُهُ فليحزم النبيذ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » أخرجه البخاري في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ



- والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طُبِّخَ حتى ذهب ثلثه وبقي ثلثه ، سُمِّيَ بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده ، وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كل عَصِيرٍ طُبِّخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يكره ، وإن طُبِّخَ حتى ذهب ثلثه وبقي ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرامٌ ، وحجته في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثه وبقي ثلثه ؛ وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما بعد ، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له آتين ولكم واحد ؛ وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه : أن نوحاً عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم ، فقال : هذا لي ، وقال : هذا لي ، فأصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثها ؛ وسئل سعيد بن المسيب : ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله عنه ؟ فقال : الذي يطبخ حتى يذهب ثلثه ويبقى ثلثه ؛ وحكى أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثه وبقي ثلثه ؛ وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار

في مثلث لم يسكر البتة، ودليل ذلك ما حكى عن عبد الله بن عبد الملك بن الطفيل الخزرجي قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز: أن لا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكل مسكر حرام ، هذا الذي عليه أكثر العلماء، وقال قوم : اذا طَبَخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن عتيبة وبشر المريسي وجماعة من أهل العراق، وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذي رُخِّص فيه إنما هو <sup>(١)</sup> الرُّبُّ <sup>(٢)</sup> والدُّبْسُ والله عز وجل أعلم .

### ذكر آفات الخمر وجنباياتها

وآفات الخمر وجنباياتها كثيرة لأنها أم الكبائر، وأول آفاتنا أنها تُذهب العقل، وأفضل ما في الإنسان عقله، وتحسن القبيح وتقبح الحسن، قال أبو نواس الحسن ابن هاني عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف

إِسْقَى حَتَّى تَرَانِي \* حَسًّا عِنْدِي الصَّبِيحُ

• وقال أيضا

إِسْقَى صِرْفًا حَمِيًّا \* تَرَكَ الشَّيْخَ صَبِيًّا

وَتَرِيهِ النَّحْيَ رُشْدًا \* وَتَرِيهِ الرُّشْدَ غَيًّا

• وقال أبو الطيب

رَأَيْتُ الْمَدَامَةَ غَلَابَةً \* تَهْجُجُ لِلرَّءِ أَسْوَاقَهُ

نَسِيءٍ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيَةً \* وَلَكِنْ تَحْسَنُ أَخْلَاقَهُ

وَأَنْفَسَ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ \* وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِتْفَاقَهُ

وَقَدِمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَيَّةٌ \* وَمَا يَنْتَهِي الْمَوْتُ مِنْ ذَاقَهُ

٢٠ (١) الرُّبُّ : ما يُلِجُّ من النمر، أو سلاخة خبازة كل ثمرة بعد أعصارها . (٢) الدُّبْسُ : عمل النمر.



قالوا : وإنما قيل لمُشارب الرجل : نديمٌ ، من التدامة لأن معارف الرجل الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه ، فقيل لمن شاربه : نادمه ، لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له ، كما يقال : جالسه فهو جليس له ، والمعاقر : المدمن ، كأنه لزم عقر الشيء أى فناه ، وقد شُهر أصحابُ الشراب بسوء المهد وقلة الحفاظ ، وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغنيت عنه حتى تنفقر ، وما عوفيت حتى تتكب ، وما غلت دنائتك حتى تتزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ؛ قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه

أرى كل قوم يحفظون حريمهم \* وليس لأصحاب النبذ حريمٌ  
اذا جتّم حيوك ألفا ورحبوا \* وإن غبت عنهم ساعة فندمٌ  
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم \* وكلّهم رث الوصال سئومٌ  
فهذا بياني لم أقل يمهالة \* ولكنى بالفاسقين علمٌ

قيل : سقى قومٌ أعرابيةً مسكراً فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا : نعم ، قالت : فما يدرى أحدكم من أبوه؟ وقال قصي بن كلاب لبنيه : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : معاذ الله ! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم؟ وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقل . وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك؟ قال : إني رأيتها تُذهب العقل جملةً وما رأيت شيئاً يذهب جملةً ويعود جملةً . وقال عبد العزيز بن مروان نصيب بن رباح : هل لك فيما يتمر المحادثة؟ يريد المناذمة ، فقال : أصلح الله الأمير ! الشُّعرُ مغفلٌ واللونُ مُرمدٌ ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلٌ ولساني فإن رأيت أن لا تفترق بينهما فافعل ؛ ودخل نصيبٌ هذا على عبد الملك

أبن مروان فأنشده فاستحسن عبدُ الملكِ شِعْرَهُ فوصله ثم دعا بالطعام فطعم معه، فقال له عبد الملك : هل لك تادم عليه؟ قال : يا أمير المؤمنين تأتلى، قال : قد أراك، قال : يا أمير المؤمنين ! جلدى أسود وخَلَقى مشوّه ووجهى قبيح ولست فى منصب، وإنما بلغ بى مجالستك ومواكلتك عِظى وأنا أكره أن أدخِل عليه ما يَنقُصُه، فأعجبه كلامه وأعفاه . وقال الحسن : لو كان العقل عَرْضاً لَتَنَالى الناسُ فى ثمنه، فالحجب لمن يشتري بماله شيئاً ليشربه فيُنهبُ عقله ! . وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف فى وفدة وفدها عليه وقد أَكَلَا : هل لك فى الشراب؟ قال : يا أمير المؤمنين ! ليس بحرام ما أحللت ولكن أمنع أهل عملى وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ) . وقالوا : للنبذ حدان : حدٌ لاهمَّ معه، وحدٌ لا عقلَ معه، فعليك بالأوّل ١٠ وأتقِ الثانى . ومن آفات الخمر اقتضاح شاربها برميحها عند مَنْ يحقش منه ويتقيه ويخافه فلا يستطيع مع وجود رميحها إنكارَ شربها، والولاء تحذّر بالاستنكاك لأن تُمارها يثبت فى الفم اليوم واليومين بعد تركها فمن شربها ساعة وهو يحقش من الناس أن يظهر ذلك عليه أحتاج الى الإقطاع فى يته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة وقد تحيّل الذين يشربون الخمر على قطع رميحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها، فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المُرّ والبَسْبَاسَةِ والسُّمْدِ والجَنَاحِ والْقَرْفُلِ أجزاءً متساوية وجرآن من الصمغ ويدق ذلك ويحبّل بماء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم كما زعموا، وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات فى أربعة أبيات فقال

(١) البسباسة : شجرة معروفة .

(٢) السمد : طيب له منافع عجيبة .

مرٌ وبسباسةٌ وسُعدٌ \* الى جناح وماءٍ وردٍ  
ينظمها الصمغُ إن تلاء \* قرنفل الهند نظم عِقْدٍ  
أجراؤها كلها سواءٌ \* والصمغ جزاءن، لاتعدى  
فيه لذي مِرّةٍ شفاءٌ \* وصونٌ عِرَضٌ وحفظٌ ودٌ

### ذكر أسماء الخمر من حيث تُعصر الى ان تُشرب

٥. الخمر اذا عُصِرَ فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل : السِّلَاف، وأصله من السِّلَف وهو المتقدم من كل شيء، وهو في مثل ذلك الخُرطوم أيضا، ويقال للذي يعصر بالأقدام : العصير، والموضع الذي يُعصر فيه : المَعصرة، والنَّطْل ما عُصِرَ فيه السِّلَاف، ويقال للعاصر: الناطِل، ثم يُترك العصيرُ حتى ينثلي فاذا غلا فهو نحر، وقيل : سميت نحرًا، لأنها تحاصر العقول فتخالطها، وقالوا : لأنها تتخمر في الإناء،
١٠. أى تنطى وهي مؤنثة، ويقال لها: القهوة، لأنها تنهى عن الطعام والشراب، يقال: أقهى عن الطعام وأفهم عنه اذا لم يشتهه، ومن أسمائها : السُّمُول، سميت بذلك لأن لها عصفةً كمصفاة الشّمال، وقيل : لأنها تشمل القومَ بريحتها، ومنها : السِّلَاف والسُّلافة والخُرطوم وقد تقدّم معناها، ومنها : القَرَقَف لأن شاربها يقرقف اذا شربها، أى يردد، يقال : قَرَقَفَ وقَفَقَفَ، وقال أبو عمرو : القرقف اسم للخمر غير صفة وأنكر قولهم سميت بها لأنها ترعد، ومنها : الراح : لأنها تكسب صاحبها الأريحية أى خفة العطاء، ومنها : العقار لأنها عاقرت الدنّ، وقيل : لأنها تعقر شاربها من قول العرب : كلاً بنى فلان عقار، أى يعقر الماشية، ومن أسمائها : المدامة والمدام : لأنها داومت الطُرف الذى آتبت فيه، والريحى : ومعناه الخالص من الغش، وقيل الصافى، وقيل العتيق، والكيت : سميت بذلك للونها اذا كانت
- ٢٠.

تضرب الى السواد، والجريال : وهو صيغ أحمر سميّت بذلك لونها أيضا، والسيئة  
والسباء وهي المشتراة وأصلها مسبوعة يقال : سبأت النحر اذا اشتريتها، والمشعشة :  
وهي المزوجة، والصباء : وهي التي عُصرت من العنب الأبيض، والشموس :  
شبهت بالدابة التي تجمع براكها، والخنديس : وهي القديمة، والحانية : منسوبة  
الى الحانة، والماذية : اللينة يقال : عسل ماذى انا كان لينا، والعانية : منسوبة  
الى عانة، والسحامية : اللينة من قولهم : قطن سُحَامٌ أى لين وثوبٌ سُحَامٌ، قال الراجز  
كأنه بالصحصحان الأثجِل<sup>(١)</sup> \* قطنٌ سُحَامِيٌّ بأيدي غُرُلٍ

والمزّة والمزء لطعمها، والإسفنط قال الأصمعي : هو بالرومية، والغرب : ومعناه  
الحذ، وغرب كل شيء حذّه، ولعلها سميّت بذلك لحقتها، والحميا وحميا كل شيء  
سورته وحذته، والمضطار : الخلّة ويقال : المضطار بالضاد أيضا، والخطّة :  
المنقوعة الطعم، والمتنقة : التي قد طال مكثها، والإثم : اسم لما لعله وقع عليها لما  
في شربها من الإثم، والحق كذلك، قال الشاعر

شربت الإثم حتى ضلّ عقل \* كذلك الإثم يفعل بالعقول

والمعرق المزوج قليلا، يقال : عرّق من ماء أى ليس بكثير، ومن أسمائها :  
الفنديد والقبيح وأتم زنبق والمقطب والعلوس والسلسل والسلسل والزرجون  
والكفء والجرباء والعانة والطابة والتاجود والكاس والطلاء، قال عبيد بن الأبرص

هي النحر صرفا تكتفى<sup>(٢)</sup> الطلاء \* كالنثب يُسمى أبا جعدة

وبالباقي والبخت فارسيان، والجهوري، والمقددي : منسوبة الى قرية من قرى  
الشام، والمزء من فواك : هذا أمرى من هذا أى أفضل، والتيزد والبثع، نيزد السلسل،  
والسككة من الذرة، والجمعة من الشعير، والقضيخ من البسر، والمز من الحبوب .

(١) الصحصحان : ما استوى من الأرض . (٢) الأثجِل : الراوع .

(٣) وجد في اللسان : وقالوا هي النحر تكتفى الطلاء \* كالنثب الخ .

ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترفعا عنها

- كان من تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جُدعان التيمي وكان سيّدا جوادا من سادات قريش، وسبب تركه لها أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت التميمي فاصبحت عين أمية غضرة نخاف عليها الذهاب، فسأله عبد الله : ما بال عينك؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها البارحة، قال : وبلغ مني الشراب ما أبلغ معه من جليسي هذا المبلغ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال : انمحر على حرام، لأذوقها أبدا، وقال فيها

شريت انمحر حتى قال صهيبي : \* ألسن عن السقا بمستفيقي؟

وحق ما أوسد في مييت \* أنام به سوى الثرب السحيقي

- ومن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المقرئ، والسبب في ذلك أنه سكر ففمز عكنة أبنته أو أخته فهربت منه، فلما صحا أخبروه فحزم انمحر على نفسه، وقال في ذلك

وجدت انمحرَ جاعمةً وفيها \* خصالُ تفضح الرجلَ الكريما

فلا واقهٍ أشربها حياقي \* ولا أدعو لها أبدا نديما

- ولا أعطى لها ثمتا حياقي \* ولا أشنى بها أبدا مقيا

فإن انمحرَ تفضح شاربها \* وتجشمهم بها أمرا عظيما

إذا دارت حياها تملّت \* طوالج تسفه الرجلَ الحليما

ومنهم : عامر بن الظرب العدواني، قال

سأله الفتى ما ليس في يده \* فعابته بقول القوم والمال

- أقسمت بالله أسقيها وأشربها \* حتى يفرق تربُ القبرِ أوصالي

ومنهم : صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكَلَمِيّ وعُفَيْف بن معد يكرب الكِنْدِيّ والأُسْلُوم بن نَافِي من هَمْدَان ومِقَاس بن صَدْي السَّهْمِيّ وكان سكر بفعل يَخْطُ ببوله : أُنَامَةُ أو بَعِير؟ فلما أَفَاق وأخبر بذلك حَرَمَهَا . ومنهم : العَبَّاس بن مَرْدَاس السَّامِيّ قيل له : لم تَرَكْتَ الشَّرَاب وهو يَزِيد في جرأتك وسماحتك؟ فقال : أكره أن أَصْبِح سَيِّد قَوْمِي وأَمْسَى سَفِيهَهُمْ . ومنهم : سَعِيد بن رَبِيعَةَ بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة، وقال زيد بن غليان

بئس الشراب شراب حين تشربه \* يوهي العظام وطورا يوهي المصيب<sup>(١)</sup>  
إني أخاف ملكي أن يعبذني \* وفي العشيرة أن يُزري على حسي  
وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى  
وقليله للناس .

ذكر من حَدِّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر بها  
ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن أفتخر بشربها  
فأما من حَدِّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْط وهو أخو عثمان  
ابن عفان لأُمِّهِ ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صَلَّى بهم الصبح ثلاثَ ركعاتٍ وهو  
مسكران ثم أُلْتُفَت اليهم فقال : وإن شتمت زدتكم ، فخلده عبيد الله بن جعفر بين يدي  
عثمان رضي الله عنه ، وسند ذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بجملتها في الباب الثاني من  
القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضي الله عنه . ومنهم :  
عبيد الله بن عمرو بن الخطاب شرب بمصرفته بها عمرو بن العاص سراً ، فلما قدم على  
أبيه جلده حدًا آخر علانية . ومنهم : عبد الرحمن بن عمرو بن الخطاب المعروف بأبي

(١) كما بالأصل ولعل صوابه "وطورا موهن المصيب" .

١٠ صحمة، حده أبوه في الشراب فأت تحت حده. ومنهم : عاصم بن عمر بن الخطاب، حده بعض ولاية المدينة . ومنهم : قدامة بن مظعون، حده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة علقمة الحصى وغيره . ومنهم : عبد الله بن عمرو بن الزبير، حده هشام بن إسماعيل المخزومي . ومنهم : عبد العزيز بن مروان، حده عمرو بن سعيد الأشدق . ومنهم : أبو معجن الثقفي وأسمه عمرو بن حبيب، وكان مغرماً بالشراب، حده عمر مرارا في النحر، وحده سعيد بن أبي وقاص مرارا وشهد القادسية وأبلى بلاء حسنا، ثم حلف بعد القادسية أن لا ينوق النحر أبداً ومات ثاباً عنها، وأنشد رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله

إذا مت فادفني إلى جنب كريمة \* تروى عظامي بعد موتى عروفا

ولا تدفني في القلاة فإني \* أحاف إذا ما مت أن لا أدفنيها

١٥ قال عبد الله : حدثني من رأى قبره بأرمينية بين شجرات كرم يخرج إليه الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبوا على قبره . ومنهم : إبراهيم ابن هرمة وكان مغرماً بالشراب، حده جماعة من عمال المدينة فلما طال ذلك عليه رحل إلى أبي جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل إلى المهدي وأمتدحه بقصيدته التي يقول فيها

له لحظات في حفاقي سريره \* إذا كرها فيها عذاباً ونائل

له تربة بيضاء من آل هاشم \* إذا أسود من لؤم التراب القبائل

٢٠ فاستحسن شعره وقال له : سل حاجتك، فقال : تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة أن لا يحدني على شراب، فقال له : ويلك ! لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليت مكانه لفعلت، قال : يا أمير المؤمنين ! ولو عزلته ولتيت مكانه أما كنت تعزلي أيضاً وتولي غيره، قال : بلى، قال : فكنت أرجع إلى سبقي الأولى فأخذ، فقال

المهدى لوزرائه : ما تقولون في حجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطّف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ! إنه سألنا لا سبيل إليه ، إسقاط حدٍّ من حدود الله عزّ وجلّ ، فقال المهدى : له حيلة إذا أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا الى عامل المدينة : مَنْ أتاك ببن هرمة سكرانا فاضربه مائة سوط وأجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان اذا شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بختان ؟



وأما من شربها منهم وأشهرها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلقاء ، منهم يزيد بن معاوية شهر بشربها ، وكان يقال له : يزيد الخمر ، روى هشام بن الكلبي عن أبيه قال : وجّه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدري ، وعند يزيد أمراته أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسكروا وأنشأ يقول

إذا ارتفعت على الأنماط في عُرف \* بذير مُرّان عندى أم كلثوم  
فأبالي الذي لاقت جيوشهم \* بالقدوة<sup>(١)</sup> من حمى ومن موم<sup>(٢)</sup>

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت ها هنا ؟ الحق بهم ، وسيّره الى قتال الروم . ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يسمّى : حمامة المسجد ، لأجهاده في العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافة اليه شرب ، فقال له سعيد بن المسيّب بلغني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إى والله والدماء . ومنهم يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حِجَابَة وسَلَامَة ، وأخباره مشهورة . ومنهم ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خلع وقُتِل ؛ وله في ذلك حكايات وأشعار ، منها : أنه سمع بُسْرَعة بن الزندبوذ الكوفي وكان من

(١) القدوة : أسم يد . (٢) الموم : البرسام وأشد الجُدري .

(٣) حِجَابَة وسَلَامَة : قبتان مشهورتان .



- أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب فاستدعاه بالكوفة الى دمشق فعمل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرعة، ما أرسلت اليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حماراً، قال : وإنما أرسلت اليك لأسألك عن القهوة، قال : أنا دهقانيا الخبير ولقمتها الحكيم وطبيبها الماهر، قال : فأخبرني عن الشراب، قال : سل عما بدا لك، قال : ما تقول في الماء ؟ قال : لا بد منه، والحمار شريك في، قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيت به إلا أستحييت من طول ما أروضتني أمي به، قال : فالسويق ؟ قال : شراب الحزين والمستجبل والمريض، قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع الأملاء سريع الإفشاش، قال : فنيذ الزبيب ؟ قال : حاموا به عن الشراب، قال : فالخمر ؟ قال : تلك والله صديقة روعي، قال : وأنت والله صديق روعي، قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب ١٠ فيه على وجه السماء؛ ومن شعر الوليد

خذوا ملككم لأبنت الله ملككم \* ثباتا يساوى ما حيت عقلا  
دعوا لي سلمى والنيذ وقينة \* وكأسا، ألا حسبي بذلك مالا  
أبالمك أرجو أن أخلد فيكم ؟ \* ألا ربّ ملك قد أزيل فزالا

٤٤

- ومنهم المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار، منها : أنه شرب هو ويحيى بن أكرم القاضي وعبد الله بن طاهر، فتعامل المأمون وأبن طاهر على سكر يحيى، فأشار الى الساقى فأسكره، وكان بين أيديهم رزم من الورد والراحين، فأمر المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والراحين وصبروه فيه، وعمل بيني شعر ودعا قينة فجلست عند رأس يحيى وغنت بالشعر

- دعوتيه وهو حي لا حياة به \* مكفنا في ثياب من رياحين ٢٠  
فقلت: قم، قال: رجلى لا تطاوعني \* فقلت: خذ، قال: كفى لاتوانيني

فانتبه يحيى لرثة العود وصوت الجارية فقال

يا سيدي وأمير الناس ظمهم \* قد جار في حكمة من كان يسقيني  
إني غفلت عن الساقى فصيرني \* كما ترانى سليب العقل والدين  
فانظر لنفسك قاض إننى رجل \* الراح يقتلنى والروح يُحيينى

ومنهم العباس بن علي بن عبد الله بن العباس وهو عم المنصور، كان يأخذ الكأس بيده ويقول : أما العقل فتلقين ، وأما المروءة فتمحقين ، وأما الدين فتُفسدين ، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النفس فتسحين ، وأما القلب فتشجّمين ، وأما الهمة فتطردين ، أفتراك منى تفتلين ؟ ثم يشربها . ومنهم بلال بن أبي بردة فُضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميري

وأما بلالٌ فذاك الذى \* يميل الشراب به حيث مالا ١٠  
يهت يمحس عتيق الشراب \* كمحس الوليد يخاف الفصالا  
وبصبح مضطربا ناعسا \* تخال من السكر فيه أحوالا  
ويمشى ضعيفا كثنى التريف <sup>(١)</sup> \* تخال به حين يمشى شكالا

ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله التقي قاضى الكوفة وفُضح بمنادمة سعد بن هبار

وفيه يقول حارثة بن بدر ١٥

نهاره فى قضايا غير عادلة \* وليله فى هوى سعد بن هبار

ومنهم آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول

هاك فاشرب يا خللى \* فى مدى الليل الطويل

قهوة فى ظل كرم \* سُييت من نهر نيل

فى لسان المرء منها \* مثل لدغ الزنجيل

٢٠

إِنَّمَا أَذْهَبَ مَا لِي \* طَوَّلُ إِيمَانِ الشُّمُولِ<sup>(١)</sup>  
وَحَتِيبُ السُّودِ ثَنِيْدٌ \* يَدَا ظَلِي كَجِيلِ  
فَالطَّوِيلُ الْعُنُقِي الْأَ هَيْفُ كَالسِّيفِ الصَّقِيلِ  
يَا خَلِيلُ أَسْقِيَانِي \* وَاهْتَظَا بِالشَّمْسِ زَوِيلُ  
قُلْ لِمَنْ لَامِكُ فِيهَا \* مِنْ نَصِيحٍ أَوْ عَنُودِ  
يَقِي بَيْنَ الْبَابِ وَالِدَا \* رَعَى نَعْبَ الطَّلُولِ

- وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لي، فقالوا : أما فلان إذا شرب نرق ثيابه وثياب نديمه، فقال : سوف يدع هذا شربها، قالوا : وأما فلان فإذا شربها تقياً في ثيابه، قال : وهذا سوف يدعها، قالوا :  
وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون لا ينال أحداً بسوء، قال : هذا لا يدعها أبداً .  
ومنهم حارثة بن زيد العدواني - رجل من تميم - دخل يوماً على زياد بن أبيه وبوجهه أثر، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال : أصلح الله الأمير، ركبت فرسي الأشقر فجمع بي حتى صدمني الحائط، فقال : أما أنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصبك مكروه<sup>(٢)</sup> . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف بن قيس، وكان الأحنف ينهأ عنها وهو لا ينتهي ويحبه بشعر في مدحها وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسَّنِّ في حال صباه وحدثته . ومنهم والبة بن الحُباب الأسدي وهو الذي ربي أبا نواس وأدبه وعلمه الفتوة وقول الشعر، حكى أن المنصور قال له يوماً : ادخل إلى محمد - يعني المهدي - وحديثه، فدخل عليه، فأول ما أنشده قوله

(١) الشمول : من أسماء الخمر .

(٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرو : لا تكن ناسيا \* وسقني لا تمحسن كاسيا  
وأردد على الهيثم مثل الذي \* هجت به ويحك وسواسيا  
وقل لساقينا على خلوة : \* أذن كذا رأسك من راسيا

٢٥

فبلغ ذلك المنصور، فقال : لا تميلوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده .  
ومنهم أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شيبث بن ربيع البربوعي  
حج به نصر بن سيار، فلما ورد الحرم قال له نصر : إنك يفتاء بيت الله الحرام ومحل حرمه  
فدع الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويكي ويقول  
رضيخ مدام فارق الراح روعه \* فظل عليها مستهل المدايح  
أديرا على الكأس إني قدتها \* كما فقد المفلوم در المراضع

١٠ ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا، فقال له : أفسدت شرفك، فقال : لو لم أفسد  
شرفي لم تكن أنت اليوم والى خراسان . ومنهم سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا .  
ومنهم الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هاني وكان خليعا ماجنا مليح  
الشعر وهو الذي يقول

ألا إنما الدنيا وصال حبيب \* وأخذك من مشولة بنصيب  
وعيشك بين المسمعات ممعنا \* بفتن من عزف وشدو مصيب  
وأنس وإنسان تلذ بقربه \* وبنلة معشوق ونوم رقيب  
وعدى ساعيت النهار ورقبتي \* إلى الشمس لما آذنت بمغيب

١٥

ومنهم يحيى بن زياد وهو الذي يقول

أعاذل ليت البحر نمر وليتي \* مدى الدهر حوت ساكن لجة البحر  
فأضحي وأمسى لا أفارق لجة \* أروى بها عظمى وأشفي بها صدرى  
طوال الليالي ، ليس عني بناضب \* ولا ناقص حتى أصير إلى الحشر

٢٠

ومنه أبو نواس الحسن بن هانيء ممن اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة  
القيان، وله في الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره  
طرفاً . حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نواس قد خلعت عذارك وأطلت  
الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء ! فاطرق ثم قال

فأقول شريك طرْحُ الرءاء \* وآخر شريك طرْحُ الإزار  
وما هتألك الملاحى بمثل \* إمامة مجيد وإحياء عار  
وما جاد دهرٌ بلذاته \* على من يَضُنُّ بخلع العذار

فانصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهيل فاجر .  
ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره في ذلك، أنه بلغ إخوانه عنه أنه ترك  
الشراب واللذات وأخذ في الزهد والصلاة في أوقاتها فاجتمعوا إليه وأقبلوا يهتثونه ،  
فوضع بين يديه باطيةً وجعل لا يدخل إليه أحد يهتثه إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد

قالوا : نزعْتَ، ولما يعلموا وطرى \* في كلِّ أغيد ساجى الطرف مياس  
كيف التزوع وقلبي قد تقسَّمه \* لحظَّ العيون وقرعُ السنِّ بالكاس  
لا خير في العيش إلا في المجون مع الشاكفاء والراح والريحان والآس  
ومُسمع يتغنى والكئوس لها \* حثَّ علينا بأحماس وأسداس  
يا مورى الزند قد أكتب قوادحه \* أقبسُ إذا شئت من قلبي بمقباس  
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم \* إذا نظرتُ فلم أبصرَكَ في الناس

ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحواً من سنة حتى ظنَّ أنه قُتل، فقال الرشيد :  
لئن صحَّ عندي أنه قُتل لأقتلن قاتله ولو كان المأمون، انظروا من كان هماً من الناس  
فاكتبوا اسمه وأرضوه إلى ، فأرجمت لذلك بغداد فلما كان على رأس الحول إذا نحن  
به قد وافي قتلنا له : يا أبا علي ! غبت عنا هذه الغيبة فغممتنا، قال : كنت في موضع

أرتضيه وأشتهيه، فقلبا : ألم تسمع بانقاداتك وقول الرشيد فيك ؟ ولم يبق أحد من إخوانه إلا عدله ولامه فقال

إني لقي شغل عن العاذلين \* بالراح والريحان والياسمين  
عند غلام حسن وجهه \* قلبي حيس بهواه رهين  
قولي إذا صرت على ظهره \* كقول قوم رحلوا ظاعين  
سبعان من سخر هذا لنا \* يوما وما كنا له مقرين

فلما أنشدوها، قال : بجيأتني من يساعدي منكم ؟ حتى أريه إياه فتمنوني أو تحسدوني، فضى بنا إلى الموضع فإذا بنلام من أحسن الناس وجهها، فقال له : بجيأتك غن، فغنى، فإذا هو من أحسن الناس غناء، فقال : من يلومني أن أقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جمع لي فيه كل معنى أشتهيه وأرتضيه ؟

آتهى . وحلت الفضل بن سلمة عن الثوري، قال : خرج الحسن بن هاني ومعه مطيط صاحبه حتى أتيا دار نهمار، فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نخرج بهذا النهمار، فدخلوا فسلموا فودع عليهما، فقال له الحسن : أعندك نمر صيغة يا نهمار ؟ فقال : عندي منها أجاس، فأيا تريد ؟ قال : التي يقول فيها الشاعر

مُجِبَّتْ خَيْفَةً وَصِبَتْ بَخَامَت \* بكلاء العروس بعد الصبيان  
وكان الأكف تُصَبِّغُ من ضو \* سناها بالورس والعفيران

فلما له النهمار قدحا من نمر صفراء، كأنها ذهب ملول فشربه الحسن وقال : أحسن من هذا أريد، فقال له النهمار : أي جنس تريد ؟ قال التي يقول فيها الشاعر

دفعنا أيدي الموابر حتى \* صيرت جسمها بحكم الهواء  
فهى كالنور في الإثاء وكالنا \* وإذا ما تصير في الأحشاء

فَلَا لَهُ الْخَمَارُ قَدْحًا مِنْ خَمْرٍ، كَأَنَّهُا الْعَقِيقُ فَشْرِبَهُ وَقَالَ : أَرْغِفْ مِنْ هَذَا أُرِيدُ ،  
فَقَالَ : أَيْ جَنْسٍ ؟ قَالَ : الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ  
وَإِذَا حَسَا مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً \* سَمَّحَ الْوَضِيعُ كَفْعِلِ ذِي الْقَدْرِ  
فِي لَوْنٍ مَاءِ الْغَيْثِ إِلَّا أَنَّهُ \* يَبِينُ الضُّلُوعُ كَوَاقِدِ الْجَمْرِ

٥. فَلَا لَهُ قَدْحًا مِنْ خَمْرٍ بِيضَاءٍ، كَأَنَّهُا مَاءُ الْمَزْنِ فَشَرِبَ الْحَسَنُ وَقَالَ لِحَمَارٍ : أَعْرِفْنِي ؟  
قَالَ : إِي وَاللهِ يَا سَيِّدِي أَنَا أَعْرِفُ النَّاسَ بِكَ ، قَالَ مِنْ أَنَا ؟ قَالَ أَنْتَ الَّذِي يَسْكُرُ  
مِنْ غَيْرِ وَزَنْ ، فَضَحَكَ الْحَسَنُ وَقَالَ لِمَطِيْطٍ : ادْفَعْ إِلَيْهِ مَا بَقِيَ عِنْدَكَ مِنَ الثَّفْعَةِ ،  
فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِرْهَمٍ وَأَنْصَرَفَ . وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ : كُنْتُ مَعَ أَبِي نَوَاسٍ  
بِمَكَّةَ عَامَ حُجٍّ فَسَمِعْتُ صَبِيًّا يَقْرَأُ (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ  
وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) قَالَ أَبُو نَوَاسٍ : فِي مِثْلِ هَذَا يَجِئُ لِلْخَمْرِ صِفَةٌ حَسَنَةٌ ، فَفَكَّرْتُ  
سَاعَةً ثُمَّ أَتَيْتُنِي

- وَسَيَّارَةٌ ضَلَّتْ عَنِ الْقَصْدِ بَعْدَ مَا \* تَرَادَفَهُمْ أَفْقٌ مِنَ اللَّيْلِ مَظْلُمٌ  
فَاصْغُوا إِلَى صَوْتٍ وَنَحْنُ عَصَابَةٌ \* وَفِينَا فِتْنٌ مِنْ سَكْرَةٍ يَتَرْتَمُ  
فَلَا حَتَّ لَهَا عَلَى الْبَايَ قَهْوَةٌ \* كَأَنَّ سَلَاهَا ضَوْءُ نَارٍ نَضْرُمُ  
١٥ إِذَا مَا حَسَوْنَاهَا أَقَامُوا مَكَانَهُمْ \* وَإِنْ مُزِجَتْ حُثَا الرِّكَابِ وَتَمَمُوا

قَالَ : فَخُذْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : لَا وَلَا كِرَامَةً ، مَا سَرَقَهُ مِنَ  
الْقُرْآنِ وَلَكِنْ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ

وَلَيْسَ بِهِمْ كَلِمَاتٌ : غَوَّرَتْ \* كَوَاصِبُهُ عَادَتْ لَنَا تَنْذِيلُ  
بِالرَّكْبِ ، إِمَّا أَوْ مَضَّ الْبَرْقُ يَمْمُوا \* وَإِنْ لَمْ يَلْعَ ، فَالْقَوْمُ بِالسَّيْرِ جُهْلُ

وقال أبو نواس فيها

ألا دارها بالماء حتى تُلثِنها \* فاستكرم الصبياء حتى تُثَيِّنها  
أعلى بها حتى اذا ما ملثَّتها \* أهنتُ لإكرام النديم مصونها

وقال أيضا

نَبَّهْتُ<sup>(١)</sup> والليلُ ملتبسٌ به \* وأزحتُ عنه حُثَّائهُ فانزاحا  
قال: أبغضُ المصباح، قلتُ له: أئبُدُ \* حسبي وحسبك ضوءها مصباحا  
فسكنتُ منها في الزجاجة شربةً \* كانت له حتى الصباح صباحا  
من قهوةٍ جاءتك قبل مزاجها \* عطلا فالبسها المزاجُ وشاحا  
شكَّ<sup>(٢)</sup> الزَّالُ فَوادَعها فكانها \* أبدت اليك بريحتها تَفاحا

وقال أيضا

رُنا على الكاسِ، إنكما \* لا تدرمان الكاسَ ما تُجدي  
خوفتاني الله جَهْدكما \* وتكفَيْتِه رجاؤهُ عندى  
لا تعذلا في الراح إنكما \* في غفلةٍ عن كنه ما تسدى  
لو نلتما ما نلتُ ما مُزِجتُ \* إلا بدمعكما من الوجدِ  
ما مثل نُبهاها اذا أشتكت \* إلا أشتمالُ فيم على خدِّ  
إن كنتما لا تشربان معي \* خوفَ الإله شربتُها وحدي

وأخبار الحسن بن هانئ فيها كثيرة وفيما أوردناه منها كفاية . ومنهم القرواني،  
كان شاعرا مطبوعا بليغا من أهل الخلاعة المشهورين، وكان آخر أمره أن أصيب<sup>(٣)</sup>  
في حانة تخمارين زقِّي خمر وهو ميت وهو القائل فيها

(١) الخلل : النوم . (٢) البرال : الحديد ففتح بها بَل الدن (٣) أصيب بمعنى وُجِدَ .



٤٧

كَّرَ الشَّرَابُ عَلَى نَشْوَانٍ مُضْطَجِعٍ \* قَدْ هَبَّ يَشْرِبُهَا وَالِدَيْكَ لَمْ يَصِحْ  
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرٍ حَمِيرٍ بَوَارِقُهُ \* مِنَ النُّجُومِ، وَضَوْءُ الصَّبْحِ لَمْ يَضِجْ  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تَبَاكَرَهَا \* نَشْوَانٌ تَقْتُلُ هَمَّ النُّفُسِ بِالْفَرَجِ  
حَتَّى يَظُلَّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْرِبُهَا \* وَلَا مَرَّاحَ بِهِ يَخْتَالُ كَالْمَرْجِ

- ومنهم مُطِيعُ بْنُ أَبِي رِاسٍ، وَكَانَ شَاعِرًا أَدْبِيًا ظَرِيفًا مُشْتَهَرًا بِالْخُلَاعَةِ وَاللَّعِبِ،  
وَكَانَ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ وَوَالِدَةُ بْنُ الْحُبَابِ وَحَمَّادُ عَجْرَدٍ .

ومنهم أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ، كَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا لَا يَكَادُ يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ لِحِزَالَةِ  
الْفَنَاطِلَةِ وَحُلَاوَةِ مَعَانِيهِ، وَكَانَ مَوْلَا بَانِخَرٍ مُشْتَهَرًا بِهَا مَدْمَنَا عَلَيْهَا، أَكْثَرُ أَشْعَارِهِ فِيهَا،  
فَنَ شَعْرَهُ

- ١٠ أُخْطِبَ لَكَاسِكَ تَدْمَانًا تُسْرُّ بِهِ \* أَوْ لَا فَنَادِمٌ عَلَيْهَا حِكْمَةَ الْكِتَابِ  
أُخْطِبُهُ حُرًّا كَرِيمًا ذَا مُحَافَظَةٍ \* تَرَى مَوَدَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ  
وَقَالَ أَيْضًا

وَكَمْ قَالُوا : تَمَنَّيْتُ : كَأَسَا \* يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ  
وَتَدْمَانَا يَسَاقُطُنِي حَدِيثًا \* كَصَدِيقِ الْوَعْدِ أَوْ غَضِّ الرَّقِيبِ

- ١٥ ومنهم أَبُو هَفَّانَ، وَكَانَ شَاعِرًا عَسَنًا وَخَلِيلًا مَاجِنًا، حَكِيَ أَنَّهُ شَرِبَ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ  
أَبِي طَاهِرٍ حَتَّى فَنِيَ مَا عِنْدَهُمَا، وَكَانَا يَمْوَارِ الْعَلَاءَ بْنَ أَيُّوبَ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ  
لَأَبِي هَفَّانَ : تَمَاوَتْ حَتَّى نَخْتَالُ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ فِي أَنْ يَنْبَلِنَا شَيْئًا، فَضَيَّ إِلَيْهِ ابْنُ  
أَبِي طَاهِرٍ، فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! نَزَلْنَا جَوَارِكَ فَوَجَبَ حَقًّا عَلَيْكَ، وَقَدْ مَاتَ  
أَبُو هَفَّانَ وَلَيْسَ لَهُ كَفَنٌ، فَقَالَ لَوَيْكِلَهُ : امْضُ مَعَهُ وَشَاهِدْ أَمْرَهُ وَارْفَعْ إِلَيْهِ كَفَنًا،

فأتاه فوجده مُلقًى عليه ثوبٌ ففقر أنه فضرط، فقال ما هذا؟ فقال أصلحك الله! عَجَلَتْ لَهُ صَعْقَةُ الْقَبْرِ فَإِنَّهُ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَ، فَضَحَكَ وَأَمَرَ لَهُ بِدَنَانِيرَ .

ومنها الأفيشر وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه وهو القائل

وَمُقَعَّدٌ قَوْمٌ قَدْ مَشَى مِنْ شَرَابِنَا \* وَأَعْمَى سَقِينَاهُ ثَلَاثًا فَأَبْصَرَا

كَيْتٌ كَانَ الْعَنْبَرُ الْوَرْدَ رِيحُهُ \* وَمَسْحُوقٌ هِنْدِيٌّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا

ومنها النعمان بن علي بن نضلة، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على ميسان وكان مدمناً بالشراب وهو القائل

إِلَّا أَبْلَغَ الْحَسَنَاءُ أَنْ خَلِيلَهَا \* بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنِيمٍ<sup>(١)</sup>

فَإِنْ كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي \* وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُنْتَلِمِ

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ \* تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ الْمَتَهْدِمِ<sup>(٢)</sup>

فبلغ الشعر عمر رضى الله عنه، فكتب إليه : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَمْدٌ تَزِيلُ الْكِتَابَ مِنْ اللَّهِ الْفَزِيرِ الْعَلِيمِ غَايِرُ الذَّنْبِ وَقَائِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) أما بعد، فقد بلغنى قولك

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ \* تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ الْمَتَهْدِمِ

وأيم الله لقد ساءنى، وعزله، فلما قدم عليه سأله، فقال والله ما كان من هذا شئ، وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط، قال عمر : أظن ذلك ولكن لا تعمل لى عملاً أبداً، فزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله.

(١) الحتم : الجرة الخضراء .

(٢) الجوسق : القصر .

ومنها عمارة بن الوليد بن المغيرة، خطب امرأة من قومه، فقالت: لا أتزوجك  
 حتى تدع الخمر والزنا، فقال: أما الزنا فإني أدعه وأما الخمر فوجدني بها شديداً،  
 ثم أشد وجهه بالمرأة فعاود طلبها، فقالت: حتى يحلف بطلاق يوم يزني أو يشرب  
 نحرًا، حلف لها وتزوجها، ومكث حيناً لا يشرب إلى أن مرَّ بمخارٍ وعنده قوم  
 يشربون وقبيلة تنههم وهو على ناقه، فطرب إليهم وأرتاح ورمى بثيابه إلى الخمار،  
 وقال: أسقهم بها، ونحو لم ناقه ومكث أياماً يطعمهم ويسقيهم حتى أهد ما معه  
 ثم رجع إلى أمرائه فلامته، فأنشأ يقول

أَقْلَى عَلَى السُّومِ يَا أُمَّ سَالِمٍ \* وَكُنِّي فَإِنَّ الْعِيشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ  
 أَسْرَكَ لِمَا صَرَعَ الْقَوْمَ نَشْوَةً \* خَرُوجِي مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَايِمٍ  
 سَلِيماً كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ \* وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مِنْ تَصَافِي التَّنَادِمِ  
 ثم قال لما: الحقي بأهلك وطد إلى ما كان عليه



وأما من أفتخر بشربها وسبائها، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها، وتضيفه  
 إلى عظيم عائتها، وتقرنه بمذكور بلائها، وشاهد ذلك قول امرئ القيس  
 كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّيَةِ \* وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَلٍ  
 وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ \* نَحْلِيْلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ  
 فقرن جوده في سبأ الزق بسائته في كرائيل، ولما أنشد أبو الطيب المتنبي  
 سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف \* كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ  
تمر بك الأبطال كلّى هزيمة \* ووجهك وضاحٌ ونفرك باسمٌ  
فقال له سيف الدولة : أنتقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما أنتقد على  
أمرئ القيس بيتاء ، وذكرهما قال : وبيتاك لا يثتم شطراهما كما لا يثتم شطرا هذين  
البيتين ، كان ينبغي لأمرئ القيس أن يقول

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل \* خيلى كرى كرة بعد إجحافٍ  
ولم أسبأ الرق الروى للذة \* ولم أتبطن كاعبا ذات خلخالٍ  
وأن تقول أنت

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف \* ووجهك وضاحٌ ونفرك باسمٌ  
تمر بك الأبطال كلّى هزيمة \* كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ

فقال أيد الله مولانا ، إن كان صح أن الذى استدرك على أمرئ القيس أعلم  
منه بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والثوب لا يعرفه البراز معرفة  
الحائك لأن البراز يعرف جلته والحائك يعرف جلته وتفاريقه لأنه هو الذى أخرجه من  
الغزلية الى التوبية ، وإنما قرن أمرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن  
السباحة فى سبأ الخمر للأصياف بالشجاعة فى منازل الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت  
فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ، ولما كان الجريح المنهزم  
لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت

« ووجهك وضاحٌ ونفرك باسم \*

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب سيف الدولة  
بقوله ووصله ، وقال لقيط بن زرار

شربت الخمر حتى خلت أنى \* أبو قابوس أو عبد المدان

وقال حسان بن ثابت الأنصاري عفى الله عنه ورحمه

إذا ما الأشرافُ دُكِّنَ يوما \* فهِبْ لَطِيبَ الرّاحِ الفِداءِ  
ونشرِها فتركتُا ملوكا \* وأُسِّدَا ما يَنْهِنُها اللِّقاءُ

حكى أن حسان بن ثابت عَفَفَ جماعة من الفتيان على شرب الخمر وموؤء تتادهم عليها  
وأنهم يُضربون عليها ضرب الإبل ولا يرجعون عنها فقالوا : إنا إذا هممت بالإنقلاع  
عنها ذكركنا قولك

ونشرِها فتركتُا ملوكا \* وأُسِّدَا ما يَنْهِنُها اللِّقاءُ

فعاودناها . وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان

إذا ما نديبي علني ثم طعني \* ثلاث زجاجات لمن هديرُ  
نرجعتُ أجرُ الذيلِ حتى كأني \* عليك أمير المؤمنين أميرُ

١٠

وقال أنر

إذا صدمتني الكأسُ أبدت محاسني \* ولم يخش ندماني أذائي ولا بخلي  
ولست بفحاش عليه وإن أسي - وما شكل من آذى نداماه من شكلي

وقال أنر

شربنا من الدارِ<sup>(١)</sup> حتى كأننا \* ملوكُ لهُمُ برِّ المراقين والبحرُ  
فلما أنجَلت شمسُ النهار رأيتنا - تَوَلَّى الغنى عَنَّا وعلودنا الفقرُ

١٥

(١)

ومثله للنخل البشكري

فإذا سكرتُ فإني \* ربُّ الخورقِ والسديرِ  
وإذا صحوتُ فإني \* ربُّ الشَّوْبَةِ والبحيرِ

## وقال عترة

وإذا سكرت فإني مستهلك \* مالى، وعرضي وافقر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى \* وكما علمت شمائل وتكرى

أخذه البهترى وزاد عليه في قوله

وما زلت خلا للندامى إذا أنتشوا \* وراحوا بدورا يستحثون انجبا

تكرمت من قبل الكئوس عليهم \* فما أسطعن أن يُحدثن فيك تكرا

والزيادة أن عترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبهترى ذكر أن ممدوحه يتكرم

قبل الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيد تكرا. وكان الأعشى يمين

ابن قيس مشهورا بتعاطى الخمر مشغوبا بها كثير الذكركلها في شعره، ومن أشتهاره بها

قال المفضل بين قدماء الشعراء: أشعرهم أمرؤ القويس إذا ركب، والنايفة إذا رهب،

وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب؛ وقصد الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليسلم وأمتدحه بقصيدته التي أولها

ألم تفتنض عينك ليلة أرمدنا \* وبث كما بات السليم مسهدا

فاعترضه في طريقه من أراد منه، فقالوا له: إنه يحزم عليك الزنا والخمر، فقال:

أما الزنا فقد كبرت فلا حاجة لى فيه، وأما الخمر فلا أستطيع تركها، وعاد لينظر

في أمره، وقيل إنه قال: أعود فأشربها سنة وأرجع، فمات قبل الحول، قالوا:

ونظر الحسن بن وهب الى رجل يمس في كأسه، فقال: ما أنصفتها، تضحك

في وجهك وتمس في وجهها؛ ومن ذلك قول الشريف الرضى

كانخمر يمس حاسيها على مقة \* والكأس تجلو عليه ثمر مبتسم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول

ما أنصف الندمان كأس مدامية \* ضحكك إليه فشمها بتبسم

ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء في هذا المعنى وأطنبوا فيه وتوسعوا، فمنهم من مدحها، ومنهم من وصفها وشبهها، ومنهم من ذكر أفعالها وتغزل فيها، وسنورد في هذا الموضع نبذة مما طالعناه في ذلك، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطال، ولا تسعت فيه دائرة المقال.



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فمن ذلك قول ابن الرومي حيث يقول

تالله ما أدرى بأية علة \* يدعون هذا الراح باسم الراح؟  
الريحها ولروحها تحت الحشا \* أم لأرتياح نديمها المرتاح؟  
إن حُرمت فبحقها من نعمة . ما كان مثل حريمها بمباح  
أو حُلَّت فبحقها من نشوة \* تشفى سقام قلوبنا بصحاح

١٠

وقال أيضا

نمر إذا ما ندبى ظل يكرعها \* أخشى عليه من اللاألاء يحترق  
لو رام يحلف أن الشمس ما غربت \* في فيه كذب في وجهه الشفق  
ومثله قول الطليق المرواني

١٥

فالذا ما غربت في فيه \* أطلعت في الخلد منه شفقاً

وقال الناجم

وقهوة كشعاع الشمس صافية \* مثل السراب تُرى من رقة شبعاً  
إذا عاطيتها لم تدر من فرج \* راحا بلا قدح أُعطيت أم قدحا؟

وقال النائي

٢٠

يا ربما كأس تناولتها \* تسحب ذيلًا من تلالها  
كأنها النار ولكنها \* منم والله صالها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها؛ فن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية  
ومدامة حمراء في قارورة \* زرقاء تحملها يد بيضاء  
فالمرشمس والحباب كواكب \* والكف قطب والإناء سماء

وقال السروي

عُيْتُ بالمدامة الشعراء \* وصفوها وذلك عندي عناء  
كيف تحصيل علمها وهي موت \* وحياءٌ وعلةٌ وشفاء  
فهى في باطن الجوانح ناز \* وهى في ظاهر المحاجر ماء  
حلوة مرة فما أحد يد \* رى أداءً خصوصها أم دواء؟

وقال البحرى

اشرب على زهر الرياض يشوبه \* زهر الخلود وزهرة الصبأ  
من قهوة تُنسى الموم وتبعث الشوق الذى قد ضلّ في الأحشاء  
يُخفى الزجاجة لونُها فكأنها \* في الكف قاعةٌ بغير إناء  
ولها نسيم كالرياض تنفست \* في أوجه الأرواح والأنداء  
وفواقع مثل الدموع ترذت \* في محسن خذ الكاعب الحساء  
يسفيكها رشاً يكاد يرقها \* سكرى بفترة مقلقة حوراء  
يسمى بها وبمثلها من طرفه \* عوداً وإبداءً على الندماء

وقال الواواء المثنى

فامزج بمالك نار كأسك وأسقنى \* فقد مزجت مدامى بدماء  
وأشرب على زهر الرياض مدامة \* تنفى الموم بعاجل السراء  
لطفت فصارث من لطيف محلها \* تجرى بجرى الروح في الأعضاء



وَكُنْ غِغَّةً عَلَيْهَا جَوْهَرٌ \* مَا بَيْنَ نَارٍ أَذِيكَتْ وَهَوَاءٍ  
وَكُنْهَا وَكَانَ حَامِلٌ كَأْسَهَا \* إِذْ قَامَ يَحْلُوها عَلَى النَّدْمَاءِ  
شَمْسُ الضُّحَى رَقَصَتْ فَفَقَطَ وَجْهَهَا \* بَذَرَ الدَّبَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ

وقال أبو نواس

أقول لما تخاياكما شبا : \* أيهما للشبابه الذهب ؟  
هما سواءٌ وُفِرَقَ بينهما \* أنهما جامد ومنسكب

وله أيضا

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقُصُومِ خَلْتَهُ \* يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوْكَبًا  
تَرَى حَيْثُمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ مَشْرِقًا \* وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ مَغْرِبًا  
يَدُورُ بِهَا سَائِقٍ أَغْنَى تَرَى لَهُ \* عَلَى مُسْتَدَارِ الْأُذُنِ صُدْعًا مَعْقَرًا  
سَقَاهُمْ وَمُنَانِي بَيْنِيهِ مُنِيَّةٌ \* فَكَانَتْ إِلَى تَمْسِي اللَّهِ وَأَطْيَا

ومثل البيت الأول قول ابن المعتز

كَأَنَّهُ قَائِمٌ وَالْكَأْسُ فِي يَدِهِ \* هَلَالُ أَوَّلِ شَهْرِ غَابَ فِي شَفَقِ

وقال ابن الرومي

وَمَهْفُوفٍ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ \* حَتَّى تَجَاوِزَ مَتْنِي النَّفِيسِ  
أَبْصَرْتُهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ \* مِنْهُ وَيَنْ أُنَامِلِ نَحْمِيسِ  
فَكَانَهُ وَالْكَأْسُ فِي فَمِهِ \* قَرَّرَ قَبْلَ عَارِضِ الشَّمْسِ

وقال الحسين بن الضحاک

كَأَنَّمَا نَصَبَ كَأْسَهُ قَمَرٌ \* يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجَمِ الثَّمَلِكِ

وقال آخر

وأكست من فضة دررا \* خلتها من تحتها ذهباً  
ككيت اللون قلدها \* فارس من لؤلؤ حياً

وقال آخر

تفتى<sup>(١)</sup> بياض شاربها \* فتخالها يمين غنض  
دارت وعين الشمس غائبة \* فحسبت عين الشمس لم تغب

وقال آخر

حراء وردية مشعشة \* كأنها في إنائها لهب  
صهبا صرفا لو منها حجر \* من جامد الصخر مسه طرب

وقال آخر

قلت والراح في أكف الندامى \* كنجوم تلوح في أبراج  
أمداما خرطتم لمدام؟ \* أم زجاجا سبكتم لزجاج؟

وقال الحسن بن وهب

وفهوة صافية \* كالملك لما نفا  
شربت من دنانها \* من كل دق قدما  
فعدت لا تملى \* أعود سرجى مرها  
من شدة السكر الذى \* على فؤادى طفا

وقال ابن المعتز

خليل قد طاب الشراب المبرد \* وقد عدت بعد النك والعود أحمد

(١) هذا الشطر محتل الوزن وورد هكذا بكل الأصول وله: تفتى الكوس، أو تفتى المدام، مما

يستقيم به المعنى والوزن.

فَهَاتِ عُقَارًا مِنْ قَيْصٍ زَجَاجِيَّةٍ \* كَيَقْوِيَةً فِي دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ  
يَصُوغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شُبَالَكَ قَضِيَّةٍ \* لَهُ حَاقٌ بِيَضٍّ تُحْمَلُ وَتُعْقَدُ

وقال التنوخي

وراح من الشمس مخلوقة \* بدت لك في قَدَجٍ من نهارِ  
هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ \* وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارِي  
اِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ وَهِيَ فِيهِ \* تَأَمَّلْتَ مَاءً مُحِيطًا بِنَارِ  
فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْاَبْيَاضِ \* وَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْاَحْمَرِ  
وَمَا كَانَ فِي الْحَكَمِ اَنْ يُوْجَدَا \* لَفَرَطٍ تَنَافِهِيْمَا وَالتَّنَافُرِ  
وَلَكِنْ تَجَاوَزَ مَسْطَعَاهُمَا السَّبِيْطَانِ فَاتَّسَلَفَا بِالْجَوَارِ  
كَأَنَّ الْمَدِيْرَةَ بِالْيَمِيْنِ \* اِذَا مَالَ بِالسَّقَى اَوْ بِالْيَسَارِ  
تَدْرَعُ قَوْبًا مِنَ الْبَاسِمِيْنِ \* لَهُ فِرْدُكُمْ مِنَ الْجَلَسَارِ  
وقال ابن وكيع التَّيْسِيُّ

حَمَلَتْ كَفَّهُ اِلَى شَفِيْهِ \* كَأَسَمَ وَالظَّلَامُ مُرْمَعِي الْاِزَارِ  
فَالْتَسَقَى لَوْلُؤًا حَبَابٍ وَتَغْيِرٍ \* وَعَقِيْقَانِ مِنْ فَمِ وَعُقَارِ

وقال آخر

فَمَ فَلَسَقَنِي قَدْ تَبَلَّجَ النَّسْقُ \* مِنْ قَهْوَةٍ فِي الزَّجَاجِ تَأْتَلُقُ  
كَأَنَّنَا وَالْكُنُوسَ مَأْخِذَهَا \* نَشْرَبُ نَارًا وَلَيْسَ نَحْتَقِقُ

وقال أبو نواس

غَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا \* وَأَسْقَيْنَا نَقْطَةَ الْجَزَاءِ الثَّمِيَا<sup>(١)</sup>  
مِنْ سَلَافٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ \* يَتَّقِيْ غَيْرَ اَنْ يَكُوْنَا

(١) كذا بالأصل، وفي ديوان أبي نواس : وَأَسْقَيْنَا نَطْلَكَ التَّاءِ الثَّمِيَا \*

أكل الدهرُ ما تجتم منها \* وتبقى لنا بها المكنونا<sup>(١)</sup>  
 فاذا ما أجلتها فهباءُ \* تمنع الكف ما تيسع العيونا  
 ثم تُجبت فاستضحكت عن لالٍ \* لو تجعن في يد لاقتنينا  
 في كثوس، كأنهن نجومٌ \* جاريات، برُوجها أيدينا  
 طالعات مع السقاة علينا \* فاذا ما غرين يغرين فينا  
 لوترى الشرب حولها من بعيد \* قلت : قوم من قرّة يصطلونا

وقال ابن المعتز

وتجارة من بنات الجوس \* ترى الدن في بيتها سائلا  
 وزنا لها ذهابا جامدا \* فكالت لنا ذهابا سائلا



وأما ما قيل في أفعالها، فن ذلك قول أبي تمام الطائي  
 وكأس كعسول الأمانى شربتها \* ولكنها أجلت وقد شربت عقل  
 اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها \* لها كوقع النار في الخطب الجزل  
 اذا اليد نالتها بوثر توقرت \* على صنمها ثم استقادت من الرجل

ومثله قول ديك الجن وأسمه عبد السلام

فقام تكاد الكأس تخضب كفه \* وتحسبه من وجنته استمارها  
 مشعشة من كف ظبي كأنما \* تناولها من خده فادارها  
 فظلنا بأيدينا نتعتع رُوحها \* وناخذ من أقدامنا الراح نارها

(١) كذا بالأصل، وفي الديوان \* وتبقى لبايها المكروا \*

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي  
كانت لها أرجل الأعلاج<sup>(١)</sup> وازرة \* بالدوس فانتصفت من أردوس العرب  
[ أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباعي الكاتب فقال<sup>(٢)</sup>  
عقرتهم معقورة لو سالت \* شربها، ما سُميت بعقار  
لأنهم لم حتى آتسوا وتمكنت \* منهم فصاحت فيهم بالشار  
ذكرت حقاً لها القديمة إذ غدت \* صرعى تداس بأرجل العصار ]  
وقال آخر

أسروها وجه النهار من الدن فأسسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الصمد بن بابك عنى الله عنه

عقار عليها من دم الصب نفضة \* ومن عبرات المستهم فواقع  
معودة غصب العقول كأنما \* لها عند الباب الرجال ودائع

\* \*

وأما ما وصفت به غير ما قدمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة  
الحصكفى [ والحكمة نسبة الى حسن كما ]

وخليع بت أعنيه \* ويرى عني من العيب  
قلت : إن الخمر مخبئة \* قال : حاشاها من الخبث  
قلت : منها القيء، قال : أجل \* ظهرت عن مخرج الحديث  
قلت : فالأرفأ تبتعها \* قال : طيب العيش في الرفث  
وسألوها فقلت : متى ؟ \* قال : عند الكون في الحديث

(١) الأعلاج : جمع علي وهو الرجل من كتمان المعجم .

(٢) الزيادة التي بين هاتين التامتين [ مقولة عن إحدى السح .

وقال آخر

تملت زجاجاتُ أُنْتِنَا فُسرْنَا \* حتى اذا ملئت بصرفِ الزجاج  
خَفَّتْ فكانت أن تطيرَ بما حوت \* وكذا الجسوم تخفُّ بالأرواح

[ وقريب من المعنى قول الآخر

(١) وزنا الكأس فارغة وملاى \* فكان الوزنُ بينهما سواء ]

وقال أبو نواس

قهوةُ أُثِمَّتْ عنها \* فانظروا ريبَ المنونِ  
عُثِّقَتْ في الدثِّ حتى \* هي في رقة دهنِ  
ثم نُجِّتْ فادارت \* فوقها مثل العيونِ  
حدقا تزو البنا \* لم تُجَجَّرْ يعضونِ  
نهباً يتمرُّ دُرّاً \* كلُّ إبانٍ وحينِ  
من يدنى ساقٍ عليه \* حلةٌ من ياسمينِ  
غاية في الظرف والشكل وفرد في المجونِ

وقال

دُذِّبَ ماءُ الكرمِ والعنِبِ \* خطراتِ الممِّ والنَّوْبِ  
قهوة لو أنها نطقَتْ \* ذَكَرْتُ سَاماً أبا العربِ  
وهي تكسوكفُ شارِها \* دسنانا من الذهبِ

وقال تاج الملوک بن أيوب

وكم ليلةٍ فيها وصلنا غُبوقنا \* وكم من صباحٍ كان فيه صَبوحُ  
تدار علينا من أكفٍ سقاتنا \* عُقارُ من المم الطويلِ تُرْجُ

(١) الزيادة التي بين هاتين اللَّامتين [ منقولة عن بعض النسخ .

تلوح لنا كالشمس في كف أغيد \* يلوح لعيني البدر حين يلوح  
مدام تماكي خده ورضابه \* ونكهته في الطيب حين تفوح  
ولكن لما أفعال عينيه في الحنا \* فكل حشا فيها عليه جريح

وقال أيضا

والكأس أعطاه عقيقا أحرا \* قارب، فأعطيا لجيتنا يققا<sup>(١)</sup>  
من قهوة ما العيش إلا أن أرى \* مصطليحا في شربها مفتيقا  
أشربها شربا هنيئا من يدى \* غصني رشيق وغزال أرسقا

ومما قيل فيها إذا مزجت بالماء، فن ذلك قول أبي نواس

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده \* كأن شعاع الشمس يلفاك دونها  
تري العين تستعفيك من لماعها \* وتمسرحي ما تهمل جفونها

ومنه أخذ ديك الجن فقال

وحمرأ قبل المزج صفراء بعده \* بدت بين ثوبتي نرجس وشقائق  
حكمت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا \* عليها مزاجا فأكنت لونها شاقق

وقال أبو هلال العسكري

راح إذا ما الليل مد رواقه \* لاحت تطرر حلة الظلام  
حتى إذا مزجت أراك حباها \* زهرات أرض أو نجوم سماء

وقال أيضا

وكأس تمتلئ أطراف كف \* كأن بنانها من أرجوان  
أنازعها على العلات شربا \* لمن مضاحك من أخوان

يلوح على مفارقتها حَبَابٌ \* كأنصافِ الفرائد والجمانِ  
وطالمني الفلامُ بها مصيرا \* فزاد على الكواكب كوكبانِ  
وواقفها بنحْدُ أرجوانٍ \* وخالفها بفرجِ أدجوانِ

قوله :

• كأنصافِ الفرائد والجمانِ \*

• مأخوذ من قول ابن الرومي

لها صريحٌ كأنه ذهبٌ \* ورغوةٌ كاللآلئِ الفُلقِ

وقال أبو نواس

فاذا علاها الماءُ ألبسها \* تَمْشَا شَبِيهَ جَلَّالِ الْجَلِ  
حتى اذا سَكَّتْ جَوَانِحُهَا \* كَتَبَتْ بِمِثْلِ أَكَارِعِ النَّمْلِ

١٠

وهو مأخوذ من قول الأول، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية

وكأيس سباحا التَّجَرُّ من أرضِ بابل \* كَرَقَةَ ماءِ الحُزْنِ في الأَمِينِ النُّجْلِ  
اذا شَجَّها الساقِ حَسِبْتَ حَبَابَهَا \* عَيُونَُ الدُّبِيِّ من تَحْتِ أَجْنَعَةِ النَّمْلِ

وقال أبو نواس أيضا

قامت تَرَبَّى وأمرُ الليلِ مجتمَعٌ \* صبعا تولد بين الماءِ والذهبِ  
كَأَنَّ صُفْرَى وَكُفْرَى من فراقِها \* حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ

١٥

وقال ابن المعتز

للأءِ فيها كَأَبَّةٌ عَجَبٌ \* كمثل نقيش في فِصٍّ ياقوتِ

(١) كما بالأصل وفي الديوان : حَيَّا •

(٢) كما بالأصل وفي الديوان : جواعها •

(٣) الدبي : أسمر الجراد •

٢٠



وقال العسكري

ذاب في الكأس عقيقٌ بحرى \* وطفأ الدرُّ عليه فسجَّ  
نصب الساق على أقداحها \* شبَّكَ النِفضَةُ تصطادُ الفرح

وقال ابن الساعاتي

وليلةٍ بات بدر التِّمَّ سافينًا \* يدبر في فلكٍ من شرها شُبَّيا  
بكر اذا فُرعت بالماء كان بنا \* جدًّا وإن كان في كاساتها لبيا  
حرًا من نجمل حتى اذا مُرِجت \* لم تدر ما نجملًا نجرًا أم غضبًا؟  
تزيد بالبارد السلسال جدوتها \* وما سمعت بماء محدث لبيا  
تكسو النديم اذا ما ذاقها وَصَحًّا \* حتى كأن شعاع الشمس قد شربا

وقال آخر

فنبهني وساق الصوم يمزجها \* فصار في البيت للصباح مصباحُ  
قلنا على علمنا والشك يغلبنا : \* أراحنا نأرنا أم نأرنا الراح؟

وقال ابن وكيع التنيسي

وصفراء من ماء الكروم كأنها \* فرائقُ عدوٍّ أو لقاء صديق  
كأنَّ الحبابَ المستديرَ بطوقها \* كواكبٌ دز في سماءٍ عقيق  
صببت عليها الماء حتى تعوضت \* قبصَّ بهار من قبص شقيق

وقال آخر

حرًا ما اعتصموا بالماء حين طفت \* إلا وقد حسبوها أنها لبُّ

وقال الخالديان

فنهاتها كالمرس محمرة الخندين في معجِرٍ من الحبِّ<sup>(١)</sup>  
كادت تكون الهواء في أرج الشعير لو لم تكن من العنبر

(١) المعجِر: ثوب تنده المرأة على رأسها.

من كَفَّ راضٍ عن الصدود وقد \* غضبتُ في حبه على الغضبِ  
فلو ترى الكأس حين يمزجها \* رأيت شيئا من أعجب العجبِ  
نار حواها المزاج يلهبها المشاء ودُرُّ يدور في لهبِ

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطيبها

قال أحمد بن أبي فتن

جَدُّ اللذاتِ فالْيَوْمُ جديدُ \* وأَمْضُ فيما تشهى كيف تريدُ  
وَأَلَهَ ما أمَكَنَّ يَوْمٌ صالحُ \* إن يَوْمَ الشرِّ لا كان - عتيدُ

وقال ديك الجن

تتبع من الدنيا فإنك فاني \* وإنك في أيدي الحوادث عاني  
ولا تنظرن اليومَ لهوا إلى غدٍ \* ومن لغيد من حادثٍ بأمانٍ  
فإني رأيتُ الدهرَ يُسرِعُ بالفتى \* وينقله حالين مختلفان<sup>(١)</sup>  
فأما الذي يمضي فأحلامُ نائم \* وأما الذي يبقى له فأمانى

وقال ابن المعتز من أبيات

وبادر بأيام السرور فإنها سراعٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ  
وخلَّ عتاب الحادثاتِ لوجهها \* فإن عتاب الحادثاتِ عناءُ  
تعالوا فسقوا أنفسا قبل موتها \* ليأتى ما يأتى وهنٌ رواءُ

وقال أحمد المارداني

عاقِرِ الرّاحِ ودَغَ نَمَتِ الطَّلَلُ \* وأعص من لامك فيها وعَدَلُ  
غادها وأسع لها وأغرَبها \* وإذا قيل: تصابى، قل: أَجَلُ  
إنما دنياك - فاعلم - ساعةٌ \* أنت فيها وسوى ذاك أملُ

(١) كذا بالأصل ولها "تخلفان".

وقال ابن بسام

واصل خليلك إنما السدنيا مواسلة الخليل  
وأنعم ولا تتعجل الشمكروه من قبل التزول  
بادر بما تهوى فما \* تدرى متى وقت الرحيل  
وأرفض مقالة لائم \* إن الملام من الفضول

ومما وصفت به مجالس الشرب؛ فن ذلك قول أبي نواس  
في مجلس ضحك السرور به \* عن ناجذيه وحلت الخمر

وقال ديك الجن

كانما البيت يريحانه \* ثوب من السندس مشقوق

وقال السري

ألست ترى ركب الغمام يساق \* وأدمعه بين الرياض تُراق؟  
وقد رقّ جلابب النسيم على الثرى \* ولكن جلابب الغيوم صفاق  
وعندى من الریحان نوع تجسه \* وكأس كرقاق الخلوّ دهاق  
وذو أدب جلت صنائع نفسه \* ولكن معاني الشعر منه دفاق  
له أبدا من ثره ونظامه \* بدائع حلّ ما لم يحقّ  
وأغيد مهتر، على صحن خده \* غلائل من صبح الحياء رفاق  
أحاطت عبود الماشقين بخصره \* فهنّ له دون النطاق نطاق  
وقد نظم المشور فهو قلائد - علينا، وعقد مذهب وخناق  
وغرفتنا بين السحاب، تلقى \* لمن علينا كلة ورواق  
تقسم زوار من الهند سقفاها \* خفاف على قلب الكريم رشاق

أعاجمُ تلتدُ الخصامَ كانها \* كواعبُ زنجٍ راعمتِ طلاقُ  
 أنس بنُ أنسٍ الإمامِ تحبَّتْ \* وشيمتها غدرُ بنا وإباقُ  
 مواصلةُ ، والورد في شجراته \* مفارقةُ ، إن حان منه فراقُ  
 فزُرَ فتيةً ، برَّدُ الشرابِ لديهم \* حميمٌ إذا فارقتهم وغَسَّاقُ<sup>(١)</sup>  
 قوله :

أحاطت عيونُ العاشقين بخصره \* فهن له دون النطاق نطقُ  
 مأخوذ من قول المتنبي

وخصر تبت الأحداق فيه \* كأن عليه من حدقِ نطاقا

وقال أبو هلال العسكري

وليل آبتت به لذة \* ومعت فيه العقل والدين

أصاب فيه الوصلُ قلبَ الجوى \* وبات فيه الهمُ مسكينا

وقد خلطنا بنسيم الصبا : نسيمَ راجٍ ورياحينا

وأكؤس الرّاحِ نجومُ إذا لاحت بأيدينا هوتُ فينا

تضحك في الكأس أباريقنا - وحسبنا تضحك تبكي

ومما قيل في طيِّ مجالس الشراب ؛ فن ذلك قول بعض الشعراء

حكم المقار إذا قصدت لشربها \* في لذة من مسمع وقيان

أن لا تعود لذكر ما أبصرت من \* أهدوة من شارب سكران

وقال آخر

إذا ذُكر التبيذُ فليس حقًا \* إعادة ما يكون على التبيذِ  
إعادة ما يكون من السكارى \* يكدر صفوة العيش اللذيذِ

وقال آخر

• تنازعوا لذة الصهايا بينهم \* وأوجبوا لرضيع الكأس ما يحبُّ  
لا يحفظون على السكران زلتَهُ \* ولا يريكم من أخلاقهم ريبُ

ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانها

من ذلك ما قيل في وصف معصرة الخمر

قال أبو الفرج البغواء

١٠ ومعصرة أنختُ بها \* وقرنُ الشمس لم يغب  
نفلت قوارها بالزا \* ح مصّ ماعذ الذهب  
وقد ذرفت لفقد الكر \* م فيها أعينُ العنب  
وجاش عُبابُ وادها \* بمنهلٍ ومنسكبٍ  
وباقوتِ المصير بها \* يلاعبُ لؤلؤُ الحب  
١٥ فيا عجباً لماصرها \* وما يغنى به عجبى  
وكيف يعيش وهو ينو \* ض في بحر من الذهب

وقال ابن المعتز يصف الدنان

ودنانٍ كمشلِ صفّ رجالٍ \* قد أقيموا ليرقصوا <sup>(١)</sup>دستبنداً

(١) الدستند: نوع من أنواع رقص المجوس يأخذ بعضهم بيده بعض ويرقصون، وبعضهم يكتبها هكذا "دست بند".

وقال القطامي يصف جرار الخمر

استودعتها رواقيد مقيمة <sup>(١)</sup> \* دكن الظواهر قد برئسن بالطين <sup>(٢)</sup>  
مكلفات لحر الشمس قائمة \* كأنهن نيط في تباين <sup>(٣)</sup>

وقال العلوّ الأصفهاني

غذرة مكنونة قد تشفت \* كراهية بين الحسان الأوانيس  
وأزايها يلبس بيض غلال \* هي العرى مغرورها كل لابس  
مشعته مرهاء ما خلت أنى <sup>(٤)</sup> \* أرى مثلها عذراء في زى مانيس

ومما قيل في الراوق؛ قال بعض الشعراء

كأنما الراوق وأتصابه \* خرطوم قيل سقطت أنيابه  
واليت منه عطر رابه \* كأن مسكا فتقت عيابه

وقال آخر

سماء لاذ، فطرها رحيق \* رحب الذرى يخطفيه الضيق <sup>(٥)</sup>  
ماء عقيق لو جرى العقيق \* حتى اذا الهبا التصفيق  
\* صحننا الى جيراننا : الحريق \*

(١) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٢) مقيمة : أى مبيعة بالقار وهو "الزفت" .

(٣) التباين : جمع تباين وهو سراويل صغيرة بستر العورة .

(٤) المرهاء : التى أبيضت حماليقها .

(٥) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرر أحمر صفي .

ومما وُصفت به زقاق الخمر، فن ذلك قول الأختل

أناخوا بفجروا شاصيات<sup>(١)</sup> كأنها \* رجال من السودان لم يتسربلوا

وقال أبو الهندي وأجاد في شعره

أُتلف المال وما جمعه \* طلب اللذات من ماء العنب

وأستبأ الزق من حانوتها \* شائل الرجلين معضوب الذنب

كلما كُتب لشرب خلته \* حبشياً قطع منه الركب

وقال ابن المعتز

وتراها وهي صرعى \* فرغاً من الندى

مثل أبطال حروب \* قتلوا فيها كراماً

وقال العلوي الأصفهاني

عجبت من حبشي لا حراك به \* لا يدرك الثار إلا وهو مذبح  
طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع \* رخو الصفاق وطورا وهو مشبوح

ومما وُصفت به الأباريق، فن ذلك قول شبرمة بن الطفيل

كأن أباريق الشمول عشية \* إوز بأعلى الطف عوج الحناجر

وقال آخر

يارب مجلس فتية نادمهم \* من عبد شمس في ذرى العليا

وكأنما إبرههم من حسنه \* ظني على شرف أمام طباء



(١) الشاصيات: جمع شاصية وهي الزقاق أو القرب الشاذة القوائم.

وقال ابن المعتز

وكانَ إبريقَ المدامَ لديهمُ \* ظبيُّ على شرفِ أنافٍ مَدلماً  
لما أَسْتَحْتَهُ السَّقَاةُ جَنَى لها \* فبكى على قدحِ النديمِ وقهقهها

وقال إسماعيل الموصلي

كانَ أباريقُ المدامَ لديهمُ \* ظباءُ بأعلى الرقتينِ قيامُ  
وقد شربوا حتى كانَ رِقَابُهُم \* من اللبنِ لم يُخَلِّقْ لَهْنُ عِظَامُ  
وكلُّهم نظروا الى قول علقمة بن عبدة :

كانَ إبريقُهُم ظبيُّ على شرفِ \* مفتتُمٌ بسبا الكَثَّانِ ملثومُ

وقال محمد بن هاني من أبيات

والأباريقُ كالظباءِ المواطى \* أوجستُ نَبَاةَ الخيلِ العناني  
مصنِياتٌ الى الغناءِ مُطَلَّاءُ \* تٌ عليه كَثِيرَةُ الإطراقِ  
وهي شُمُ الأَنُوفِ يَشْمَعْنَ كَبَرًا \* ثم يرغفن بالدمِ المُهْرَاقِ

وقال أبو نواس عن أبيه عنه

والكوب يضحك كالغزالِ المسبوحِ \* عند الركوعِ بلثغةِ الفأفأِ  
وكانَ أقداحُ الرحيقِ إذا جرت \* وسط الظلامِ كواكبُ الجوزاءِ

وقال بشار بن برد

كانَ إبريقنا والقَطْرُ من فهِ \* طيرٌ تَناولَ ياقوتاً بَمَنقارِ

ومما وصفت به الكاساتُ والأقداحُ ؛ فن ذلك قول ابن المعتز

غدا بها صفراءُ كَرَحِيَّةٍ \* تَخالها في كأسها نَتِيقِدُ  
وتحسب الماءَ زجاجاً لها \* وتحسب الأقداحَ ماءَ جَمَدِ



وقال ابن المعتز أيضا عن الله عنه

وكأيسُ تُحَجَّبُ الأبصارُ عنها \* فليس لناظر فيها طريقُ

كان غمامةً بيضاءَ بيني \* وبين الكأس تحرقها البروقُ

وقال أبو الفرج البغواء

من كلِّ جسمٍ كأنه عَرَضٌ \* يكاد لُطْفًا بالهَظْ يُنْتَهَبُ

كأنما صاغه التفاق فإ \* يخلص منه صدقٌ ولا كذبُ

وقال الرقاء

كان الكئوسَ بفضلاتها \* متوجةً بأكاليل نورِ

جيوبُ من الوشَى مزرورةٌ \* يلوح عليها بياضُ النحورِ

وقال آخر

وكانما الأقداحُ مترعة الحشا \* بين الشراب كواكبُ الجوزاءِ

وكانها ياقوتةٌ فضلاتها \* مخروطةٌ من دزة بيضاءِ

وقال المعرج

بساطيك كأسا غير ملائى كأنها \* إذا مُزجت أحداقُ درجٍ مُردِّ

كأنَّ أعاليها بياضُ سوايفٍ \* يلوح على توريدٍ خذ مورِدِ

وقال أبو نواس

وكانما الروضُ السماءُ ونهره \* فيه المجرةُ والكئوسُ الأنجمُ

وقال النعماني

يا واصل الكأس بتشيبيها \* دونك وصفا على القَدْرِ

كأن عينَ الشمس قد أفرغت \* في قالبٍ صيغ من البدرِ

وقال آخر

أقول للكأس إذ تبئت \* بكفٍّ أخوى أغنَ أحورُ:

أنحرت بيتي وبيتَ غيري \* وأصلُ ذا كعبك المدورُ



## الباب الخامس

### من القسم الثالث من الفن الثاني

(في التمدان والسقاة)

قال سهل بن هارون : ينبغي للتدبير أن يكون كأنما خُلق من قلب الملك يتصرف  
 بشهوته ويتقلب بإرادته، لا يملّ المعاشرة، ولا يسأم المسامرة، إذا آتشتي يحفظ،  
 وإذا صحا ييقظ، ويكون كأنما لسره، ناشرًا لبره. قالوا : فأنكر كاتبٌ نديما فقال الكاتب :  
 أنا معونة، وأنت مؤونة، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للرخاء، وأنا للحرب  
 وأنت للسلم، قال التدبير : أنا للنعمة، وأنت للخدمة، وأنا للمحطوة وأنت للهنة، تقوم  
 وأنا قاعد، وتغنشم وأنا مؤانس، تدأب لراحتي، وتشتق لما فيه سعادتي، فانا شريك  
 وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين، فلم يجر الكاتب جوابا والله أعلم . ١٠

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن التمدان، فقال : واحدٌ غمٌّ، واثنان :  
 همٌّ، وثلاثةٌ : قِوَامٌ، وأربعةٌ : تَمَامٌ، وخمسةٌ : مجلسٌ، وستةٌ : زحامٌ، وسبعةٌ :  
 جيشٌ، وثمانيةٌ : عسكرٌ، وتسعةٌ : أضربُ طلبك، وعشرةٌ : ألقى بهم من شئت .  
 وقال الجواز : التبيذ حرام على اثني عشر نفسا، من غنى الخطأ، وأتكا على اليمين،  
 وأكثر من أكل البقل، وكسر الزجاج، وسرق الريحان، وبَل ما بين يديه، وطلب  
 العشاء، وقطع<sup>(١)</sup> البهم، وحبس أوّل قديح، وأكثر الحليث، وأمتخط في منديل  
 الشراب، وبات في موضع لا يُحتملُ المبيت فيه . ١٥

(١) البهم : الوزر الطليط من أوتار العود .

قال أبو هلال السكري

ما أعاف النبيذَ خيفةً إني \* إنما عفته لفقدِ النديمِ  
ليس في اللهو والمدامةِ حظٌ \* لكريمٍ دون النديمِ الكريمِ  
فتعيرُ قبلَ النبيذِ نديماً \* ذا خللٍ معطراتِ النسيمِ  
وجمالٍ إذا نظرتَ بديحٍ \* وضميرٍ إذا أخبرتَ سليمِ

وقال آخر

أرى للكأسِ حقاً لا أراه \* لغير الكأسِ إلا للنديمِ  
هو القطبُ الذي دارتْ عليه \* رعى اللذاتِ في الزمنِ القديمِ

وقال آخر

وندمانٍ أنى تقي \* كأنَّ حديثه حبة  
يسركَ حسنَ ظاهره \* وتحمد منه مختبره  
ويستر عيبَ صاحبه \* ويستتر أنه ستره

وقال آخر

ونديمٍ حلوا الحديثِ يحاربتُك بما تشتهيهِ في ميدانك  
المنى كأنَّ قلبك في أضلاله أو كلامه في لسانك

وقال يحيى بن زياد

ولستُ له في فضلةِ الكأسِ قائلاً \* لأصرفه عنها : تحس ، وقد أبى  
ولكن أحبه وأكرم وجهه \* وأشرب ما أبى وأسقيه ما أشتهى  
ولستُ إنما نام عندي بموقف \* ولا أسمع يقظانَ شيطانِ الأذى

وقال آخر

ليس من شأنه إذا دارت الكأ \* سُنْ فازرى إدمانها بالعلوم  
قول ما يُسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قول النديم

وقال عبد الرحمن العطوى رحمه الله

أُخطب لكأماك ندما نأُسْرِبُه \* أولافنام عليها حكمة الكتب  
أُخطبه حزا كريما ذا عافضة \* ترى مودته من أقرب النسب

وقال أبو نواس

وندمان يرى عيبا عليه \* بأن يمتنى وليس به أنشاء  
إذا نهته من نوم سكر \* كفاه مرة منك النداء  
فليس بقائل لك: إيه دعنى \* ولا مستخبرا لك ما تشاء  
ولكن سقنى، ويقول أيضا: \* عليك الصّرف إن أعياك ماء  
إذا ما أدركته الظهْرُ صُلِّ \* ولا عصرٌ عليه ولا عشاء  
يصلّى هذه فى وقت هذى \* وكلّ صلّاته أبدا قضاء

وقال آخر

نهت ندمانى فهبوا \* بعد المنام لما استحبوا  
هذا أجاب وذا أنا \* بَ وذا يسير وذاك يحبو  
أنسدتهم بيتا يعلمُ ذا الصباية كيف يصبو  
ما العيش إلا أن تحب وأن يحبك من تحب  
فطربوا والأريجشة شأنها طرب وشرب

وقال أبو عبادة البحرى عن الله تعالى عنه

ونديم نبيه ودجى اليل وضوء الصباح يتلجان  
فمن نادى بها الصيام فقد أقسم رزاق الهلال من شعبان

وقال أيضا

- بات نديما لي حتى الصباح \* أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح  
كأنا يسلم عن لؤلؤ \* منقصد أو برد أو أفاح  
يساقط الورد علينا، وقد \* تبلج الصبح، نسيم الرياح  
إن لآل عطفاه قسا قلبه \* أو ثبت الخلل جال الوشاح  
أمرج كأسى يحنى ريقه \* وإنما أمرج راحا براح

- ١٠ ومنهم من كره النديم وآثر الأفراد، قال إبراهيم الموصلى عن الله تعالى عنه  
ورحمه : دخلت يوما على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب، فقلت  
له : تادم كلبا؟ قال : نعم، يمتنى أذاه، ويكف عن أذى سواه، ويشكر قليل،  
ويحفظ مبيتى ومقيل، وأنشد

وأشرب وحدي من كراهي الأذى \* مخافة شر أو سباب لئيم

- ١٥ انتهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل في السقاة، فن ذلك قول الصنوبرى عن الله عنه

ومؤرد الخدين يخترح من خطر في مؤرد  
يسقيك من جفن الجبين إذا سفاك دموع عسجد  
حتى تظن النجم ينزل أو تظن الأرض تصعد

فإذا سفاك بينه \* وفيه ثم سفاك باليد  
حيالك بالياقوت ثم الدر من تحت الزبرجد

وقال ديك الجن

ومُرِّر بالقضيب إذا تَنَّى \* ومزهاة على القمر التام  
سقاى ثم قبلنى وأوى \* بطرف سقمه يشفى سقاى  
فبت له على الندمان أسقى \* مداما فى مدام فى مدام

وقال ابن المعتز

تدور عليها الراح من كف شادين \* له لحظ عين يشكى السقم مدنف  
كأن سلاف الحمر من ماء خذه \* وعقودها من شعره الجعد يقطف

وقال أيضا

بين أقداحهم حديث قصير \* هو سحر وما سواه الكلام  
فكان السقاء بين الندامى \* ألسات بين السطور قيام

وقال أحمد بن أبي فتن

بكف مقرطى خنث \* تطيب بطيبه الريب  
تراها وهى فى كفيته من خديه تلهب

وقال الصنوبرى

وساق إذا هم ندماننا \* بأن يزجى الكأس لمزجه  
كلبة عاج على فرشه \* وليث عرين على سرجه  
لطيف المنطق مهتره \* تميل المؤزر مرتجه  
سقاى بينه أضاف ما \* سقاى بكفيه من غنجه

وقال آخر

ياساقى القوم إن دارت إلى فلا \* تمزج فإني بدمعي مازج كاسى  
وياقنى الحى إن غيّبت من طرب \* فغنّ : وأحرّبا من قلبه القاسى

وقال ابن المعتز

وعاقِد زنايَ على عُصْن الآس \* دَقِيقُ المعاني غُخْطَفُ الخَصيرِ مَيَّاسِ  
سَقَانِي عُقَّارًا صَبَّ فيها مزاجها \* فأصْحَكُ عن فُتْرِ الحِبابِ فَمَ الكَلِّاسِ

وقال أيضا

قام كالغصن في النقا \* يمزج الشمس بالقمر  
وسقاني المدام والليلُّ بالصبح مؤثّر  
والثريا كنورِ غصني على القرب قد يُثِرُ

وقال البحتري

وفي القهوة أشكال \* من الساقى وألوان  
حبابٌ مثل ما يَضَحَّشُكُ عنه وهو جَذَلَانُ  
ويسكر مثل ما يسكّرُ طرفُ منه وِسَنَانُ  
وطعم الريق إن جاد \* به والصب هَيَّانُ  
لنا من كَفِّه راح \* ومن رِيَاءٍ رِيحَانُ

وقال أبو التماس الميبري الكاتب رحمة الله تعالى عليه

سقانا الراح ساقٍ، كلُّ راج \* سوى أَلْخَاطِ عَيْنِهِ سَرَابُ  
يدير الكأس مبتسما علينا \* فما تدرى أنغر أم حَبَابُ؟  
وقد سفر الدجى عن ثوب بفر \* منير مثل ما سفر التقاب  
نفلت الصبح في أثر الثريا \* بشيرا جاء في يده كَلْبُ

وقال أبو الشيص

يطوف علينا به أحور \* يده من الكأس مغموضتان  
غزالٌ تميل بأعطافه \* قناةٌ تعطف كالخيزان

وقال أبو بكر محمد بن عمار

وهويته يسقى المدام كأنه \* قرى يطوف بكوكب في حندس  
متأرجح الحركات تسدى ريحه \* كالنصن هنزته الصبا بنفيس  
يسعى بكأس في أنامل سوسن \* ويدير أخرى في محاجر زجيس

وقال المعوج يصف ساقية

لا عيش إلا من كف ساقية \* ذات دلال في طرفها مرض  
كأنما الكأس حين تمزجها \* نجومٌ ليل تملو وتحفص

وقال آخر يصف امرأة ساقية

وساقية كانت بفريقها \* أكليلا على طبقات ورد  
لها طيبُ المنى وصفاء لون \* وحررة وجنية ومذاق شهد

وقال ديك الجن يصف ساقيا وساقية

أفديكما من حامل قَدَحَيْنِ \* قرين في عُصَيْنِ في دِعَصَيْنِ  
رودٌ منعمة ومهضوم الحشا \* للنظرين منى وقرة عين  
قامت مؤنثة وقام مؤنثا \* فتأها الألحاظ بالنظرين  
صبا على الراح إن هلالنا \* قد صب نعمته على التقلين  
والى كأسكا على ما خيلت \* بالشر معجونا بماء بلجين



## الباب السادس

### من القسم الثالث من الفن الثاني

- في الفناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما أستدل به من رأى ذلك ومن سمع الفناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر، وأخبار المغنيين الذين نقلوا الفناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن أشتهر بالفناء وأخبار القيان .

### ذكر ما ورد في الفناء من الحظر والإباحة

- قد تكلم الناس في الفناء في التحريم والإباحة وأختلفت أقوالهم وتباعدت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم، فمنهم من رأى كراهته وأنكر استماعه وأستدل على تحريمه،  
ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وأباحه وصمّم على إباحته، ومنهم من فرق بين أن يكون الفناء مجرداً أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرها من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمعاذف والقصب فأباحه على أفرادها وكرهه إذا أنضاف إلى غيره وحرم سماع الآلات مطلقاً، ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة أستدلّت بها، وقد رأينا أن نثبت في هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف النظائر المطوّلة فنقول وبالله التوفيق .



أما ما قيل في تحريم الفناء وما أستدلّ به من رأى ذلك، فإنهم أستدلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علماء المسلمين،

أما دليلهم من الكتاب العزيز فقول الله عز وجل : ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) . وقوله عز وجل : ( وَإِنَّا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ) . وقوله سبحانه وتعالى : ( وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِنَّا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) . وقوله تبارك وتعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ) . وقوله سبحانه وتعالى : ( وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) . وقوله : ( أَفَإِن هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ) . قال ابن عباس : ( سامدون ) هو الغناء بلغة حمير ، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن : سمع فلان إذا غنى . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) : إنه الغناء ، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهاه ، وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هو — والذي لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله تعالى : ( وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ) . قال : صوته الغناء والمزامير ، وعنه في قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) . قال : الغناء . وأما دليلهم من السنة فـ روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن الله عز وجل حرم القينة وبيعها ونمناها وتعليمها والاستماع إليها ، ثم قرأت ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) الآية ، وروى أبو أمامة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله عز وجل إليه شيطانان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يُمسك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أول من ناح وأكل من تنقي » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحَقِّينَ فَاخْرَيْنِ : صوت عند نعمة وصوت

- عند مصيبة . وأما أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، فقد روى عن عثمان  
 ابن عفان رضى الله عنه أنه قال : ما تنبت قط ، فتراها من الفناء وتصبح بركة .  
 وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الفناء ينبت التفاق في القلب كما ينبت  
 الماء البقل . وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما مرّ على قوم محرمون ومعهم  
 قوم ورجل يفتي فقال : ألا لا أسمع والله لكم ، ألا لا أسمع والله لكم . وروى عن  
 عبد الله بن دينار قال : مرّ ابن عمر رضى الله عنهما بجارية صغيرة تنقّي فقال :  
 لو ترك الشيطان أحدا ترك هذه . وعن إسحاق بن عيسى قال : سألت مالك بن  
 أنس رضى الله عنه عما ترخص فيه بعض أهل المدينة من الفناء فقال : ما يفعله  
 عندنا إلا القساق . وقال الشعبي : لئن المغنّي والمغنّي له . وقال الحكم بن عتيبة :  
 حبّ السماع ينبت التفاق في القلب . وروى أن رجلا سأل القاسم بن محمد فقال :  
 ما تقول في الفناء ، أحرّام هو ؟ فأعاد عليه ، فقال له في الثالثة : إذا كان يوم القيامة  
 فاتى بالحق والباطل أين يكون الفناء ؟ قال : مع الباطل ، قال القاسم : فأنت نفسك .  
 وقال الفضيل بن عياض : الفناء رقية الزنا ، وقال بعضهم : الفناء رائحة من رائحة  
 الفجور . وقال الضحاك : الفناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب . وقال يزيد بن  
 الوليد مع أشتهاره بما أشتهر به : يا بني أمية إياكم والفناء فإنه ينقص الحياء ويزيد  
 في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم  
 لا شك فاعلمين بغيره النساء ، فإن الفناء رقية الزنا ، وإنى لأقول ذلك فيه على أنه  
 أحبّ إلى من كلّ لثة وأشهى إلى نفسى من الماء إلى ذى الغلة الصادى ، ولكن  
 الحقّ أحقّ أن يقال . وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعي  
 رضى الله عنه في كتاب أدب القضاء : الفناء هو مكروه يشبه الباطل ، وقال : من  
 استكثر منه فهو سفیه تردّ شهادته . قال القاضي حسين بن محمد : وأما سماعه من

المرأة التي ليست بحرم، فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة . وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه لثبته، ثم غلط القول فيه وقال: هو ديانة، قال: وإنما جعل صاحبها سفيها لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا إلى باطل كان سفيها فاسقا . وقال مالك بن أنس: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له رتعا باليبس، قال: وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع النساء من الذنوب، قال: وذلك مذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وإبراهيم النخعي، والشعبي وغيرهم لا خلاف بينهم في ذلك، قال: ولا يعرف أيضا بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد: والغناء يورث العناد في قوم، ويورث التكذيب في قوم، ويورث المساواة في قوم .

وقال بعضهم عن حاله عند السماع

(١١)

أتذكر وقتنا وقد أجمعنا \* على طيب الغناء إلى الصباح؟  
ودارت بيننا كأس الأفاقي \* فاسكرت النفوس بفسير راج  
فلم ترفههم إلا نساوي \* سرورا والسرور هناك صاحي  
إذا لبي أخو اللذات فيه \* منادى اللهو حتى على السباح  
ولم يملك سوى المهجات شيئا \* أرقناها لألحاظ ملاح

هذا ملخص ما ذكره في تحريم الغناء، وقد استدلل من أباحه بما يناقض ما تقدم على ما نذكر ذلك إن شاء الله في إباحة الغناء .

## ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسمع والضرب بالآلة

- وقد تكلم الناس في إباحة الغناء وسماع الأصوات والنغبات والآلات، وهي الدف والبراع والقصب والأوتار على اختلافها، من العود والطنبور وغيره، وأباحوا ذلك وأستدلوا عليه وضعفوا الأحاديث الواردة في تحريمه، وتكلموا على رجالها وجرحوهم وبسطوا في ذلك المصنفات ووسعوا القول وشرحوا الأدلة، وطالعت من ذلك عدة تصانيف في هذا الفن مجردة له ومضافة إلى غيره من العلوم، وكان ممن تكلم في ذلك وجرّد له تصنيفاً: الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى، فقال في ذلك ما نذكر مختصره ومعناه. اعلم أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمعة إلى الكافة قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وسنّ وشرع وأمر ونهى كما أمر صلى الله عليه وسلم، فليس لأحد بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم والاتباع لستهم أن يحرم ما أحل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق من آية محكمة، أو سنة واضحة صحيحة، أو إجماع من الأمة على مقالته، وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية المكذّبين والمجتريين الذين لا تقوم بروايتهم حجة، وبأقاويل من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه فلا يرجع إلى قولهم ولا يسلك طريقهم، إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد

من الناس أولى من قول غيره، وإنما يلزم بقول من أيد بالوحى والتزيل وعصم من التغير والتبديل، قال الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحى من الله تعالى، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم يزل فيه وحىً توقف حتى يأتيه الوحى وليست هذه الميزة لغيره فيلزم قبول قوله .

### ذكر ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

قد استدلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندي جاريان من جوارى الأنصار تغنيان بما تناولت به الأنصار يوم بُعث وليستا بمغنيات، فقال أبو بكر: أمر مار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم! وذلك يوم عيد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريان تغنيان بغناء بُعَاثٍ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فآتهرنى وقال: مَرَمَارَةُ الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «دعهما» فلما غفل غمرتهما فخرجنا، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالفرق والحرباب، فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما قال «تَسْتَهِينِ تَسْطَرِينَ» قلت: نعم فأقامنى وراءه، خدنى على خده وهو يقول: «دونكم يا بنى أَرْفَلَةَ» حتى انا ملكتُ قال «حَسْبُكَ؟» قلت: نعم، قال «فأذهبي». ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريان في أيام مَنَى تَدَفَّقَانِ وتضربان، والنبي صلى الله عليه وسلم

متغش بشوبه، فاتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال :

«دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»، وتلك الأيام أيام منى . وقالت عائشة : رأيت

النبي صلى الله عليه وسلم يستغنى وأنا أنظر الى الحيشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم

عمر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «دعهم، أمتنا بنى أرفدة» يعنى من الأمن . قال

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث : أين يقع

إنكار من أنكر من إنكار سيدي هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم : أبى بكر

وعمر رضى الله عنهما، وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما لإنكارهما، فرجعا عن

رأيهما الى قوله صلى الله عليه وسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جارية

من الأنصار في حجرى فزففتها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء،

فقال : «يا عائشة ألا تبعتين معها من يُغنى فإن هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء» .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة

فأهدتها الى قُبَاء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهديت عروسك؟» قالت :

نعم، قال : « فأرسلت معها يَفَاءً فإن الأنصار يُحبونه ؟ » قالت : لا، قال «فأدركها

يا زينب» — امرأة كانت تفتى بالمدينة — رواه أبو الزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكي عن

جابر، وعنه أيضا قال : أنكحت عائشة رضى الله عنها ذات قرابة لها رجلا من

الأنصار، بغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أهديت الفتاة ؟ » قالوا : نعم،

قال « أرسلتم معها ؟ » قال أبو طلحة روى الحديث : ذهب عني، فقالت : لا ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ فلو بعتم معها من يقول

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ \* فَيَأْتَا وَجِبَاكُمْ<sup>(١)</sup>

(١) كذا بالأصل، وفي العقد الفريد : " فَيُؤْتَا نَحْيَكُمْ " وترجمه القافيه حيث روى البيت الثانى :

٢٠ ولولا الحية السرا \* لم نخل بواديك

وروى عن فضالة بن عبيد قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قَبِّ أَشَدُّ  
أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَتَجَهَّرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ". قال  
أبو عبد الله الحاكم في كتابه المستدرک: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم  
ولم يخرجاه وقد خرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه .  
قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى : ووجه الاحتجاج  
من هذا الحديث هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت أن الله تعالى يستمع  
إلى حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ كما يستمع صاحبُ القينة إلى قَيْنَتِهِ، فأثبت دليل السماع  
إذ لا يجوز أن يقبس على استماع محرم، قال : ولهذا الحديث أصل في الصحيحين  
أخرجاه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا أَذَّنَ اللَّهُ  
لشَيْءٍ مَا أَذَّنَ لِنَبِيِّ<sup>(١)</sup> يَتَقَنَّى بِالْقُرْآنِ" هذا ما ورد في السماع .



وأما ما ورد في الضرب بالآلة، فن ذلك ماورد في الدف. روى عن محمد بن  
حاطب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فصل ما بين الحلال والحرام  
الدف والصوت في النكاح". قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى : هذا حديث  
صحيح أزم أبو الحسن الدارقطني مسلما إخرجاه في الصحيح، وقال: قد روى عنه،  
يعني محمد بن حاطب، أبو مالك الأشجعي ومالك بن حرب وأبن عون ويوسف بن  
سعد وغيرهم، قال : وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله  
أبن ماجه في سننهما . وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفيع إلى جابر رضي الله عنه  
(١) في الأصل هكذا : « الاستماع محرم » وهو إما محرف عن « استماع محرم » أو « الاستماع المحرم »  
بغيرهما مما أو تكثيرهما ما .

(٢) كذا بالأصل، وفي اللسان : وفي الحديث « مَا أَذَّنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذَنَ لِنَبِيِّ يَتَقَنَّى بِالْقُرْآنِ » قال  
أبو عبد : يعني ما استمع الله لشيءٍ كاستماعه لِنَبِيِّ يَتَقَنَّى بِالْقُرْآنِ ، أى يثوره بيجهره . اهـ



أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دَفٍّ فقال « ما هذا ؟ » قيل : فلان تزوج ، فقال : « هذا نكاح ليس بالسَّفاح » وقد ضَعَفَ أبو الفضل إسناده هذا الحديث ، وقال : إنما أخرجه على ضعف إسناده لأنه شاهد الحديث الصحيح المتقدم . وروى أبو الفضل أيضا بسنده إلى خالد بن ذَكْوَانَ عن الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذ (١٦) قالت : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على صبيحة<sup>(١)</sup> بَنِي عَلَى<sup>(٢)</sup> فجلس على فراشي كجلسك مني ، فجلعت جَوَيرِياتَ يَضْرِبَنَّ بَدْفَ لَهْنٍ ويندُبَنَّ مَنْ قُيِّلَ من آبائي يوم بدر إلى أن قالت إحداهن : وفيما نبي يعلم ما في غد ، فقال : « دَعِيَ هذا وقولي الذي كنتِ تقولين قبله » وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذكوان أتم من هذا قال : كنا بالمدينة يوم عاشوراء وكان الجوارى يضربن بالدف ويقتنن ، فدخلنا على الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذ فذكرنا لها ذلك فقالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عُرْمِي وعندي جاريتان تُغْنِيان وسدبان آباء الذين قُتِلوا يوم بدر ، وهولان فيا هولان : وفيما نبي يعلم ما في غد ، فقال : « أما هذا فلا تقولوه لا يعلم ما في غد إلا الله عز وجل » . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب في بيت عائشة بدف ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فلانة آبنة فلان نذرت لئن رذك الله تعالى أن تضرب في بيتي بدف ، قال : « فَتَصْرَبْ » قال أبو الفضل : وهذا إسناده متصل ورجاله ثقات . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نذر في معصية الله » فلو كان ضَرْبُ الدَفِّ معصية لأمر بالتكفير عن

(١) كما بالأصل وفي البخاري : « فدخل حين يُنَى عَلَى » .

(٢) كما بالأصل وفي البخاري : « دعي هذه وقولي بالتي كنت تقولين » .

نذرهما أو مَنَعَهَا من فعله . وروى عن الشعبي قال : مرَّ عياض الأشعرى في يوم عيد فقال : مالى لا أراهم يُفَلِّسون فإنه من السنة ؟ والتفليس : الضرب بالدف ، قاله هُشَيْم .



- ٥ . وأما ما ورد في اليراع ، فقد احتج بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو ما خرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه قال : حدثنا أحمد بن عبد الله القداني ، حدثنا مسلم ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى عن نافع ، قال : سمع ابن عمر رضى الله عنهما مزمارا فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق ، وقال لى : يا نافع هل تسمع شيئا ؟ قلت : لا ، قال : فرجع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . قال أبو عبد الله اللؤلؤى : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكر . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث نرجه أبو داود في سننه هكذا وقد أنكره ، وقد ورد من غير هذا الطريق أن ابن عمر رضى الله عنهما سمع راعيا وذكره ، وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد ، فإن سلمان هذا هو الأشدق الدمشقي تكلم فيه أهل النقل وتفرد بهذا الحديث عن نافع ولم يروه عنه غيره ، وقال البخاري : سلمان بن موسى عنده من أكبر . والثاني قول عبد الله بن عمر لنافع رضى الله عنهم : أسمع ؟ ولو كان ذلك منهيًا عنه لم يأمره بالاستماع ، وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا ، ولو كان حراما لنهاه عنه وصرح بتحريمه ، لأنه الشارع المأمور بالبيان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَلَّقْتُ على سَهْوَةٍ لى سِتْرًا فيه تصاوير فلما رآه
- ١٠ .
- ١٥ .
- ٢٠ .
- (١) السهوة ستر تكون قدام فاء البيت وبما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هو شبه بالرف أو الطاق يوصع فيه الشيء . لسان العرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلون وجهه وَهَكَذَا . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بأبائه فنهأ عن ذلك . ورأى يزيد بن طَخْفَةَ مضطجعا على بطنه فنهأ وقال : "هذه خِجْمَةٌ يُفِضُهَا الله عز وجل" . وسمع صلى الله عليه وسلم رجلا يلعن ناقته فوقف فقال : "لا يتبعنا ملعون" فزَلَّ عنها وأرسلها . قال الحافظ المقدسى : وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال فثبت فساد هذا الحديث إسنادا ومثنا .



وأما ما ورد في القصب والأوتار ، ويقال له : التغير ، ويقال له : القطة أيضا ، ولا فرق بينه وبين الأوتار إذ لم يوجد في إباحته وتحريمه أثر لا صحيح<sup>(١)</sup> ولا سقيم ، وإنما استباح المتقدمون آستماعه لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ، وكان أصله الإباحة .

وأما الأوتار ، فالقول فيها القول في القصب ، لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها ، قال : وكل ما أوردوه في التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بين أهل المدينة في إباحة سماعه ، ومن الدليل على إباحته : أن إبراهيم بن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالة وفقهه وفتنه كان يُقَى بِحِلِّه وقد ضرب بالعود ، وسند ذكر خبره في ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى ، ولم تسقط عدالته بفعله .

عند أهل العلم فكيف تسقط عدالة المستمع ، وكان يبالغ في هذا الأمر أتم مبالغة ، وقد أجمعت الأئمة على عدالته وأتفق البخارى ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح ، وقد طم من مذهبه إباحة سماع الأوتار . والأئمة الذين رَوَوْا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه ورووا عنه بعد آستماعهم غناه وعلمهم أنه يُدْبِعُهُ ، ومنهم

(١) في الأصل : "لا صحيحا ولا سقيا" بصحهما وهو متروك .

الإمام أحمد بن حنبل، سمع منه ببغداد بعد حلقه أنه لا يحدث حديثاً إلا بعد أن يُفنى على حود، وذلك أنه لاشك سمع غناه ثم سمع حديثه، قال: وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحليه ولا تحريمه نص يُرجع إليه، فكان حكمه حكم الإباحة وإنما تركه من تركه من المتقنين تَوْعاً كما تركوا لبس اللين وأكل الطيب وشرب البارد والاجتماع بالنسوان الحسان، ومعلوم أن هذا كله حلال. وقد ترك

- رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الضب وسئل عنه أحرام هو؟ قال: "لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أطافه" وأكل على مائدة صلى الله عليه وسلم. وقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: إذا رأيت أهل المدينة أجمعوا على شيء فاعلم أنه سنة. وقد روى عن محمد بن سيرين رحمه الله أن رجلاً قدم المدينة بمحار، فقتل على ابن عمر وفيه جارية تضرب بغاء رجل فساومه فلم يهو منه شيئاً، فقال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعاً من هذا، فأتى إلى عبد الله ابن جعفر فرضه عليه، فأمر جارية قال: خذي، فأخذت العود حتى ظن ابن عمر أنه قد نظر إلى ذلك، فقال ابن عمر: حسبك سائر اليوم من مزموذم الشيطان، قال: فبايعه، ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني غُبت بسبعائة درهم فأتى ابن عمر إلى ابن جعفر فقال: إنه قد غُبت بسبعائة درهم، فأما أن تُعطيا إياه وإما أن ترد عليه بيعه فقال: بل نعطيا إياه، وهذه الحكاية ذكرها أبو محمد بن حزم وأستدل بها على إباحته فقال: فهذا عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد سمعا الفناء بالعود، وإن كان ابن عمر كره ما ليس من الجلد فلم ينه عنه وقد سَفَر في بيع مَنِيَّة<sup>(١)</sup> كما ترى ولو كان حراماً ما استجاز ذلك أصلاً.

(١) سفر: سى وتوسط، ومنه السفير وهو الرسول المصلح بين القوم. وفي باب البيوع من تخب المحل لابن حزم: وسى في بيع مَنِيَّة.



- وأما ما ورد في المزامير والملاهي، قال الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي : وأما القول في المزامير والملاهي فقد وردت الأحاديث الصحيحة يجوز استماعها . فمن ذلك ما رواه بسند رفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما هممت بشيء ٥ مما كان أهل الجاهلية يفعلونه غير مرتين كل ذلك يحول الله عز وجل بيني وبين ما أريده من ذلك ، ثم ما هممت بعدها بشيء حتى أكرمني الله برسائه ، فإني قلت لفلان من قريش ليلة وكان يرعى معي في أعلى مكة : لو أنك أبصرت غنمي حتى أدخل مكة فأشمر بها كما يشمر الشباب ؟ قال : افعل ، فخرجت أريد ذلك حتى جئت أول دار من ديار مكة سمعت عزراً بالدغوف والمزامير فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة بنت فلان ، بغلست أنظر إليهم فضرب الله عز وجل على أذني فسمت فما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ماذا فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئاً ثم خبرته الخبر<sup>(١)</sup> [ فقال ] ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك فقال : افعل ، فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت تلك الليلة فسألت عنه فقالوا : فلان نكح فلانة بغلست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مس الشمس ، فخرجت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسائه " . قال الحافظ أبو الفضل : وكان هذا قبل النبوة والرسالة وتزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام ، فإن الشرع لما ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقره على ما كان عليه في الجاهلية ولم يحرمه كما حرم غيره ، قال : والدليل على أنه باق على الإباحة قول الله عز وجل : ( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ٢٠ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَآلَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ) ثم بين الدليل على ذلك

(١) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل ، وسباق الكلام لا يقتضها .

بما رواه بسنده إلى جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً ، يخطب خطبتين ، فكان الجوارى إذا أنكحوهن يمرّون فيضربون بالدف والمزامير فيسأل الناس ويدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : ( وَإِنَّا رَأَوُا يُحَارَّةَ أَوْ لُطَمَاءَ أَتَقَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوكَ قَائِمًا ) . وقال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد الله بن حميد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال . والله عز وجل عطف الله على التجارة وحكم المعطوف حكم ما عطف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة ، ثبت أن هذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّمه ، ثم يخرّجه على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم خرج ينظر إليه ويستمع ، ولم يتزل في تحرّيمه آية ولا سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، فعلنا بذلك بقائه على حاله ، قال : ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حديث عائشة رضي الله عنها في المرأة التي زفّها وقد تقدّم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفعه عن زوج دُرّة بنت أبي لهب قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوّجت دُرّة فقال : " هل من لهُو ؟ " .

ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم الغناء والسماع

قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدلوا بها على تحرّيمه وفسروا بها الآيات والأحاديث التي استدلوا بها على تحرّيمه مما قلّمنا ذكر ذلك في مجيهم ، وما لم نذكره مما يستدل به على تحرّيمه وكراهته وضعف رجالها ، وتكلم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا في ذلك ووهن احتجاجهم إذ أثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

(١) أي يخلطون في استنحاء ، وفي الأصل : " شسك " وهو تحريف .

- قال الحافظ أبو الفضل : أما ما احتجوا به من الآيات في قوله تعالى :
- (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يُبْذِرَ عِلْمَهُ) (الآية .
- وما أورده في ذلك من الأسانيد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ،
- وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فنظرت في جميعها فلم أرف فيها طريقا ينبت إلا
- واحدا منها رواه يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد عن عطاء
- ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى :
- (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال : الفناء وأشباهه ، وسائرهما لا يخلو من
- رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة ، قال : ورأيت في بعضها رواية عطية العوفي عن
- ابن عباس من حديث غير ثابت أصلا (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال :
- باطل الحديث وهو الفناء ونحوه ، وهو أن رجلا من قريش اشترى جارية مغنية
- فزلت فيه ، قال : وهذا وإن لم يصح عندي الاحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم
- احتجوا به فيكون في حق هذا الرجل بينة . وقد ورد في الآية تفسير ثالث يلزمهم
- قبوله على أصلهم ، وذكر حديثا رفته إلى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع
- النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ
- الْحَدِيثِ) "اللعب والباطل وتشتت نفسه أن يتصلق بدمهم" . قال : وهذا أيضا غير
- ثابت عندي وإنما أوردت هذين التفسيرين مناقضة لما أورده فيما تمسكوا به ،
- قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحجج عليه ولا أزمهم إياه ، بل أقول
- صح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على
- الكتاب ، وأن الكتاب لا يقضى على السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبي
- صلى الله عليه وسلم أسمع للفناء وأمر باستماعه ، وقد أوردنا في ذلك من الأحاديث
- ما تقدم إيراده ، قال : وجواب ثان يقال لهؤلاء القوم المحتجّين بهذه التفسير : هل علم

هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه؟ فإن قالوا: لم يعلمه وعلمه هؤلاء، كان جهلا عظيما بل كعرا؛ وإن قالوا: علمه، قلنا: يُقَلِّبُ البنا عنه في تفسير هذه الآية مثل ما تُقَلِّبُ عن هؤلاء من الصحابة، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال، ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) هو الفناء، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما كان معكَّنْ لهو فإن الأنصار يسعجهم الله».

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ثلاثة ليس لها أصل: المغازي، والملاحم، والتفسير.

وقال أبو حاتم محمد بن حسان في كتاب الضعفاء: الله عز وجل يؤتي رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) ومن المخل المحال أن يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين خلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسرا لهم حتى يفهموا مراد الله عز وجل، فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أبان مراد الله عز وجل من الآي وفسر لأئمة ما تهم الحاجة إليه، وبين سنته صلى الله عليه وسلم، فمن تَبَيَّنَ السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجل وأغناه الله تعالى عن الكلبي ونذوبه، وما لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة في معاني الآي التي أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أئمة أجوز، وترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرى، قال: ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله: (لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) القرآن كله أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابه من الآي، فالآيات

٥

١٠

١٥

٢٠



التي ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأمته ، فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أن المراد من قوله تعالى : (لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) كان بعض القرآن لا الكل .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في هذه الآية : وأما شراءه ولو الحديث بالدين استبدالا به ليضلل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به وميضلا عن سبيل الله وهو المراد في الآية ، ولو قرأ القرآن : (ليضل به عن سبيل الله) لكان حراما . حكى عن بعض المتألفين : أنه كان يؤثم الناس ولا يقرأ إلا سورة "عَمَس" لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله [ ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال<sup>(١)</sup> ] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

١٠

وقال التلميذ في أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبي ومقاتيل : نزلت في النضر ابن الحارث بن طلحة بن كلفة بن عبد الدار بن قصي ، كان يجبر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول : إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكرسة فيستملحون حديثه ويتركون أسماع القرآن . وأحسبوا قوله تعالى : (أَلَمْ يَنْهَنا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ وَتَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) قال ابن عباس : هو الغناء بلغة حمير ، يعني - السامد - قال الغزالي رحمه الله : فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشمل عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى :

٢٠

(١) الزيادة المحصورة بين مربي ناقة من الأصول التي بين أيدينا ونقلناها عن كتاب الإحياء .  
(٢) عبارة السان في معرض تفسير هذه الآية : وروى عن ابن عباس أنه قال : السواد الغناء بلغة حمير .

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه. واحتجوا بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِفُو مَعْرُضُونَ). قال الثعلبي: قال الحسن: عن المصاحبي، وقال ابن عباس: الحلف الكاذب، وقال مقاتل: الشتم والأذى، وقال غيرهم: ما لا يحل من القول والفعل، قال: وقيل اللغو الذي لا فائدة فيه. واحتجوا بقوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ). قال الثعلبي: أى القبيح من القول، وبقوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا). قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا، وبقوله: (وَاسْتَفْرِزْ مِمَّنْ اسْتَبَقَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ). قال ابن عباس ومجاهد وقَتَادَة: بدعائك إلى معصية الله تعالى، وكل دأع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس. وأما ما احتجوا به من الحديث فإنهم احتجوا بحديث روى عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يحل بيع المفتيات ولا شراؤهن ولا تحل التجارة فيهن وأثمانهن حرام والاستماع إليهن حرام »، قال الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله: هذا حديث رواه عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة، قال: والصحابة كلهم عدول، وأما عبيد الله بن زحر وعلي والقاسم فهم في الرواية سواء لا يُحتج بحديث واحد منهم إذا انفرد بالرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله، أما عبيد الله بن زحر فيقال: إنه من أهل مصر، قال أبو مُسَيبُ النَّسَائِي: عبيد الله ابن زحر صاحب كل معضلة ليس على حديثه اعتماد. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: عبيد الله بن زحر كيف حديثه؟ قال: كل حديثه ضعيف، قلت: عن علي بن يزيد وغيره؟ قال: نعم. وقال عباس التُّورِي: عن يحيى: عبيد الله ابن زحر ليس بشيء. وقال أبو حاتم في كتاب الضعفاء والمتركيين: عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدًا، روى الموضوعات عن الثقات، وإذا روى عن علي بن يزيد

٥

١٠

١٥

٢٠

- أتى بالظلمات ، وإذا أجمع في إسناد عبيد الله بن زحر وعل بن يزيد والقاسم  
ابن عبد الرحمن لا يكون من ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج  
بهذه الضعيفة . قال المقدسي : وهذا الحديث قد أجمعوا في إسناده ، قال :  
وأما علي بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبي عبد الملك روى عن القاسم ، قال  
النسائي في كتاب الضعفاء : علي بن يزيد مقروك الحديث ، وقال أبو عبد الرحمن بن  
حيان : علي بن يزيد مطروح منكر الحديث جدًا . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى  
بأبي عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لا يسوى شيئاً ، وقال  
أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث ، وقال :  
أبو حاتم بن حبان : القاسم يروى عنه أهل الشام ، كان يروى عن الصحابة  
المفضلات ويأتي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات ، حتى كان يسبق إلى القلب أنه  
المتعمد لها . قال المقدسي : فهذا شرح أحوال رواة الحديث الذي أحتجوا به  
في التحريم ، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدل به في التحليل والتحريم ؟  
وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرني ربي عز وجل  
ببنى الطنبور والمزار » وهو حديث رواه إبراهيم بن اليسع بن الأشعث المكي  
وإسماعيل بن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، وإبراهيم هذا — قال  
البخاري — منكر الحديث ، وقال النسائي : المكي ضعيف . وأحتجوا بما روى عن  
علي رضي الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ،  
ولعب الصنج ، وصوت الزمارة وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مطر بن سالم  
عن علي قال : وعبد الله هو القداح ذاهب الحديث ، ومطر هذا شبه المجهول .  
وأحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : نهاني رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن المغنيات والنزاحات وعن شرائهن وبيعهن والتجارة فيهن وقال : «كسبهن

حرام". قال : وهذا حديث رواه علي بن يزيد الصدائى عن الحارث بن نيهان عن  
 أبى إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : والحارث بن نيهان  
 ليس بشيء ولا يُكتب حديثه ، قاله يحيى بن معين . وقال البخارى : الحارث منكر  
 الحديث . وقال أحمد بن حنبل : الحارث رجل صالح ولم يكن يعرف الحديث ولا  
 يحفظ ، منكر الحديث . وقال النسائى : الحارث بن نيهان متروك الحديث لم يروه  
 عن أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وغيره ولا رواه عنه غير علي بن يزيد  
 الصدائى ، وعلي هذا قال أحمد بن عدى : أحاديثه لا تُشبه أحاديث الثقات ،  
 والحارث الذى روى عن علي بن أبى طالب رضي الله عنه : هو الحارث بن عبد الله  
 أبو زهير الخارجى الأعور ، <sup>(١)</sup> أجمع أهل القل على كذبه ، والحمل في هذا الحديث على  
 الحارث بن نيهان وإن كان في الإسناد من الضعفاء غيره . واحتجوا بما روى عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : صَوْتُ  
 مزمارٍ عند نعمة وصَوْتُ نَذْبَةٍ عند مصيبة" وهذا حديث رواه محمد بن زياد عن  
 ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومحمد بن زياد هذا هو الطحان  
 الشكري . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى عنه فقال : أعور كذاب  
 حيث يضع الحديث . وقال يحيى بن معين : أجمع الناس على طرح هؤلاء النفر  
 لا يُعتد بهم ، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصيدلاني يقول : قدم محمد  
 ابن زياد الرقة بعد موت ميمون بن مهران . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم : أنه ذكر خسفاً ومسحاً وقنفاً يكون في هذه الأمة ، قالوا : يا رسول الله  
 إنهم يقولون : لا إله إلا الله ، قال : "نعم إنا أظهرها للرد ، والمعاذ ، وشرب

(١) كذا بالأصل وهو خطأ ، وصوابه : أبو زهير الخارجى بكسر الزاء . ومدها فاء ، نسبة الى خارف بن  
 من مهران . كما ذكر في أنساب السمعاني وفي تهذيب التهذيب لأبن حجر العسقلاني .

- الجمهور، ولبس الحرير" قال : وهذا حديث رواه عثمان بن مظفر عن عبد الغفور عن عبد العزيز بن سَعيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :  
 وعثمان هو الشيباني من أهل البصرة وكان ضريرا . قال يحيى بن معين : ليس بشيء .  
 وقال البخاري : متروك الحديث . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال : « بعثني ربي عز وجل يحق المزامير والمعازف والأوثان التي كانت تُعبَدُ  
 في الجاهلية والنحر، وأقسم ربي عز وجل بعزته أن لا يشرها عبد في الدنيا » الحديث .  
 قال : وهذا حديث رواه محمد بن القُرأت عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور  
 عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومحمد بن القُرأت هذا من أهل الكوفة . قال  
 أبو بكر بن أبي شيبة : هذا شيخ كذاب . وقال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال  
 النسائي : متروك ، وقد تقدم ذكر السبيعي والحارث الأعور ومضى الكلام عليه .  
 واحتجوا بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه مسندا : « إن الفناء يُنبئُ التفاق  
 في القلب » وهو حديث عبد الرحمن بن عبد الله العمري ابن أخي حبيب الله بن عمر  
 عن أبيه عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم . وعبد الرحمن هذا قال أحمد بن حنبل : ليس يَسُوَى حديثه شيئا ، سمعت منه  
 ثم تركاه ، وكان ولي قضاء المدينة ، أحاديثه منكبر ، وكان كذابا . قال النسائي :  
 وهو متروك الحديث . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 « مَنْ أَسْمَعَ إِلَى قِيَانِ صُبِّ فِي أُذُنِهِ الْآثُكُ<sup>(١)</sup> » وهو حديث رواه أبو نعيم الحلي عن  
 عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم اسمه

(١) الْآثُكُ : الرَّماس ، ولم يحقَّ على أَقْصَلٍ مفردا غير هذا .

عُيِّدَ بن محمد<sup>(١)</sup> من أهل حلب ضعيف ولم يبلغ عن ابن المبارك . مرسل . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لمن ألقه النائحة والمُسِمعة والمغني والمغني له » وهو حديث رواه عمرو بن يزيد الملائني عن الحسن البصري عن أبي هريرة ، وعمرو هذا قال أبو أحمد بن عدى<sup>(٢)</sup> : منكر الحديث ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئا ، وقال ابن عدى : هذا الحديث غير محفوظ . واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظر إلى المغنية حرام وغناها حرام وثمنها حرام » وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل النوفلي<sup>(٣)</sup> المدني عن يزيد بن خُصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويزيد الأول قال النسائي : متروك الحديث . وقال أحمد بن حنبل : عنده من أكبر . وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذلك . واحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل فيها البلاء » وذكرها وقال في جملتها : « وأتخذت القيان والمعازف » ، وهو حديث رواه فرج بن فضالة الشيباني عن أهل حمص عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أحاديث الفرج عن يحيى بن سعيد منكورة .

(١) كذا في الأصل . وفي تهذيب التهذيب وتخريب التهذيب وتهذيب التهذيب : عييد بن هشام .  
(٢) في تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعد أن أورد الحديث المروي عنه بالأصل : قال الله اقطعي نخره به أبو نعيم ولا يثبت عن مالك ولا عن ابن المنكدر .

(٣) البشارة المذكورة هنا في تخرج عمرو بن يزيد حكاهما المرتضى في شرح الإحياء عن ابن عدى فقل اسم أبي أحمد الذي هو كنية الحاكم وقع سهوا ولم نجد في كتب التراجم أن ابن عدى يكنى أبا أحمد .  
(٤) كذا في تهذيب التهذيب لأبن جرير . وفي الأصل : المديني .

وقال يحيى بن معين : فرج ضعيف . وقال أبو حاتم بن حبان : فرج بن فضالة كان يَلْبُ الأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَيُلصِقُ المَتَوْنَ الوَاهِيَةَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ ، لَا يَحِلُّ الاحتجاج به . واحتجوا بحديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن فذكر حديثاً قال فيه : « نُتِيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ

فاجر بن صوتٍ عند مصيبة وصوتٍ عند نعمة لعب ولهو ومزامير الشيطان »

وهذا حديث رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن عطاء عن جابر ، وأنكر عليه هذا الحديث وضعف لأجله . قال أبو حاتم بن حبان : كان ردىء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ يروى الشيء على وجه الوهم ويستحق الترك ، وتركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم سمع صوتاً فقال « انظروا

مَنْ هَذَا » فنظرتُ فإذا معاوية وعمر بن الخطاب . الحديث ، وفيه : « اللَّهُمَّ أَرَكُمَاهَا

في الفتنة رُكْسًا » وهو حديث رواه يزيد بن أبي زياد عن سليمان عن عمرو بن الأحرص عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ . ويزيد هذا من أهل الكوفة ، وكان الكَذْبَةُ يَلْقُونَهُ عَلَى وَفْقِ اعتقادهم فينقادوا ويحدثُ بها ضَعْفَةً أَهْلُ النَقْلِ ، وقد روى هذا الحديث من

طريق آخر ليس فيه معاوية هذا ، وأنه ابن التابوت . قال المقدسى : ولم يصب عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أحداً من أصحابه إلا بخير . واحتجوا بما روى

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضى الله عنه ، رفع الحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ خُسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَلْفٌ فِي مَتَخَذِي التِّيَّانِ وَشَارِبِي

(١) البارئان المذكوران هما في تخرج فرج بن فضالة وفي تخرج ابن أبي ليلى حكاهما شارح الاحياء عن ابن حبان فحصل ذكر أبي حاتم وقع هاهنا ولكن قال المرتضى في صدد الكلام عن فرج بن فضالة " وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به " .

(٢) في الأصل : زياد . وهو تحريف والصواب عن تهذيب التهذيب .

(٣) كذا بالأصل ولم ندر عليه فيما بين أيدينا من كتب التراجم .

الخمور ولا بئى الحرير» وهو حديث رواه زياد بن أبي زياد الجصاص عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، وزياد هذا متروك الحديث. واحتجوا بحديث روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وله قَبْنَةٌ فلا تَصَلُّوا عليه» وهو حديث روى بإسناد مجهول عن خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علي، وخارجة متروك الحديث من أهل سرخس. واحتجوا بما روى عبد الرحمن بن الجندى قال، قال عبد الله بن بشر صاحب النخبة صلى الله عليه وسلم: «يا بن الجندى، فقلت: لبيك يا أبا صفوان، قال: والله يُسَخِّنُ قوم وإنهم نقي شرب الخمور وضرب المعازف حتى يكونوا قردة أو خنازير. والحديث موقوف وآبن الجندى مجهول، والنخبة صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن لا يعذب أمته بما عذب به الأمم قبلها فأعطاه ذلك. واحتجوا بما روى عن أبي أمامة رضى الله عنه وقد تقدم بعضه، وفيه زيادة أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِلُّ بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا الجلوس إليهن» ثم قال: «والذى تسمى بيده مَارْفَعُ رَجُلٍ عَقِيرَتُهُ بِنَاءٍ إِلَّا أَرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ جُلُوسٌ شَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا وَشَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا حَتَّى يَسْكُتَ» وهذا حديث قد تقدم أوله من حديث عبيد الله بن زحر، وهذه الزيادة من رواية مسلمة بن عيسى التميمي عن يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة. ومسلمة هذا، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقد تقدم القول في القاسم بن عبد الرحمن. واحتجوا بحديث روى عن عبد الله بن مسعود من رواية سلام بن مسكين قال: حدثني شيخٌ سمعَ أبا وائل يقول: سمعت ابن مسعود

(١) في الأصل: يزيد والتصويب عن تهذيب التهذيب.

(٢) كذا في الأصل بزيادة "جلوس" وفي شرح الإحياء الرضى: إلا أرتدف على ذلك شيطان الخ.



- يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الْفَنَاءُ يُنْبِتُ التَّفَاقُقَ فِي الْقَلْبِ»  
هكذا رواه سَلَامٌ عن شيخ مجهول لا يُعرف . ورواه جرير بن عبد الحميد عن ليث  
أَبْنِ أَبِي سَلِيمٍ عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود  
وقوله<sup>(١)</sup> ، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن  
مغيرة عن إبراهيم ، قوله<sup>(٢)</sup> ، ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل<sup>(٣)</sup> فيه من  
قول إبراهيم . قال الفزالي رحمه الله تعالى : قول ابن مسعود : ينبت التفاق . أراد به  
في حق المغنى فإنه في حقه ينبت التفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره  
ويروج صوته عليه ، ولا يزال ينافق ويتوعد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه ، وذلك  
أيضا لا يوجب تحريما ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المَهْمَلَجَةِ وسائر  
أنواع الزينة والتفاخر بالحِرث والأثنام والزرع يُنْبِتُ الرِّيَاءَ والتَّفَاقُقَ فِي الْقَلْبِ ولا يُطْلَقُ  
القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب في ظهور التفاق في القلب المعاصي فقط ، بل  
المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأميرا ، ولذلك نزل ابن عمر رضي الله عنهما  
عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا  
التفاق من المباحات . واحتجوا بحديث روى عن صفوان بن أمية قال : كنا جلوسا  
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه عمرو بن قُرة فقال : يا نبي الله ، إن الله  
عز وجل كتب على الشقوة ولا أراني أرزق<sup>(٤)</sup> ، إلا من دق بكفى أتأذن لي في الفناء  
من غير فاحشة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إذن ولا كرامة ولا نعمة »  
وذكر حديثا طويلا ، وهو حديث رواه عبدالرزاق بن همام الصنعائي عن يحيى بن العلاء

(١) كذا في الأصول . ولعل الأصل : من قوله .

(٢) في نسخة : الأسانيد .

(٣) في الأصل : «إلا دق» . والتصويب عن شرح الاحياء السيد المرتضى .

عن بشر بن عُمر عن مكحول ، قال : حدثني يزيد بن عبد الملك عن صفوان بن أمية .  
ويحيى بن العلاء هذا مدني الأصل رازي . قال يحيى بن معين : يكنى أبا عمرو ، ليس  
بثقة . وقال عمرو بن علي الصيرفي : يحيى بن العلاء متروك الحديث والله أعلم .  
وأحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ثمن الكلب وكسب  
الزئارة ، وهو حديث نقله سليمان بن أبي سليمان الداودى البصرى عن محمد بن بشر  
عن أبي هريرة ، وسليمان هذا متروك الحديث غير همة . وأحتجوا بقول عثمان  
رضي الله عنه : ما تمنيت ولا تمنيت ولا مسستُ ذكرى يميني منذ بايعتُ النبي  
صلى الله عليه وسلم . وهذا حديث رواه صقر بن عبد الرحمن عن أبيه عن مالك  
ابن مغول عن عبد الله بن إدريس عن المختار بن قُفل عن أنس بن مالك في حديث  
القنف والصيد . قال المقدسي : هذا حديث لم أر فيه تحاملا ، ورأيت ذكر من هذا  
أشياء لم يأت بها غيره تُوجب ترك حديثه والله أعلم . وقال النزالي رحمه الله تعالى  
وذكر هذا الحديث : قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليلا  
تحريم الفناء ، فنأين ثبت أن عثمان كان لا يترك إلا الحرام ؟ . قال الحافظ أبو الفضل  
المقدسي رحمه الله تعالى : فهذه الأحاديث وأمثالها أحتج بها من أنكر السماع جهلا  
منهم بصناعة علم الحديث ومعرفة ، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثا مكتوبا  
في كتاب جعله لنفسه مذهبا وأحتج به على مخالفه ، وهذا غلط عظيم بل جهل جسيم .  
هذا ملخص ما أورده رحمه الله تعالى وفيه من الزيادات ما هو منسوب إلى الطلبي  
والنزالي على ما يتناه في مواضعه .

وقد تكلم الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد النزالي الطوسي رحمه الله تعالى  
على السماع في كتابه المترجم به «إحياء علوم الدين» ، ويؤيد دليل الإباحة وذكر بعد ذلك  
آداب السماع وآثاره في القلب والجوارح فقال :

اعلم أن السماع هو أوّل الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة تسمى الاضطراب، وإما موزونة تسمى التصفيق والرقص، ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر ما تمسك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما ذكره أو غنصره إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله تعالى : نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة وقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وأبن الزبير، والمنيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم، وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي . قال : ولم يزل المجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام الممدودات التي أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يُسمِنُ التلعين قد أعتمر للصوفية . قال : وكانت لمطاء جارتان تُلحَنان وكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم : كيف تُنكر السماع وقد كان الجنيدي وسرى السقطي وذو النون يسمعون ! فقال : كيف أنكر السماع وأجازته وسمعه من هو خير مني، وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها نزيد إلا قلة : حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء . قال الغزالي : ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكيًا عن المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره .

وحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم

فقلت : يا رسول الله، هل تتكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : " ما أنكر منه شيئا "

ولكن قل لم يفتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن . قال الفزالي : وعن  
 ابن جريج أنه كان يرخس في السماع فقيل له : تخطئه يوم القيامة في جملة حسنتك  
 أو سيئاتك ؟ فقال : لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبهه بالغو ، قال الله  
 تعالى : ( لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ) ؛ ثم بين الفزالي رحمه الله الدليل على إباحة  
 السماع فقال : اعلم أن قول القائل : السماع حرام ، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه  
 وهذا أمر لا يُعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة الشرعيات محصورة في النص  
 أو القياس على المنصوص . قال : وأعني بالنص ما أظهره رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه  
 نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه ويبقى فضلا لا حرج  
 فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس قال : وقد دلَّ  
 القياس والنص جميعا على إباحة السماع .

أما القياس فهو أن الفناء آت جمع فيه معانٍ ينبغي أن يُحْتَثَّ عن أفرادها ثم عن  
 مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرَّك للقلب ، فالوصف  
 الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى  
 المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وأصوات سائر الحيوانات . أما  
 سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يُحْتَرَمَ بل هو حلال بالنص  
 والقياس . أما القياس فإنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ،  
 والإنسان عقل وحس حواس ولكل حاسة إدراك ، وفي مُدْرَكَاتِ تلك الحاسة  
 ما يُستلذَّذ ، فلهذا البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن  
 وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرية القبيحة ، ولشَّمَّ الروائح  
 الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة . ولذَّوق الطعوم اللذيذة كالدُّسُومة والحلاوة

والمجوضة وهى فى مقابلة المرارة والمزاة المستبشرة، ولأس لذة اللين والنعومة والملاسة وهى فى مقابلة الخشونة والضراصة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة . فكل ذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلثة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كهيق الجر وغيرها، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولنتها على سائر الحواس ولذاتها .

وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله على عباده به إذ قال تعالى : ( يَزِيدُ فِي آخِلْقِي مَا يَشَاءُ ) فقيل : هو حسن الصوت . وفى الحديث : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام : « أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته، وكان يجلس من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك فى الأوقات » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدح أبى موسى الأشعرى : « لقد أعطى زممارا من زمامير آل داود » . وقوله تعالى : ( إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَيْرِ ) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو جاز أن يقال : إنما أبيع ذلك بشرط أن يكون فى القرآن لازمه أن يحترم سماع صوت العنديل لأنه ليس بقرآن ، وإذا جاز سماع صوت غفيل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعانى الصحيحة ؟ وإن من الشعر لحكمة . قال : فهذا نظر فى الصوت من حيث إنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ،

فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب .

والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة : فلأنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره ؛ وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ، وذلك الحيوان إما إنساناً وإما غيره . فصوتُ المتأمل والقهارى وذوات السجع من الطيور مع طيها موزونة متناسبة المَطالِع والمَقاطِع فلذلك يُستلذَّ سماعُها . والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على صورة الحناجر وهى تشبيه الصنعة بالخلقة ، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التى أمثأثر الله تعالى باختراعها ، منه تعلم الصناعات وبه قصدوا الاقتداء ، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ناهب إلى تحريم صوت العنديل وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان ، فيبغى أن يقاس على صوت العنديل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار آدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره ، ولا يستثنى من هذا إلا الملامى والأوتار والمزامير ، إذ ورد الشرع بالمنع منها لا لذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر وأقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير قطعاً ، وكان تحريمه من قبيل الإتياع كما حرمت الخلوة لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لأتصاله بالسواتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسكرُ لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حرم يُطِيفُ به ، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه

(١) وفى نسخة مطبوعة من الأحياء : على صوت . وزاد شارحه : وفى نسخة على صور .

(٢) الضراوة : الأعياد لها والاجراء طبا .

(٣) كذا بالأصل ، وفى إحياء النزالى : الخلوة بالأجنبية .

ليكون حَمِيٌّ للهِرامِ ووَاقِيَةً لَهُ وَحِظَارًا مانما حوله كما قال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيٌّ وَإِنْ حَمِيَّ اللَّهُ عَارِيَةٌ » فهي محزمة تبعاً لتحريم الخمر .

الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فَيُقَطَّعُ بِإِباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً ، والكلام المفهوم غير حرام ، والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد ، فمن أين يحرم المجموع ؟ نعم يُنْظَرُ فيما يُفْهَمُ منه ، فإن كان فيه أمر محظور حُرِّمَ نثره ونظمه وحُرِّمَ التصوتُ به سواء كان بالألحان أو لم يكن . والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله إذ قال : الشعر كلامٌ خَسَنُهُ حَسَنٌ وَفَيْحُهُ قَبِيحٌ ، ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان ، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان مباحاً ، ومهما أنضم

- ١٠ مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد ، ولا محذور ههنا ، وكيف يُنْكَرُ إنشاد الشعر وقد أُشْهِدَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ » وساق رحمه الله في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت إنشاد الشعر والحداء به وهي أشهر من أن يُجْتَاجَ إلى سردها . ثم قال بعد سياق الأحاديث : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة ، وما هو إلا أشعار تُؤَدَّى بِأَصْوَاتٍ طَيِّبَةٍ وَالْحَالِ مَوْزُونَةٍ ، ولم يُنْقَلْ عن أحد من الصحابة إنكاره ، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ ، فلا يجوز أن يُحَرَّمَ من حيث إنه كلام مفهوم مؤدَّى بأصواتٍ طَيِّبَةٍ وَالْحَالِ مَوْزُونَةٍ .

الدرجة الرابعة : النظرية من حيث إنه محمَّك للقلب ومُهَجِّج لما هو الغالب عليه ،

- ٢٠ قال أبو حامد : فاقول : لله سبحانه وتعالى سُرٌّ في مناسبة النهايات الموزونة للأرواح

- حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا : فمن الأصوات ما يُفْرِحُ ، ومنها ما يُحْزِنُ ، ومنها ما يُنْشِئُ ، ومنها ما يُضْحِكُ وَيُطْرِبُ ، ومنها ما يُسْتَخْرِجُ من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يُظَنَّ أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جارٍ في الأوتار حتى قيل : من لم يُحرِّك الرِّبْعَ وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك بفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه ، وتصرف نفسه عما يُبْكِيه إلى الإصغاء إليه ، والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحناء تأثيرا يستغف معه الأحمال الثقيلة ، ويستقصِّرُ قسوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة ، وينبث فيه من النشاط ما يُسْكِرُهُ وَيُورِّثُهُ ، قراها إذا طالت عليها البوادي وأعترها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت مُنَادِي الحناء تَمْدُّ أَعْنَاقَهَا وتُغْنِي إلى الحادي ناصبة آذانها وتُسْرِعُ في سيرها حتى ترتعزَ عليها أحمالها وعاملها ، وربما تُتَلِّفُ أَنْفُسَهَا في شدة السبر وتقل الحمل وهي لا تَشْعُرُ به لنشاطها ، فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقِّي ، قال : كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وأدخلني خباء فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه يتزعجُ رُوحَهُ ، فقال لي الغلام : أنت ضيف ولك حق قسَّع في حتى إلى مولاي فإنه مُكْرَمٌ لضيفه فلا يردُّ شفاعتك فساء يحلَّ الفيدَ عَنِّي ، فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت : لا آكل ما لم أُشْفَعْ في هذا العبد ، فقال : إن هذا العبد قد أقترني وأهلك جميع مالي ، فقلت : ما ذا فعل ؟ فقال : إن له صوتا طيبا ، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فعملها أحمالا تقالا وكان يحلو بها حتى قطعت مسيرة ثلاث ليل في ليلة من



- طيب نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حُطَّتْ أَحْمَالُهَا مَوَّتَتْ كُلُّهَا إِلَّا هَذَا الْجَمْلُ الْوَاحِدَ ، وَلَكِنْ أَنْتَ ضَيْفِي فَلِكِرَامَتِكَ قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ ، قَالَ : فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَمْرَهُ أَنْ يَحْدُوَ عَلَى جَمْلٍ يَسْتَقِي الْمَاءَ مِنْ بَرٍّ هُنَاكَ ، فَلَمَّا رَفَعَ صَوْتَهُ هَامَ ذَلِكَ الْجَمْلُ وَقَطَعَ حَبَالَهُ وَوَقَعْتُ أَنَا عَلَى وَجْهِهِ ، فَمَا أَظُنُّ أَنِّي قَطُّ سَمِعْتُ صَوْتًا أَطْيَبَ مِنْهُ ، قَالَ :
- فإِذَا تَأَثَّرَ السَّمَاعُ فِي الْقَلْبِ مَحْسُوسٌ ؛ وَمَنْ لَمْ يَحْزَكَ السَّمَاعُ فَهُوَ نَاقِصٌ مَائِلٌ عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، بَعِيدٌ عَنِ الرُّوحَانِيَّةِ ، زَائِدٌ فِي غِلْظِ الطَّبْعِ وَكَثَافَتِهِ عَلَى الْجَمَالِ وَالطَّبِيعِ بِلِ عَلَى سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، فَإِنَّ جَمِيعَهَا تَأَثَّرُ بِالنَّهَاتِ الْمَوْزُونَةِ . وَمَهْمَا كَانَ النَّظَرُ فِي السَّمَاعِ بِاعْتِبَارِ تَأَثُّرِهِ فِي الْقُلُوبِ لَمْ يَمِزْ أَنْ يُحْكَمَ فِيهِ مَطْلَقًا بِإِبَاحَةٍ وَلَا تَحْرِيمٍ ، بَلْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ وَالْإِتِّخَاصِ وَأَخْتِلَافِ طُرُقِ النَّهَاتِ ، فَحُكْمُهُ حَكْمُ مَا فِي الْقَلْبِ .
- ١٠ قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : السَّمَاعُ لَا يَحْجُلُ فِي الْقَلْبِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَلَكِنْ يُحْزَكُ مَا هُوَ فِيهِ .

### ذكر أقسام السماع وبواعثه

- وأقسام السماع تختلف باختلاف الأحوال : فَإِنَّ مِنْهُ مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ ، وَمَا هُوَ مَبَاحٌ ، وَمَا هُوَ مَكْرُوهٌ ، وَمَا هُوَ حَرَامٌ . أَمَّا الْمُسْتَحَبُّ فَهُوَ لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يُحْزَكَ السَّمَاعُ مِنْهُ إِلَّا الصِّفَاتُ الْمَحْمُودَةُ ؛ وَأَمَّا الْمَبَاحُ فَهُوَ لِمَنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ السَّمَاعِ إِلَّا التَّلَذُّذُ بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ ؛ وَأَمَّا الْمَكْرُوهُ فَهُوَ لِمَنْ لَا يَتَزَلَّ عَلَى صُورَةِ الْمَخْلُوقِينَ
- ١٥ وَلَكِنْ يَتَخَذُهُ عَادَةً لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ عَلَى سَبِيلِ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا الْحَرَامُ فَهُوَ لَا كَثَرِ النَّاسِ مِنَ الشَّبَابِ وَمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ الدُّنْيَا فَلَا يُحْزَكُ السَّمَاعُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ . وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا مَخْتَصَرُهُ وَمَعْنَاهُ : الْكَلِمَاتُ الْمُسَجَّعَةُ الْمَوْزُونَةُ تُعَادُ فِي مَوَاضِعَ لِأَغْرَاضٍ مَخْصُوصَةٍ تَرْتَبِطُ بِهَا آثَارُ فِي الْقَلْبِ وَهِيَ سَبْعَةٌ مَوَاضِعَ :
- ٢٠

الأول : غناء المجحج فإنهم يدورون أولا في البلاد بالطليل والثناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثاني : ما يتبادر الفؤاد لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضا لما فيه من استثارة النفس وتحريكها على الغزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقييح الفرار .

الثالث : ما يرتجزه الشجعان عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب، لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمتع بالشجاعة والنجدة، وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

الرابع : أصوات النياحة وتغاتها وتأثيرها في تهيج البكاء وملازمة الحزن والكآبة، وهذا قسمان : محمود ومذموم . فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : ( لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ) . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يُغْضِبُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ <sup>(١)</sup> وَتَأْسَفُ عَلَى مَا لَا تَدَارِكُ فِيهِ . وأما الم محمود فهو حزن الإنسان على نقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياهم . والبكاء والتباكى والحزن والتعازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة ، فقد كَانَ يَحْزَنُ وَيُحْزِنُ وَيَبْكِي وَيَبْكِي حَتَّى كَانَتْ الْجَنَائِزُ تُرْفَعُ مِنْ مَجَالِسِ نِيَاحَتِهِ وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْفَافِظَةِ وَالْحَسَانَةِ ، وذلك محمود لأن المنقضى إلى المحمود محمود، وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن يُشَدَّ عَلَى الْمُنْبَرِ بِالْحَنَانَةِ الْأَشْعَارِ الْمُحْزِنَةِ الْمُرَقَّةَةِ لِلْقَلْبِ وَلَا أَنْ يَبْكِيَ وَيَتْبَاكِيَ لِتَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى بَكَاءِ غَيْرِهِ وَإِثَارَةِ حَزْنِهِ .

(١) كذا بالأصل ، وفي الإحياء : فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف الخ . ٢٠

- الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتيسيراً له إن كان ذلك السرور مباحاً كالإفناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وعند الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معتاد لأجل إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إنشادهم بالنف • والألحان عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم يقولون

طلع البدر علينا \* من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا \* ما دعا لله داعي

- فإظهار هذا السرور بالنغبات والشعر والرقص والحركات محمود . فقد نقل عن جماعة من الصحابة أنهم تجلّوا في سرور أصابهم كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل غائب وكل ما يجوز الفرح به شرعاً . ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم وأجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

- السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتيسيراً للعشق وتسليّة للنفس ؛ فإن كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تيسير الشوق . والشوق وإن كان مؤلماً فله نوع لذة إذا أنضاف إليه رجاء الوصال ؛ فإن الرجاء لذيذ والياس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشئ المرجو ، ففى هذا السماع تيسير للعشق وتحريك للشوق وتحصيل اللذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطباب في وصف حسن المحبوب . قال : وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته فيضغى إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الإذن وبفهم لطائف

معاني الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة . فهذا نوع تمتع من جملة  
مباحات الدنيا ومتاعها وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهذا منه وكذلك إن  
غُصِبَتْ منه جاريةٌ أو حَبِلَ بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يُحْزَنَ بالسماع  
شوقه وأن يَسْتَتِرَ به لَذَّةَ رَجُلِهِ الوصال ، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ  
لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء . وأما من يُمَثِّلُ في نفسه  
صورةً صبيٍّ أو امرأةٍ لا يجوز له النظر إليها وكان يترق ما يسمع على ما يمتثل  
في نفسه فهو حرام لأنه محزوك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح  
الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض الحكماء عن الشوق  
فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويبهجه السماع .

- ١٠ الساج : سماع من أحب الله سبحانه وتعالى وعشقه وأشتاق إلى لقاءه فلا ينظر  
إلى شيء إلا رآه فيه ، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ؛ فالسماع في حقه  
مهيج لشوقه ، ومؤكد لعشقه ووجهه ، ومؤثر زائد قلبه ، ومُستخرج منه أحوالاً من  
المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذائقها ، ويُنكِرها من كُلِّ  
حِسِّه عن ذَوَاقِها ؛ ونسَمي تلك الأحوال بلسان الصوفية وَجْداً — مأخوذ من  
الوجود — وللصوفية على هذا كلامٌ يطول ترجمه ليس هذا موضع إيرادِه والله أعلم .

### ذكر العوارض التي يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى : والسماعُ يحرم بخمسة عوارض : عارض في المُسْمِعِ ،  
وعارض في آلة السماع ، وعارض في نظم الصوت ، وعارض في نفس المستمع  
أو في موطنه ، لأن أركان السماع هي المُسْمِعُ والمُسْتَمِعُ وآلة السماع .

المعارض الأول : أن يكون المُسَمِّعُ امرأة لا يَحِلُّ النظر إليها وتُخْشَى الفتنَةُ من سماعها، وفي معناها الصبي الذي تُخْشَى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنه، وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث تَفْتِنُ بصوتها في المحاوره في غير الحان فلا يجوز محاورتها ومعادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا، وكذلك الصبي الذي تُخْشَى فتنته . فإن قلت : فهل تقول : إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب، أو لا يحرم إلا حيث تُخْشَى الفتنه ؟ فأقول : هذه مسئله محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان : أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت منها الفتنه أو لم تُخَفْ لأنها مَطْلَةُ الفتنه على الجملة، فقضى الشرع بحسم الباب من غير اكتفات إلى الصورة . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنه فلا يُلْحَقُ الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يَنْبَغِي أن يُفَصَّلَ فيه الحال .

١٠ . وصوتُ المرأة دائرٌ بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت . وليس تحريك النظر لشهوة الماسة كتصريك السماع بل هو أشد . وصوتُ المرأة في غير الفناء ليس بعورة ولكن للفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة ، فقياسُ هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغي أن يُتَّبَعَ مَثَارُ الفتنِ ويُقَصَّرَ التحريمُ عليه ، هذا هو الأقوى عندي . قال : ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يُعْلَمُ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَسْمَعُ صوتَهما ولم يحتَرِزْ عنه، ولكن لم تكن الفتنه مخوفةً عليه فلذلك لم يحتَرِزْ، فإذا اختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يَخْتَلِفَ الأمرُ في مثل هذا بالأحوال، فإننا نقول : للشَّيْخِ أن يُقَبِّلَ زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك،

والتَّجَلُّبُ تَدْعُو إِلَى الْوَقَافِ فِي الصُّومِ وَهُوَ مَعْظُورٌ، وَالسَّمَاعُ يَدْعُو إِلَى الْفُظْرِ وَالْمُقَارَبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ أَيْضًا بِالِاتِّخَاصِ .

العارض الثاني في الآلة — بَأَن تَكُونَ مِنْ شَعَائِرِ أَهْلِ الشَّرْبِ أَوِ الْخَمْنِ وَهِيَ الْمَزَامِيرُ وَالْأَوْتَارُ وَطَبْلُ الْكُوبَةِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ وَمَا عِدا ذَلِكَ يَبْقَى عَلَى أَصْلِ الْإِبَاحَةِ كَالثَّقِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْجَلَّاجِلُ وَكَالطَّبْلِ وَالشَّاهِينِ وَالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ وَسَائِرِ الْأَلَاتِ .

العارض الثالث في نظم الصوت — وَهُوَ الشَّعْرُ فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ الْخِفَاءِ وَالْفَحْشِ وَالْمُجَبَّاءِ أَوْ هُوَ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ عَلَى الصَّعَابَةِ كَمَا رَتَبَهُ الرُّوَافِضُ فِي هِجَاءِ الصَّعَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَسَمَاعُ ذَلِكَ حَرَامٌ بِالْخُلَانِ وَغَيْرِ الْخُلَانِ ، وَالْمُسْتَمِيعُ شَرِيكُ الْفَاعِلِ ، وَكَذَلِكَ مَا فِيهِ وَصَفُ أَمْرَأَةٍ بَيْنَهَا فَتْنَةٌ لَا يَحُوزُ وَصْفُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرِّجَالِ . وَأَمَّا هِجَاءُ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبَدْعِ فَذَلِكَ جَائِزٌ ، فَقَدْ كَانَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ يُنَادِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُهَاجِرُ الْكُفَّارَ ، وَأَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ . فَأَمَّا النَّسِيبُ وَهُوَ التَّشْيِيبُ بِوَصْفِ الْخُلُودِ وَالْأَصْدَاغِ وَحَسَنِ الْقَدِّ وَالْقَامَةِ وَسَائِرِ أَوْصَافِ النِّسَاءِ فَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَحْرَمُ نَظْمُهُ وَإِنْ شَهِدَهُ بَلْعُنٌ وَغَيْرُ بَلْعُنٍ ، وَ عَلَى الْمُسْتَمِيعِ أَلَّا يُزَلِّهَ عَلَى أَمْرَأَةٍ مُبِينَةٍ إِلَّا عَلَى مَنْ تَحَلَّى لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ ، فَإِنْ زَلَّهَ عَلَى أَجْنَبِيَّةٍ فَهُوَ الْعَاصِيُ بِالتَّزْوِيلِ وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ فِيهِ ، وَمَنْ هَذَا وَصَفُهُ فَيَبْنِي أَنَّ يَحْتَجِبَ السَّمَاعُ رَأْسًا فَإِنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَشْقُ زَلِّ كُلِّ مَا يَسْمَعُهُ عَلَيْهِ سِوَاهُ كَانَ اللَّفْظُ مُنَاسِبًا أَوْ لَمْ يَكُنْ ، إِذَا مَا مِنْ لَفْظٍ إِلَّا وَيُمْكِنُ تَزْوِيلُهُ عَلَى مَعَانٍ بِطَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ ، فَالَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ عَشْقُ مَخْلُوقٍ يَبْنِي أَنَّ يَحْتَرِزُ مِنْ

(٧٦)

السماع بأيّ لفظ كان، والذي غلب عليه حبّ الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمتنع عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة .

العارض الرابع في المستمع — وهو أن تكون الشهوة غالباً عليه وكان في غيرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حبّ شخص معين أو لم يظلب، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والحدّ والوصال والفراق إلا ويحرك ذلك شهوته ويؤثره على صورة معينة ينفع الشيطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيّل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى . والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات ، وبين حزب الله وهو نور العقل إلا في قلب قد فتحه أحد الجنّين وأستولى عليه بالكلية، وغالب القلوب قد فتحتها جنود الشيطان وظلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزواجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتشجيد سيوفه وأسنده ، والسماع مشحذ لأسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص ، فيخرج مثل هذا عن جميع السماع فإنه يستتضيه، والله أعلم .

العارض الخامس — أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يظلب عليه حبّ الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه عخطورا ، ولكنه أبيع في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه اتخذ ديدنه وهجره وقصر عليه أكثر أوقاته، فهذا هو السفيه الذي تردّ شهادته فإن المواظبة على الله جناية، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة؛ فبعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحشدة والنظر إلى لمبهم على الدوام فإنه ممنوع

وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبيل اللَّسِبُ بالشَّطْرَجِ فإنه مباح ، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الفرض اللَّعِبَ والتَّلَذُّذُ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب ؛ إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه . هذا ملخص ما أورده في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته ، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

### ذكر آثار السماع وآدابه

قال أبو حامد رحمه الله : اعلم أن أول درجة السماع فهمُ المسموع وتزيله على معنى يقع للاستيع ثم يُغَيَّرُ الفهمُ الوجد ، ويُثَرِّجُ الوجدُ الحركةَ بالحوارج ، فليُنظر إلى هذه المقامات الثلاثة :

١٠. **المقام الأول** — في الفهم ، وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع . ولاستيع أربعة أحوال :

أحداها — أن يكون سماعه يجرّد الطبع أى لاحظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات فهذا مباح وهو أخس رتب السماع ؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم ، ولكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

١٥. **الحالة الثانية** — أن يسمع بفهم ولكن يُتَرَّلَهُ على صورة إما معينة أو غير معينة وهو سماعُ الشباب وأرباب الشهوة ويكون تزليلهم المسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن يُتَكَلَّم فيها إلا بيان خستها والنهي عنها .



الحالة الثالثة - أن يُزَلَّ ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملة الله تعالى وتقلب أحواله في التمكن منه مرة وبعده منه أخرى، وهذا سماع المريد لاسيما المبتدئين، فإن للمريد لأحواله مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء؛ وله في مقصده طريق هو سالكه، ومعاملات

- هو متأثر عليها، وحالات تستقبله في معاملاته؛ فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصلي أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للمهدد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هول العبرات أو ترأف الحسرات أو طول الفراق أو عزة الوصال أو غير ذلك

(١٠)

- ١٠ مما يشتمل على وصفه الأشعار؛ فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه، فيجري ذلك مجرى القداح الذي يورى زناد قلبه، فتشعل به نيرانه، ويقوى به أنبعاث الشوق وحيجانه، وتهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لمادته، ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه؛ بل ليكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظ. وضرب الإمام الغزالي لذلك أسئلة يطول شرحها.

١٥

الحالة الرابعة - سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعالجاتها، وكان كالمدحوش الفانص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى يهنّ وسقط إحساسهن؛ وعن مثل هذه الحالة تبصر الصوفية بأنه قني عن نفسه

نفسه ، ومهما قَفِيَ عن نفسه فهو عن غيره أَقْبَى ؛ فكأنه قَفِيَ عن كلِّ شيء إلا عن الواحد المشهود، وقَفِيَ أيضا عن الشهود فإن القلب إن أَلْتَفَت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مُشَاهِدٌ فَقَدْ غَفَلَ عن المشهود . فالاستهتر بالمرئى لا أَلْتَفَات له في حال استغراقه إلى رؤيته و[لا] إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لَذَنهُ ؛ فالسكران لا خُبْرَ له في سكره ، والمتلذذ لا خُبْرَ له في التناذه ، إنما خُبْرُه من المتلذذ به فقط ، ولكن هذا في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تُطْفِئ القوة البشرية فربما يضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما رَوَى عن أبي الحسن التويرى أنه سمع هذا البيت

ما زِلْتُ أَزِيلُ من ودادك مِثْلًا \* تُخَيِّرُ الأَلْبَابَ دُونَ زَوَلِ

- ١٠ فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع في أَجَمَةٍ قَصَبٍ قد قُطِعَتْ وجبت أصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويميد البيت إلى النداء والدم يحمرى من رجله حتى ورمت قدماء وساقاه ومات بعد أيام رحمه الله . قال أبو حامد : وهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات ، لأن السباع على الأحوال وهي مترجة بصفات البشرية نوع قُصُور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ، أعنى أنه ينساها فلا يبقى له أَلْتَفَاتٌ إليها كما لم يكن للنسوة أَلْتَفَاتٌ إلى اليد والسكين ، فيسمع بالله، وقله، وفي الله، ومن الله؛ وهذه رتبة من خاض لِحُجَّةِ الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأتمد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا، بل تَحَدَّتْ بالكلية بَشَرِيَّتُهُ وقَفِيَ أَلْتَفَاتُهُ إلى صفات البشرية وأسا . قال : ولستُ أعنى بفنائهِ فناء جسدِهِ بل فناء قلبهِ، ولستُ أعنى بالقلب القلْبُ والمغم بل سِرُّ لطيفٍ له إلى القلب الظاهر نسبة خَفِيَّةٍ ورامها سِرُّ الرُّوح الذي هو من
- ١٥
- ٢٠

(١) الزيادة من تنجيب الاحياء . (٢) في الاحياء من في الموضعين بدل في .

(٣) عبارة الاحياء : فكان يتدفقها ويروح .

أمر الله عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا وَجَهِلَهَا مِنْ جَهِلَهَا ولذلك السرُّ وجودٌ، وصورة ذلك الوجود ما يحضُرُ فيه فإنَّ حاضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر، ومثاله المرأة المجلوبة، إذ ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لَوْنُها لَوْنُ الحاضر فيها، وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لَوْنَ قرارها، ولونها لَوْنُ الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورةٌ بل صورتها قَبُولُ الصُّورِ ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، قال: وهذه مَفَاصَـةٌ من مَفَاصَـاتِ علوم الكاشِفةِ منها نشأ خَيَالٌ من آدَى الحلول والاتحاد. هذا مُلَخَّصٌ ما أورده في مقام الفهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقام الثاني — بعد الفهم والتزويل الوجود. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: وللناس كلامٌ طويلٌ في حقيقة الوجود أعضى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألقاها ثم لنكتشف عن الحقيقة فيه.

أما الصوفية، فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع: إنه واردٌ حقٌّ جاء يُزجِجُ القلوبَ إلى الحقِّ، فن أصنى إليه بحقٍّ تحقِّق، ومن أصنى إليه بنفسٍ ترتلق. فكأنه صَبَّرَ عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يحده عند ورود السماع، إذ سُمِّيَ السماعُ واردٌ حقٌّ. وقال أبو الحسين الدراج مُحَرَّرًا عما وَجَدَهُ في السماع: والوجدُ عبارةٌ عما يُوجَدُ عند السماع، وقال: جال في السماع في ميادين البهاء، فأوجدني وجود الحق عند العطاء، فسقاني بكأس الصفاء، فأدركت به منازل الرضاء، وأخرجني إلى رياض الزهدة والفضاء. وقال الشَّيْبِيُّ: السماع ظاهره فِتْنَةٌ وباطنه عِبْرَةٌ، فن عَرَفَ الإشارةَ حلَّ له أَسْمَاعُ العِبْرَةِ وإلا فقد آستدعى الفتنه وتعرض للبلية. وأقوال الصوفية في هذا النوع كثيرة.

وأما الحكماء، فقال بعضهم: في القلب قِصْبَةٌ شريفةٌ لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان، فلما ظَهَرَت سُرَّت وطُوبِت إليها، فاستمعوا

من النفس وتاجوها ودعوا مُتاجاة الظواهر . وقال بعضهم : نتائج السماع أستنهاض العاجز من الرأى وأستجلاب المازب من الفكر وحِدة الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عَزَبَ وينهَض ما عَجَزَ ويصفو ما كَدَّرَ ويتمرَح في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ . ثم ذكر المعنى الذى الوجد عبارة عنه فقال : هو عبارة عن حالة يثرها السماع وهو وارد [حق] جديد عقيب السماع يحده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو من قسمين : فلما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ ولما أن ترجع إلى تفتيرات وأحوال ليست من العلوم والتنبيهات بل هي كالشوق والخوف والحزن والتعلق والسرور والأسف والندم والبسط والتقبض ، وهذه الأحوال يبيجها السماع ويقويها ، فإن ضعفت بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يُسمَّ وجداً ، وإن ظهر على الظاهر شئ وجداً إما ضعيفاً وإما قوياً بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك . وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشأ لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله ؛ فإن الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه ، والسماع منه .

(١) في بعض نسخ الاحياء : وينخرج من .

(٢) الزيادة عن كتاب الاحياء ، وعمره الزيدى شارح الاحياء بقوله : «أى وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوى لا يشوبه الباطل» .

ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد. ومنها صفاء القلب، والسماع مؤثر في تصفية القلوب، والصفاء سبب المكاشفة. ومنها أنبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه [قبل ذلك] قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله، وهذا الاستكشاف من ملاحظة أسرار المكنوت؛ وكما أن حل الجمل يكون بواسطة، فبواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف؛ بل القلب إذا صفا تمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في البقطة وبالرؤيا إذا كان في المنام، وذلك جزء من النبوة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة. وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال :

١٠ خرجت يوما في أيام جهل وأنا نسوان وكنت أغنى هذا البيت  
يعطينا بأذ كرم ما مررت به \* إلا تعجبت من يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول

وفي جهنم ماء ما تجرعه \* خلق فائق له في الجوف أمعاء

فقال : وكان ذلك سبب توبتي وأشتغالي بالعلم .

١٥ قال أبو حامد : فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم وفي لفظ منظوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب، ويشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يخيل

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج

٢٠ وبينها وبين القادسية ميل ، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب وكانت من أزه المواضع محفورة بالكرم والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهرم والبطالة . ٨١٠ .

لأرباب القلوب بصور مختلفة، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى » . قال : فحاصل الوجد يرتجع إلى مكاشفاتٍ وإلى حالاتٍ ينقسم كل واحدٍ منهما إلى ما لا يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلاً . وضرب لذلك أمثلة : منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسائلان متشابهتان في الصورة ويُدرك بذوقه أن بينهما فرقاً في الحكم ، فإذا كَلَّفَ ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق عِلْمٌ يصادفه في قلبه بالذوق، ولا شك أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لالتصوير في لسانه بل لدقة المعنى أن تتأله العبارة .

وأما الحال فكَم من إنسان يدرك في قلبه في الوقت [ الذي يصبح فيه ] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يختص به، وقد تكون الحالة التي يختص بها سرورا ينبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور، أو حزنا فينسى المتفكر فيه ويختص بالأثر عقيبها، وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفَصِّحة عن المقصود؛ بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها، أعني التفرقة بين الموزون والمتحرف، ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها

بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم . فاما الأوتار وسائر النغبات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهذا عجيب ؛ والذي اضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهدين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشاق ويحد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى ؛ وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما ، صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه ، فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورش ذلك دهشة وحيرة لا محالة .

ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راقى الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري أنه يشاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء ، فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وعد بها في سيرة المنتهى والفراديس العلاء ، إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي يسمع [ لفظ ] الوقاع و [ آسم ] النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة ليعرف بالمقايسة ؛ فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط ، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه وأشتياقه بالطبع ، فتقاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويضطرب ويتعير ويكون كالمحتق

الذى لا يعرف طريق الخلاص ، فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصّف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر أقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

- وأعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكفّف يسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكفّف ، فنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ؛ ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى الاستدعاء للأحوال الشريفة وأكتسابها وأجتماعها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويحازن ، فإن هذه الأحوال قد تُتكفّف مباديها ثم تتحقّق أو آخرها ، وكيف لا يكون التكفّف سببا فى أن يصير المتكفّف بالآخرة طبعاً ، وكل من يتعلّم القرآن أولاً يحفظه تكلفاً ١٠ ويقرؤه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ذيقاً للسان مطّرداً حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتوابع نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته . وذكر أبو حامد أمثلة نحو ذلك ثم قال : وكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس عنها عند فقدّها بل ينبغي أن يُتكفّف أجتماعها بالسماع وغيره ، فلقد سُويّد فى العادات من أشتى أن يعشق ١٥ شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردّد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرّ على نفسه الأوصاف المحبوبة إليه والأخلاق المحمودة فيه حتى عَشِقَهُ ورمخ ذلك فى قلبه رسوخاً نخرج عن حدّ اختياره ، وأشتى بعد ذلك الخلاص منه فلم يقتل ، فكانك حبّ الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من محضه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدّها الإنسان فينبى أن يتكفّف أجتماعها بمخالسة الموصوفين بها ، ومشاهدة ٢٠ أحوالهم ، وتحسين صفاتهم فى النفس ، وبالجلوس معهم فى السماع ، وبالثناء والتضرّع



إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يُسرِّه أسبابها ، ومن أسبابها السماع  
ومجالسة الصالحين والخاتمين والمحبين والمشتاقين والناشئين ؛ فمن جالس شخصا سرت  
إليه صفاته من حيث لا يدري . ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال  
بالأسباب قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : ” اللهم أرزقني حبَّك وحبَّ  
من أحبَّك وحبَّ مَنْ يُقرَّبني إلى حبِّك “ . فقد فرغ إلى الدعاء في طلب الحب .  
قال : فهذا بيان أقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال ، وأقسامه إلى ما يمكن  
الإيضاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وأقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

⊗

المقام الثالث — في آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يُحمد من آثار الوجد ويُذم .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهي خمس جملي :

- ١٠ الأول — مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة  
أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال الغزالي : ومعناه أن الاشتغال  
به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صايف من الصوارف مع اضطراب  
القلب لافانكة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان فإراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون  
شارعا مطروقا أو موضعا كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُجنب ذلك .
- ١١ وأما الإخوان فسيبه أنه إذا حضر غير المجلس من منكر السماع مترهِّد بالظاهر مفليس  
عن لطائف القلوب كان مستحقلا في المجلس وأشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر  
متكبر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبته ومراعاته ، أو متكلف متواجد من أهل  
التصوّف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع  
عند فقد هذه الشروط أولى .

الثانى — وهو نظر للحاضرين، أن الشيخ إذا كان حوله مُريدون بضرم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشتغلهم بشغل آخر . والمريد الذى لا يستفيد بالسماع أحد ثلاثة : أقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو مضيع لزمانه . الثانى : هو الذى له ذوق ولكن فيه بقية من الحفظ والاكثفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد أنكساراً تَوْمَنُ غوائله فرجاً يهيج السماع منه داعيةً اللهو والشهوة فيقطع طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد أنكسرت شهوته وأمنت غائلته وأفتحت بصيرته وأستولى على قلبه حب الله تعالى، ولكنه لم يُحكَمْ ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل، وإذا قُبِحَ له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم عليه من نفع السماع . قال سهل : كلٌ وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والنساء ، ولا من يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله عن عبادته ومراعاة قلبه ويُقطع عليه طريقة الأدب ؛ فالسماع مَرَلَةٌ قديم يجب حفظ الضمضاء عنه .

الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل، حاضراً القلب، قليل الاكثفات إلى الجوانب، متحرراً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره، متحفظاً عن حركة تُشَوِّش على أصحابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكناً الظاهر ، هادئاً

- الأطراف متحرزا عن التثنج والتثاؤب، يجلس مطرفا رأسه بجلوسه في فكرٍ مستغرقٍ لقلبه، مماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراماة، ساكنا عن التعلق في أثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور وغير ملوم، ومهما رجع إليه اختياره فليعد إلى هدوه وسكونه ؛ ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال : أهطع وجدته على القرب، ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال : هو قاصي القلب عديم الصفاء والركة . قال : وقوة الوجد تحرك، وقوة العقل والتماكك تضبط الظواهر، وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته، وإما لضعف ما يقابله ويكون التقصان والكمال بحسب ذلك، فلا نظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتمّ وجدا من الساكن باضطرابه بل ربّ ساكن أتمّ وجدا من المضطرب، فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك
- ١٠ فقيل له في ذلك فقال : ( وَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَائِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ أَلَدَى أُنْهَى كُلِّ شَيْءٍ ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت، والجوارح متاذبة في الظاهر ساكنة .

الأدب الرابع — ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه،

- ١٠ ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراماة لأن التباكى استجلاب للذن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون، وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم حجوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك [وذلك] في قصة أبنه حمزة بن عبد المطلب لما اختتم فيها

(١) يزفون : يرقصون .

(٢) الزيادة عن الاحياء .

على بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم، فتشاحوا في تربيتها  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: «أنت منى وأنا منك» فجعل على . وقال  
لجعفر: «أشبهت خلقى وخلقى» فجعل . وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فجعل  
الحديث . قال : والمجل الرقص ويكون لفرج أو شوق فحكه حكم مهيجه إن كان

❧

فرحه محمودا ، والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود ، فإن كان مباحا فهو مباح ، وإن  
كان مذموما فهو مذموم . ثم لا يليق ذلك بمنصب الأكابر وأهل القدوة لأنه  
في الأكثر يكون عن ملوولٍ وما له صورة اللب في عين الناس فينبغي أن يختبه  
المقتدى به لئلا يصغر في عين الخلق فيترك الاقتداء به . وأما تحريق الثياب فلا  
رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث  
يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي  
لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكروه إذ يكون له في الحركة  
أو التزيق متغص فيضطر إليه اضطراب المريض إلى الأتني ، ولو كلف الصبر عنه  
لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ، فليس كل فعل حصوله بالإرادة بقدر الإنسان  
على تركه ، فالتغص فعل يحصل بالإرادة ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس  
ساعة أضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس ، فكذلك الزعقة وتحريق الثياب قد  
يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم .

الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجده صادق من  
غير رياء وتكليف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجده وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة  
فذلك من آداب الصحبة ، وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية الملهمة على موافقة

(١) وفي النهاية لابن الأثير: الجبل أن يرض رجلا ويقفز على الأخرى من الفرج وقد يكون بالرجلين  
إلا أنه نزع . (٢) الذى فى الاحياء : تمزق .

- صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتخريق<sup>(١)</sup>، فالموافقة في هذه الأمور من حُسن الصحبة والعشرة إذ المخالفة موحشة، ولكل قوم رسمٌ ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن المعاشرة والمجاملة وتطبيب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إن ذلك بدعة لم تكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا . والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب، بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه، وإن كان لم يثبت فيه نهى عام، فلا يرى به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن القصد منه الاحترام والإكرام وتطبيب القلب به، وكذلك سائر أنواع المساعدة إذا قصد بها طيبة القلب وأصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل . ومن الأدب أن لا يقوم المرقص مع القوم للرقص إذا كان يُستعمل رقصه ويشوش عليهم أحوالهم؛ إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف، ومن يقوم عن صديق لا تستغله الطباع، فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب يحكُّ للصدق والتكلف . سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد . هذا ملخص ما أورده الغزالي رحمه الله تعالى في معنى السماع وقسمه إلى هذه الأقسام التي ذكرناها .

(١) في الاحياء . بالتخريق .

(٢) كما في الأصل ولم يظهر له معنى . وأصل العبارة في الاحياء : ألا يقوم الرقص مع القوم ان كان الخ .

- وأما أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التي أحجّوا بها وضعف رواياتهم ما تقدم وذكر الآية : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وأنه قيل : إنه الفناء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثبت عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، وإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة، وما كان هكذا فلا يجوز القول به ثم لو صح لما كان فيه متعلق لأن الله تبارك وتعالى يقول : (لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وكل شيء أفتى ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن، فإذا لم يصح في هذا شيء فقد قال الله عز وجل : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) وقال تعالى : (خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعظم الناس جرأاً في الإسلام من سأل عن شيء لم يحرم تحرم من أجل مسألته" فصح أن كل شيء حرمه الله عز وجل علينا فقد فصله لنا، وكل ما لم يفصل تحريمه لنا فهو حلال . وأستدل رحمه الله على إباحته بالأحاديث التي ذكرناها، حديث عائشة عن خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في غناء الجاريتين، وأستدل أيضاً بحديث نافع أن ابن عمر سمع من مارا فوضع إصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع، هل تسمع شيئاً؟ قلت : لا، فرفع إصبعيه عن أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت مثل هذا وصنع مثل هذا . قال : فلو كان حراماً ما أباح عليه الصلاة والسلام لابن عمر سماعه ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه، ولكنه عليه الصلاة والسلام كره لنفسه كل شيء ليس من التقرب إلى الله عز وجل، كما كره الأكل متكثراً، والتنشف بعد الغسل في ثوب بعد لذلك، والستر المورشي على سهوة عائشة وعلى باب فاطمة رضي الله عنهما، وكما كره صلى الله عليه وسلم أشد الكراهة أن يبيت عنده دينار أو درهم، وإنما بُعث عليه



الصلاة والسلام مُنْكَرًا لِلنَّكَرِ، آمرا بالمعروف؛ فلو كان ذلك حراما لما أقصر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسد أذنيه عنه دون أن يأمر بتركه وينهى عنه، ولم يفعل عليه الصلاة والسلام شيئا من ذلك بل أقترنه وتقرنه عنه فصَحَّ أنه مباح وأن الترك له أفضل كسائر فضول الدنيا المباحة . قال : فإن قال قائل : قال الله تبارك وتعالى : (لَمَّا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) ففي أى ذلك يقع الغناء؟ قيل له : حيث يقع الترويح في البساتين وصباغ ألوان الثياب ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَّا نَوَى فَإِنَّا نُوِي الْمَرْءُ تَرْوِيحَ نَفْسِهِ وإجماعهما لتقوى على طاعة الله فلا أتى ضللا . قال : ولا يحل تحريم شيء ولا إباحته إلا بنص من الله عز وجل أو من رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه إخبار عن الله عز وجل ولا يجوز عنه تعالى إلا بالنص الذي لاشك فيه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ كَتَبَ عَلَى مُتَعَمِّلًا فَلْيَبْزُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» . وقد تكلم على إباحة السماع جماعة من العلماء ؛ وفيما أوردناه من هذا الفصل كفاية؛ فلندكر من سمع الغناء من الصحابة رضي الله عنهم .

ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

قد روي أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم سمعوا الغناء .

- ١٥ منهم النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه . روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المترجم : «بالأغاني» ، بسند رفيع إلى أبي السائب المخزومي وغيره ، قال : دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير فقال : والله لقد أخفقت أذناني [من] الغناء فاسمعوني ، فقبل له : لو وجهت إلى عزّة الميلاء فلها من قد

عَرَفْتُ ، فقال : إى وربِّ هذه البنية ! إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل شحنا ،  
إبعثوا إليها عن رسالتى فإن أبت صرْتُ إليها ، فقال له بعض القوم : إنَّ الثقلة تستند  
عليها لتقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها ، فقال النعمان : وأين النجائب عليها الموداج ؟  
فوجه إليها بحبيبة فذكرت علة ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال بلطيسه : أنت  
كنت أخبر بها ، قوموا بنا ، فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرَقوها فأذنت وأكرمت  
وأعترت ، فقبل النعمان عندها وقال لها : غنى ، فغنت

أَجَدَّ بِمَمْرَةٍ غُنْيَانَهَا \* فَتَهَجَّرَ أُمُّ شَانْهَا شَانْهَا<sup>(٥)</sup>  
وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا \* تَتَفَحُّ بِالْمِسكِ أُرْدَانَهَا<sup>(٦)</sup>

قال : وهذا الشعر هو لقيس بن الخطيِّم في أم النعمان بن بشير وهي عمرة بنت رَوَاحَة  
أخت عبدالله بن رَوَاحَة قال : فأشير إلى عَمْرَةٍ أنها أمه فامسكت فقال : غنني فوافقه  
مادكر إلا كراما وطيبا ولا تنفى سائر اليوم غيره ، فلم تزل تغنيه هذا المثنى حتى أنصرف .

ومنها : حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهاني  
بسنده إلى محرز بن جعفر قال : خَنَّنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ وَأَوَّلَمَ وَأَجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ  
وَالْأَنْصَارُ وَعَاقَتُهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَحَضَرَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفِّ بِصَرِّهِ يَوْمَئِذٍ وَنَقَلَ

(١) في الأغانى ، ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق «دور الكعبة» .

(٢) الأصل : لمن ، والتصويب عن الأغانى ، ج ١٤ ص ١٢١

(٣) كذا بالأصل ، وفي الأغانى : إليها .

(٤) غنيانها : أى استخاضها ، وفي الأصل : « غنيانها » والتصويب عن الأغانى والمثلث وديوان  
الشاعر المذكور يمد الطبع في ليميك سنة ١٩١٤ م .

(٥) كذا في الأصل : وفي الأغانى واللسان والديوان « أم تانا شانها » وكلامها دومنى والأول

أوجه .

(٦) جمع ردن بصم مسكون وهو مقدم كم الفيص أو الفهيص كله .



سمعه فوضع بين يديه خُوانٌ ليس عليه غيره إلا عبد الرحمن ابنه ، وكان يسأله كلما وُضعت صحفة قال : أطعام يد أم يدين ؟ فلم يزل يأكل حتى جرى بشواءه ، فقال : أطعام يد أم يدين ؟ فقال : بل طعام يدين ، فأمسك يده ، حتى إذا فُرغ من الطعام نُبتت وسادة وأقبلت عزة الميلاء وهي إذا شابة ، فوضع في حجرها مزهره فضربت به وتفتنت ، فكان أول ما ابتدأت به شعر حسان

فلا زال قصرين بصرى وجِلَقِي<sup>(١)</sup> \* عليه من الوشمي جودٌ ووايلٌ

فطرب حسان وجعلت عيناه تنفصَحان على خذيه وهو مُصنح لها .

وروى أيضا بسنده إلى خارجة بن زيد أنه قال : دُعينا إلى مأدبة في آل نُيَيط فحضرتنا وحضر حسان بن ثابت بفلستا جميعا على مائة واحدة وهو يومئذ قد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن ، وكان إذا أتى بطعام سأل ابنه عبد الرحمن أطعام يد أم طعام يدين ؟ بنى طعام اليد التريد ، وطعام اليدين التواء لأنه يُهش نهشا فلذا قال : طعام يد أكل وإذا قال : طعام يدين أمسك يده ؛ فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين مغنيتين إحداهما ” راحمة ” والأخرى ” عزة ” بفلستا وأخذتا مزهرهما وضربتا ضربا عجيبا وغتتا بقول حسان بن ثابت

أَنْظُرْ خَلِيلِي بِبَابِ جِلَقِي هل \* تُؤْنِسُ دُونَ الْبِقَاءِ مِنْ أَحَدٍ<sup>(٢)</sup>  
قال : فاسمع حسان يقول : قد أراي هناك سيميا بصيرا ، وعيناها تسمعان ، فإذا سكنتا سكن عنه البكاء وإذا غتتا بيكي ، قال : وكنت أرى عبد الرحمن ابنه إذا سكنتا يشير إليهما أن غنيا ، فيكي أبوه فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه ؟

(٨١)

(١) هي دمشق أو غرمتها وزنتها كحس وقنب .

(٢) في الألفاظ ، ج ١٦ ص ١٥ : بما .

وروى أيضا بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال :  
إني وفيّة من قريش عند قينة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن  
حسان ، فكرهنا دخوله وشق علينا فقال لنا عبد الرحمن ابنه : أيسركم ألا يحلس ؟  
قلنا : نعم ، قال : فمروا هذه إذا نظرت إليه أن تُفنى

أولاد جفنة حول قبر أبيهم \* قبر ابن مارية الكريم المفضل  
يُنشون حتى ما تهر كلابهم \* لا يسألون عن السواد المقيّل

قال : ففتته ، فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه ، ثم قال : أفيمك الفاسق ؟  
لعمري لقد كرهتم مجلسي اليوم ، وقام فانصرف . وهذا الشعر لحسان بن ثابت وهو  
مما أمتدح به جبلة بن الأيهم وهو من قصيدة طويلة منها قوله في مدح آل جفنة  
بيض الوجه كريمة أحسابهم \* شم الأنوف من الطراز الأول

وروى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى الحارث  
ابن عبد الله بن العباس : أنه بينما هو يسير مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بطريق  
مكة في خلافته ومعه من معه من المهاجرين والأنصار ، ترّم عمر بييت ، فقال له  
رجل من أهل العراق — ليس به عراقية — : غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين !  
قال : فاستحيا عمر وضرب راحلته حتى أقطعت من الركب . قال المقدسي :

ويزيد ذلك وضوحا — وساق حديثا بسنده إلى يحيى بن عبد الرحمن — قال : خرجنا  
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحج الأكبر حتى إذا كان عمر بالروحاء<sup>(١)</sup> كلم  
الناس رباح بن المعترف<sup>(٢)</sup> ، وكان حسن الصوت بفناء الأعراب ، فقالوا : أئتمنا  
وقصرنا الطريق ، فقال : إني أفرق من عمر قال : فكلم القوم عمر : إذا كلمنا

(١) موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) في الأصل : « المعترف » والتصويب عن أسد النابة .

رباحاً أن يُسمِعنا ويُقَصِّرنا طريقَ المسير فأبى إلا أن تأذن له ، فقال له : يا رباح أسمعهم وقصّر عنهم المسير فإذا أتمحت فارفع وأحدّم بشعرِ ضرار بن الخطّاب ، فرفع عَصِيته يتقنّى وهم محرمون .

وروى أيضاً بسنده إلى يزيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر رضى الله عنه مرّ برجل يتقنّى فقال : إن الفناء زاد المسافر .

وروى سُفيان الثوريّ وشعبة كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر بن سعد البجليّ : أن أبا مسعود البديريّ ، وقرظة بن كعب ، وثابت بن زيد ، وهم في عُمرسٍ وعندهم غناء ، فقلت : هذا وأتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! فقالوا : إنه رُخص لنا في الفناء في العرس والكاء على الميت في غير نوح ، إلا أنّ شعبة قال : ثابت بن وداعة مكان ثابت بن يزيد ولم يذكر أبا مسعود .

وقال الإمام أبو حامد الفزاليّ رحمه الله تعالى عن أبي طالب المكيّ : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومهاوية وغيرهم وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابيّ وتابعيّ بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضل المقدسيّ بسند رفعه إلى عمر بن أبي زائدة قال : حدثتني امرأة عمر بن الأصم<sup>(١)</sup> قالت : مررنا ونحن جوارٍ يجلس سعيد بن جبيرة ومعنا جارية تنقّى ومعها دُفٌّ وهي تقول

لئن قَتَلْتَنِي فهِى بِالْأَمْسِ أَقْتَنْتُ \* سَعِيدًا فَأَمْسَى قَدْ قَتَلَ كُلَّ مُسْلِمٍ  
وَأَلْقَى مَفَاتِيحَ الْقِسْرَةِ وَأَشْتَرَى \* وَصَالَ الْغَوَايِ بِالْكَتَابِ الْمُنَمِّمِ<sup>(٢)</sup>

فقال سعيد : تكذيبين تكذيبين .

(١) الذي في شرح الاحياء ، ج ٦ ص ٤٦١ « محرو » .

(٢) في الاصول فالتى فالفاء . والتصويب عن شرح الاحياء ، ج ٦ ص ٤٦١

## ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعُباد والزهاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفته إلى المأريسي ، قال : مررتا مع الشافعي وإبراهيم ابن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم

خيل ما بال المطايا كأنها \* نراها على الأعقاب بالقوم تنكص<sup>(١)</sup>

فقال الشافعي : ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم : أبطرك هنا ؟ قال : لا ، قال : فما لك حش !

وروى أيضا بسند رفته إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : كنت أحب السماع وكان أبي يكره ذلك ، فواعدت ليلة ابن الخبازة فكثت عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام ، فأخذتني ، فسمعت خشفة فوق السطح ، فصعدت ، فرايت أبي فوق السطح يسمع ما يغني وذيله تحت إبطه وهو يتختر كأنه يرقص . قال : وقد رويت هذه الحكاية أيضا عن عبدالله بن أحمد بن حنبل — وساق سندنا إليه — قال : كنت أدعو ابن الخبازة وكان أبي ينهانا عن الغناء ، وكنت إذا كان عندي كتمته من أبي ثلاثي سمع ، فكان ذات ليلة عندي وهو يقول ، فعرضت لأبي عندنا حاجة — وكانوا في زقاق — فجاء وسمعه يقول ، فوقع في سمعه شيء من قوله ، فخرجت لأنظر فلما بأبي يخرج ذاهبا وجائيا ، فرددت الباب ودخلت ، فلما كان من الغد قال أبي : يا بني ، إذا كان مثل هذا فقم الكلام ، أو ساء . قال أبو الفضل : وابن الخبازة هذا هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر ، وكان عاصر أحمد ورواه حين مات .

(١٧)

(١) تنكص : ترجع ، وقد ورد هذا البيت في الأغانى ، ج ٤ ص ١٦٤ هكذا

خيل ما بال المطايا كأنها \* نراها على الأدبار بالقوم تنكص

(٢) أى يتمايل

وروى أبو الفضل أيضا بسند رفعه إلى مُصعب الزُهري أنه قال : حضرت مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع فقال مالك : ما أدرى ، أهل العلم ببلدنا لا يُنكرون ذلك ولا يقرعون عنه ولا ينكره إلا غيُّ جاهل أو ناسك عراق غليظ الطبع . وقال أيضا : أخبرنا أبو محمد التيمي ببغداد قال : سألت الشريف أبا علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال : ما أدرى ما أقول فيه ، غير أني حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التيمي سنة سبعين وثلثمائة في دعوة عملها لأصحابه ، حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية ، وأبو القاسم الناري شيخ الشافعية ، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث ، وأبو الحسن ابن ميمون شيخ الوعظ والزهاد ، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين ، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التيمي شيخ الحنابلة فقال أبو علي : لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يُفتي في حادثة يشبهه واحدا منهم ، ومعه أبو عبد الله غلام تام ، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن ، وربما قال شيئا ، فقل له : قل لنا شيئا ، فقال لم وهم يسمعون

حَظَّتْ أَنَامِلُهَا فِي بطنِ قِرطاس \* رسالةً بغيرِ لا بِأَقاس<sup>(٢)</sup>  
 أَن زُرَّ قَدَيْتِكَ لِي مِنْ غَيْرِ مُحْتَسِمٍ \* فَإِنَّ حَبْلَكَ لِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ<sup>(٣)</sup>  
 فكان قولي لمن أذى رسالتها \* قفلي لأمتي على العينين والراس

قال أبو علي : فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة يحظر ولا إباحة .

(١) كذا في الأصل والصواب أبو مصعب كما في كتب التراجم ويدل عليه قوله فيما بعد : فسأله أبو مصعب وهو كنية أحمد بن أبي بكر الزهري الذي أحد رواة الموطأ عن الإمام مالك .

(٢) بأقاس : جمع قيس وهو المداد .

(٣) الذي في شرح الأحياء ليد المرتضى

\* أن زردت بك قفلي غير محتسِم

ومن أحب السماع والغناء وسمعه من الزهاد والعباد والعلماء أبو السائب الخزومي . روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده إلى صفية بنت الزبير بن هشام قالت : كان أبو السائب الخزومي رجلا صالحا زاهدا مُتَقَلِّلا يصوم الدهر وكان أرق خلق الله قلبا أو شتَم غَزَلا ، فوجه غلامه يوما يأتيه بما يُفِطِر عليه فأبطل الغلام إلى العتمة ، فلما جاء قال له : يا عدو نفسي ، ما أترك إلى هذا الوقت ؟ قال : أجرت بياب فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته ، فقال : هاته يا بني ، فوالله لئن كنت أحسنت لأحبوك وإن كنت أسأت لأضربك ، فاندفع يفتي بشعر كثير

ولما علوا شعبا تينت أنه • يقطع من أهل المجاز علاقي  
فلازلن حسرى ظُلعاً حملتها • إلى بلادٍ قليل الأصادق

١٠ فلم يزل يفتيه ويستعيده إلى نصف الليل ، فقالت له زوجته : يا هذا ، قد أنتصف الليل وما أفطرت ، فقال لها : أنتِ الطلاق إن أفطرتنا على غيره ، فلم يزل يفتيه ويستعيده حتى أبحر ، فقالت له : هذا السحر وما أفطرتنا ، فقال لها : أنتِ الطلاق إن كان نحورنا غيره ، ثم قال لابنته : يا بني ، خذ جيتي هذه وأعطني خَلَقَكَ ليكون الحباء فضل ما بينهما ، فقال له : يا أبت ، أنت شيخ وأنا شاب وأنا أقوى على البرد منك ، فقال له : يا بني ، ما ترك هذا الصوت للبرد على سبيل ما حييت . ويؤيد هذه الحكاية ما حكاه أبو طالب المكي في كتابه ، قال : كان بعض السامعين يقتات بالسماع ليقوى به على زيادة طيِّه ، كان يطوي اليوم واليومين والثلاثة ، فإذا تأقت نفسه إلى القوت عدل بها إلى السماع فأنار تواجدَه فاستغنى بذلك عن الطعام .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه عن جده قال : كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفة ، وكان يفتي عبد الله بن جعفر فسمع جاريةً مُغَنِّيةً لبعض النخاسين تُفتي

بانت سعاد وأمسى حبُّها أقطما \* وأحتلت النورَ فالجَنَيْنِ فالفرغَا

وأُنكرتني وما كان الذي نكرت \* من الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلَما

فهام الناسك وترك ما كان عليه حتى مشى إليه عطاء وطاوس ولاماه، فكان جوابه لما أن تمتل

• يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم \* فإبالي أطارَ القومُ أم وقَّما

فبلغ عبد الله بن جعفر خبره فبعث إلى النخاس فاعترض الجارية وسمع غناها بهذا

الصوت وقال : ممن أخذتِه ؟ قالت : من عَزَّةِ المِلاء فابتاعها بأربعين ألف درهم

ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه، فقال : أتحبُّ أن تسمع هذا

الصوتَ ممن أخذته عنه تلك الجارية ؟ قال : نعم، فدعا عَزَّةَ المِلاء فقال : غنيهِ

إياه، ففتته، فصمق الرجل [وخر<sup>(١)</sup> مَفْشِيًا عليه، فقال ابن جعفر : أَيْمَنَّا فِيهِ، الماء

الماء ! فَنَضَحَ على وجهه، فلما أفاق قال له : أَكَلْ هذا بلغ بك عشقها ؟ قال :

وما خَفِيَ عليك أكثر قال : أفتحبُّ أن تسمعه منها ؟ قال : قد رأيت ما نالني حين

سمعته من غيرها وأنا لا أحبُّها فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على

مِلْكُهَا فأنرجها إليه وقال : خذها فهي لك وواقه ما نظرتُ إليها إلا عن عُزْرِضٍ،

١٥ قَبْلَ الرجل يديه ورجليه وقال : أَتَمَّتْ عَنِّي وأُحِبَّتْ نفسي وتركنتي أعيش بين

قومي ورددتَ إلى عقلي ودعا له دعاء كثيرا، فقال عبد الله : ما أرضى أن أُعْطِيَكُهَا

هكذا، يا غلام، أحملْ معه مثل ثمنها، ففعل •

قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين» : كان ابن مجاهد لا يُجيب دعوة إلا

أن يكون فيها سماع. قال : وكان أبو الخير العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله

(٨٧)

عند السماع وصنّف فيه كتاباً وردّ فيه على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام قفلت : ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال : هو الصفاء الزلال الذي لا تثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وروى الأصفهاني بسند رفيع إلى ابن كُثَّاسة قال : اصطحب شيخ مع شاب في سفينة في القُرَات ومعهم مغنّية ، فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ وهى تُغنّى فأحببنا أن نسمع غناءها فهيناك ، فإن أذنتَ فلعنا ، فقال : أنا أصدّد في ظلال السفينة فاصنعوا أتم ما شئتم فصعِد ، وأخذت المغنّية عودها وغنّت حتى إذا أصبح بدا ضوءه \* وغابت الجوزاء والمِرْزَمُ أقبلت والوطء خفي كما \* ينساب في مكنه الأرقم

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه وبثيابه في القُرَات وجعل ينفوس ويظفو ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم ! فالتقوا أنفسهم خلفه فبعد لأي ما استخرجوه ، وقالوا : يا شيخ ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم غنى ، فإني أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون ، فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دبّ من قدمي شيء إلى رأسي كديب النمل ونزل من رأسي مثله ، فلما اجتمعنا على قلبي عمِلت ما عمِلت .

وقال أحمد بن أبي دواد : كنت أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله ، فخرج المعتصم يوما إلى الشَّامِسيّة في حرّاقة ووجه في طلي فصرّت إليه ، فلما قرُبْتُ منه سمعتُ غناء حيرني وشغّلني عن كلّ شيء ، فسقط سوطي عن يدي ، فالتفت إلى غلامي أطلب منه سوطا ، فقال لي : قد والله سقط مني سوطي ، فقلت له : أى شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته فحيرني فما علمتُ كيف سقط ، فإذا قصّته قصّتي . قال : وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفزّ الناس منه فيغلب على



عقولهم ، وأناظر المعتصم عليه ، فلما دخلت عليه يومئذ أعلمته بالخبر فضحك وقال :  
هذا عمي كان يفتني

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْص \* أَتَمَّ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَا  
فَإِنْ تُبَيِّنَ مَا كُنْتَ تُنَاطِرُ عَلَيْهِ مِنْ ذَمِّ الْغَنَاءِ سَأَلْتَهُ أَنْ يُعِيدَهُ ، فَعَمَلْتُ وَفَعَلْتُ ، فَبَلَغَ  
بِي الطَّرِبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْفَهُ مِنْ غَيْرِي ، وَرَجَعْتُ عَنْ رَأْيِي مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ وَعَمَّهُ  
الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ .

### ذَكَرَ مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتُ مِنَ الْغَنَاءِ نَقَلَتْ عَنْهُ

كَانَ مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ — عَلَى مَا أوردَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَبِعِ  
بِالْأَفْغَانِيِّ — وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتُ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ نُسِبَتْ لَهُ  
أَصْوَاتٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَلَعَلَّ مَا قُلَّ عَنْهُ كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ . وَكَانَ رَحِمَهُ  
اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا فَكَانَ مِمَّا نَسَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ

عَلَّقَ الْقَلْبَ سَعَادًا \* عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا  
كَلَّمَا عُوْتُبَ فِيهَا \* أَوْ نُهِيَ عَنْهَا تَمَادَى  
وَهُوَ مَشْغُوفٌ بِسُعْدَى \* وَعَصَى فِيهَا وَزَادَا

وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ مَا قِيلَ إِنَّهُ غَنَاهُ مِنْ شِعْرِ جَرِيرٍ  
قِفَا يَا صَاحِبِي زَرَّ سَعَادًا \* لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَدَعَا الْبِعَادَا <sup>(١)</sup>

(١) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ١ ش أدب هكذا :

أَيَا صَاحِبِي زَرَّ سَعَادَا \* قَرِبَ مَرَارَهَا وَذَرَّ الْبِعَادَا

وردد هكذا أيضا في الأغاني ، ج ٨ ص ١٥٠ عدا الشطر الثاني فانه هكذا :

\* لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَذَرَّ الْبِعَادَا \*

لعمرك إن نفع سعاد عتي \* لمصروف ونفعي عن سعاد  
إلى الفاروق يتنسيب ابن ليلى<sup>(١)</sup> \* ومروان الذي رفع الهلدا  
ومن ذلك ما قيل إنه غناه من شعر الأشهب بن ربيعة<sup>(٢)</sup>  
ألا يا دين قلبك من سلمي \* كما قد دين قلبك من سعاد  
هما سبتا الفؤاد وهاضما \* ولم يدرك بذلك ما أرا<sup>(٣)</sup>دا  
فعا نعرف منازل من سلمي \* فوَارِسَ يَن حَوْمِلَ أو عرادا  
ذكرت لها الشباب وآل ليلى \* فلم يزد الشباب بها مزادا  
فإن تشب النواشب أم عمرو \* فقد لاقيت أياما شيدا

(٨٤)

وممن غنى من خلفاء الدولة العباسية، ممن دُونت له صنعة، الواثق بالله  
أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد . حكى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه  
إلى إسماعيل بن إبراهيم الموصلي قال : دخلت يوما دار الواثق بالله بغير إذن إلى موضع  
أمر أن أدخله إذا كان جالسا، فسمعت صوت عود من بيت وترتألم أسمع أحسن  
منه، فاطلع خادم رأسه ثم رده وصاح بي، فدخلت وإذا أنا بالواثق بالله، فقال :  
أي شيء سمعت ؟ فقلت : الطلاق كامل بلأزم له وكل مملوك له حر لقد سمعت  
ما لم أسمع مثله قط حسنا ! فضحك وقال : وما هو ؟ إنما هذه فضلة أدب وعلم  
مدحه الأوائل وأشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم وكثر  
في حرم الله عز وجل ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتحب أن تسمعه ؟  
قلت : إي والله الذي شرفني بخطابك وجميل رأيك، فقال : يا غلام، هات العود وأعط  
إسماعيل رطلا، فدفع الرطل إلى وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنه فيه

٢٠ (١) في الأصل : "ليني" والتصويب عن الأعاني والديوان . (٢) في الأصل : رسالة .  
والتصويب عن الأعاني، ج ٨ ص ١٥٨ (٣) في الأعاني، ج ٨ ص ١٥٨ : وأصبته .

أَصَحْتُ قُبُورَهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِمْ \* تَسْنِي عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجُفُ الشَّيْلُ  
لَا يَذْفَعُونَ هَوَامًا عَنْ وُجُوهِهِمْ \* كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالْقَاعِ مُنْجِلِدٌ

فشربت الرطل ثم قمتُ فدعوتُ له فأحتسني وقال : أنتنهي أن تسمعه بالله ؟  
فقلتُ : إى والله ، فننأيه ثانية وثالثة ، وصاح ببعض خدمه وقال : إحمل إلى إصحاق  
الساعة ثلاثمائة ألف درهم ، قال : يا إصحاق ، قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربتَ  
ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلاثمائة ألف درهم فأصرف إلى أهلك مسروراً ليُسروا معك ،  
فانصرفتُ بالمال . وقال أبو الفرج بسنده إلى عَرِيب المأمونية قالت : صنع الواقى بالله  
مائة صوت ما فيها صوت ساقط ، ولقد صنع في هذا الشعر

هل تَمْلِكِينَ وراءَ الحبِّ منزلةً \* تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي

١٠ هذا كِتَابُ قَتَّى طَالَتْ بَلِيَّتُهُ \* يَقُولُ يَا مُشْتَكِي بَنِي وَأَحْزَانِي

قال : وكان الواقى بالله إذا أراد أن يعرض صناعته على إصحاق نسبها إلى غيره  
فقال : وقع إليا صوتٌ قديمٌ من بعض العجايز فاسمعه ، وأمر من يغنيه إياه . وكان  
إصحاق يأخذ نفسه بقول الحق في ذلك أشدَّ أخذ ، فإن كان جيداً رَضِيَهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ .  
وإن كان فاسداً أو مُطَرَّحاً أو متوسطاً ذكر ما فيه ، فإن كان للواقى فيه هوى سألَه  
تقويمه وإصلاح فاسده وإلا أطرحه . وقال إصحاق بن إبراهيم : كان الواقى أعلم  
١٥ الناس بالفتناء وبلغت صناعته مائة صوت وكان أحذق من غنى بضرب العود ثم ذكر  
أغانيه ، وذكر أبو الفرج الأصمغاني منها أصواتاً منها

وَلَمْ أَرِ لَيْلَى غَيْرَ مَوْقِفٍ لَيْلَى \* بِخَيْفٍ مَنَى تَرَى جِمَارَ الْمُحْصَبِ

وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا خَدَقَتْ بِهِ \* مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ

٢٠ أَلَا إِنَّمَا غَلَدْتُ يَا أُمَ مَالِكٍ \* صَدَى أَيْمَانٍ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَنْهَبُ

وَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى النَّدَاةَ كَالطَّرِ \* مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْجَازِ نَهْمٍ مُغْرَبِ

وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركها اختصارا .

قال : ولما خرج المتعصم الى عمورية استخلف الوائقي ، فوجه الوائقي الى الجلساء والمفتين أن يذكروا إليه يوما حده لم ، ووجه إلى إسحاق ، فحضر الجميع ، فقال لم الوائقي :  
إني عزمتُ على الصُّبوح ولستُ أجلس على سريري حتى أخطط بكم ونكون كالشيء ،  
الواحد فأجلسوا معي حلقة ولكن إلى جانب كل جليس مُغْنٍ ، فجلسوا كذلك ، فقال  
الوائقي : أنا أبدأ ، فأخذ العود فغنى وشربوا وغنى من بعده حتى انتهى إلى إسحاق  
وأعطى العود فلم يأخذه فقال : دعوه ثم غنوا دورا آخر ، فلما بلغ الغناء إلى إسحاق  
لم يُغْنِ وفعل ذلك ثلاث مرات ، فوثب الوائقي فجلس على سريره وأمر بالناس  
فأدخلوا فما قال لأحد منهم : اجلس ، ثم قال : عليّ بإسحاق ، فلما رآه قال : يا خُوِزْيَ<sup>(١)</sup>  
يا كلبُ ، أتبدّل لك وأغنى فترفع عليّ ! أتراني لو قتلتك كان المتعصم يُقيدني بك ؟  
إطعوه ، فبُطِخ وضُرب ثلاثين مِفرقة ضربا خفيفا وحلف لا يُغْنِي سائر يومه  
سواه ، فأعتمر وتكلّم الجماعة فيه ، فأخذ العود وما زال يغني حتى أفضى مجلسه .  
وللوائقي بالله في الغناء أخبار وحكايات يطول بذكرها الشرح .

ومنهم المتعصم بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر . قال  
يزيد المهلبّي : كان المتعصم حسنَ العلم بالغناء ، وكان إذا قال الشعر صنّع فيه وأمر  
المغنيين بإظهاره ، فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه ، فذلك لم تظهر  
أغانيه .

ومنهم المعترّ بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . دُكر أيضا أنه كان يغني  
أصواتا ، فلما غنى به في شعر عدى بن الرّقّاع

(١) الخوزي نسبة إلى الخوز ، وهي بلاد حوزستان وأهلها الأمّ الباس وأسقطهم فسا كما جاء في معجم

البلدان لا يموت .

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ خَيْلًا \* بِكَافٍ دِجْلَةَ الْمُصْعَبِ  
فَرَسٌ يَكُ مِنْهَا يَبْتَ أَمْنَا \* وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

وهذه الأبيات من قصيدة لعمري بن الرقاع قالها في الواقعة التي كانت بين عبد الملك  
أبن مروان ومُصْعَب بن الزبير وقُتِل فيها مصعب بن الزبير على ما نذكر ذلك إن  
شاء الله تعالى في أخبار عبد الله بن الزبير .

وممن المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن التوكل على الله ، هو ممن له يدٌ  
في الغناء وصنعةٌ حسنة ، ومما يُحَل من أغانيه أنه غنى في شعر الفرزدق  
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً \* مِثْلَ الشفيع الذي يأتيك عُرياً

وقال عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضد جمع النعم العشر في صوت  
صنعه في شعر دُرَيْد بن الصَّمة وهو

يَا لَيْتِي فِيهَا جَدَعٌ \* أَحَبَّ فِيهَا وَأَضَعُ

قال : وأستعلمني هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ؟ فعرفته صحته ودلته على  
ذلك حتى يتقنه فسرّ به ، قال عُبيد الله : وهو لعمري من جيد الصنعة ونادرها ،  
قال : وقد صنع الخنأ في هذه الأشعار صنع فيها الفحول من القدماء والمحدثين  
وعارضهم بصنعتيه فأحسن وشاكل وضاهى فلم يعجز ولا قصر . ولا أتى بشيء يُتندر  
منه . قال : فمن ذلك أنه صنع في قول الشاعر

أَمَا الْقَطَاةُ فَإِنِّي سَوْفَ أُنْعِمُهَا \* نَعْمًا يُوَافِقُ نَعْمِي بَعْضَ مَا فِيهَا

(١) أصحرت : برزت إلى الصحراء .

(٢) من ما ابتدأ المؤلف في الحديث عن المعتضد الذي هو ابن المعتز ولم يترجم له كافل في سابقه .

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب الاعاني ج ٩ ص ٢٠ : « في علة أشعار قد صنع » الخ .

بهاء في نهاية الجوده وهو أحسن ما صُنِعَ في هذا الشعر على كثرة الصنعة فيه  
وأشترك القدماء والمحدثين في صنعه ، مثل معبد وأنشيط ومالك وابن عُمرز وِسْنان  
وعُمر الوادى وابن جامع وإبراهيم وأبنه إسحاق وعلويه . قال : وصنع في  
تَسْكِي الكُتَيْبِ الجَرَى لَمَّا جَهَدَهُ \* وَبَيْنَ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا  
فا قَصَرَ في صنعه ولا عَجَزَ عن بلوغ الغاية فيها مع أصوات له صنعها شَاهِرَةٌ مائة  
صوت ما فيها ساقط ولا مرذول . فهؤلاء الذين لم تصنع في الفناء من الخلفاء .



وأما أبناء الخلفاء الذين لم تصنع ويد في هذا الفن

فمنهم إبراهيم بن المهدي ، وأخته عليّة بنت المهدي رحمهما الله تعالى ،  
وإبراهيم يكنى أبا إسحاق وأمه شَكْلَةٌ أُمُّهُ مولدة كان أبوها من أصحاب المازيار  
يقال له : شاه أفرد قتل مع المازيار وسُيِّتَ شَكْلَةٌ فَحُمِلَتْ إلى المنصور فوهبها  
لحيّاة أم ولده فربّتها وبعث بها إلى الطائف فنشأت هناك ، فلما كَبُرَتْ رُدَّتْ إليها ،  
فرواها المهدي فاعجبته فطلبها من حِيّاة فأعطته إياها فولدت له إبراهيم . قال أبو العرج  
الأصفهاني بسند رضعه إلى إسحاق بن إبراهيم قال : كان إبراهيم بن المهدي أشدَّ حَلَقِ  
الله إعظاما للفناء وأحرصهم عليه وأشدّهم منافسةً فيه ، قال : وكانت صنعه لينة فكان  
إذا صنع شيئا نسبته إلى غيره لئلا يقع عليه طعن أو تفرّيع قَلَّتْ صنعه في أيدي الناس  
مع كثرتها ، وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطريبا لا تكتبيا وأغنى  
لنفسى لا للناس فاعمل ما أشتى . قال : وكان حُسْنُ صوته يستر عوار ذلك ، وكان  
الناس يقولون : لم ير في جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن

(١) كذا بالأصل ، وفي الطبري : سكة أم إبراهيم بن المهدي وهي بنت حريسان قهرمان المسمعان :

وكتب مصححه : حريادان ، أنظر الجزء الأول من القسم الثالث ص ١٤٠ ملحق أوروبا .

المهدي وأخته عتبة، وكان إبراهيم يحادل إسحاق ويأخذ عليه في مواطن كثيرة إلا أنه كان لا يقوم به ويظهر إسحاق خطأه،<sup>(١)</sup> ووقع بينهما في ذلك بين يدي الرشيد وفي مجلسه كلام كثير أفضى إلى أمور نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبار إسحاق ابن إبراهيم. وكان إبراهيم بن المهدي في أول أمره يستتر في الغناء بعض التستر إلا أنه يذكره في مجلس الرشيد أخيه، فلما كان من أمره في الوثوب على الخلافة ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا لخلافة المأمون بن الرشيد ثم أفتنه المأمون بعد هربه منه، تهتك بالغناء ومشى مع المغنين ليلا إذا خرجوا من عند المأمون، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهر للناس أنه قد خلع ربة الخلافة من عنقه وأنه تهتك فلا يصلح للخلافة. وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطعمهم في الغناء وأحسنهم صوتا، وكان مع علمه وطبعه ومعرفة يقصر عن الغناء القديم وعن أن ينفوه في صنته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفًا شديدًا ويحققها على قدر ما يصلح له ويغي بأدائه فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك وأبن ملك وإنما أغنى على ما أشتي وكما ألتذ، فهو أول من أفسد الغناء القديم.

وروي عن حمدون بن إسماعيل قال: قال إبراهيم بن المهدي: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصنعة لأظهرت منها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبل مثل .  
وروي أبو الفرج الأصفهاني عن جعفر بن سليمان الهاشمي قال: حدثنا إبراهيم ابن المهدي قال: دخلت يوما على الرشيد وبني طربة<sup>(٢)</sup> تجار<sup>(٣)</sup> وبين يديه ابن جلعج وإبراهيم الموصلي فقال: بجاني يا إبراهيم غن، فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة، فغنيت

(٨١)

(١) في الأغاني ج ٩ ص ٤٩ «لا يقوم له» .

(٢) في الأغاني ج ٩ ص ٥٠ «ود رأسي ضمة تجار» .

- أَسْرَى لِحَالِدَةَ الْخَيْالِ وَلَا أَرَى \* شَيْئًا أَلَدَّ مِنْ الْخَيْالِ الطَّارِقِ  
إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ يُمَلِّ حَدِيثُهُ \* فَأَقْعَمُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَاقِعِ  
أَهْوَاكَ فَوْقَ هَوَى النَّفْسِ وَلَمْ يَزَلْ \* مَذْنُوتِ قَلْبِي كَالْجُنَاحِ الْخَافِقِ  
شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُجَاوِزْ مَوَدَّتِي \* لَيْسَ الْمَكْدَبُ كَالْحَبِيبِ الصَّادِقِ
- ٥ فسمعتُ إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ، انطلب لما أكلنا  
خبزا أبداً ، فقال ابن جامع : صدقت ، فلما فرغتُ من غنائى وضعتُ العود ثم قلتُ :  
خذا في حقكما ودعا باطلنا .
- وَرُويَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ يَحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ نَفْلًا بِي مَرَاتٍ إِلَى أَنْ  
سَمِعَنِي ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ مَرَّةً وَعِنْدَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَالَ لِي : عَمَّكَ وَسَيِّدُ وَلَدِ  
الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَبِيكَ وَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَكَ ، فَلَمْ يَتْرَكْنِي حَتَّى غَنَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ
- ١٠ سَقِيًّا لِرَبِّكَ مِنْ رِيحِ بَذَى سَلَمَ \* وَلِلزَّمَانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَهْنِ  
إِذَا أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَهْلِكُ عَاصِيَةً \* وَإِذَا أُجِرَ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي<sup>(١)</sup>
- فأمر لي بالف ألف درهم ، ثم قال لي ليلة ولم يبق في المجلس عنده إلا جعفر بن  
يحيى : أنا أحب أن تُشرف جعفرًا بأن تُغنيه صوتًا فغنيته لحنا صنعتُهُ في شعر الدارِمِيِّ  
كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفْتَ \* دِينَارُ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرُوبَةِ الْعَتَقِ<sup>(٢)</sup>
- ١٥ فأمر لي الرشيد بالف ألف درهم .
- وَحَكِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَمَّا صَنَعْتُ صَوْتِي الَّذِي هُوَ  
قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَطَبًا ، وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا  
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أُرِدَ \* تَ وَإِنْ كُنْتَ لَا عِبَا



وَأَعْرَفْنَا بِمَا آدَعَيْشَتْ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا  
فَأَفْصَلُ الْآنَ مَا أُرِدُ \* تَ قَدْ جِئْتُ تَائِيًا

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إلى يسألني عنه، فكتبْتُ إليه الشعر وإِقَاعَهُ وبَسِيطَهُ ومَجْرَاهُ وإصْبَعَهُ وتَجَزُّئَتَهُ وأَقْسَامَهُ ومَخَارِجَ نَغْمِهِ ومَوَاضِعَ مَقَاطِعِهِ ومَقَادِيرَ أَدْوَارِهِ وَأَوْرَاقَتَهُ فَنَتَائِيَهُ، ثُمَّ لَقِيتُ فَنَتَائِيَهُ، فَفَضَّلَتْنِي فِيهِ بِحَسَنِ صَوْتِهِ .  
وقال ابن أبي طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنج فاطرب .

وعن محمد بن جرير بن عبد الله بن العباس الربيعي<sup>(١)</sup> قال : كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كُلَّ مُحْسِنٍ مِنَ الْمُغَنِّينَ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ جَالِسٌ يُلَاعِبُ أَحَدَهُمْ بِالشُّطْرُجِ فَنَزَمَ إِبْرَاهِيمُ بِصَوْتِ فَرِيدَةٍ فِي شِعْرِ أَبِي التَّاهِيَةِ  
قال لي أحمدٌ ولم يذكر ما بي \* أَتُحِبُّ الْعَدَاةَ عُتْبَةَ حَقًّا  
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حَبًّا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا

وهو يكي، فلما فرغ ترنم به مُخَارِقٌ فَأَحْسَنَ فِيهِ وَأَطْرَبَهُ وَزَادَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَنَتَاهُ  
إِبْرَاهِيمُ وَزَادَ فِي صَوْتِهِ عَلَى غِنَاءِ مُخَارِقٍ، فَلَمَّا فَرَغَ رَدَّهُ مُخَارِقٌ وَغَنَاهُ بِصَوْتِهِ كُلَّهُ وَتَحَفَّظَ  
فِيهِ وَكَدَنَا نَغْمًا سُرُورًا ، فَاسْتَوَى إِبْرَاهِيمُ جَالِسًا وَكَانَ مُتَكِّيًا وَغَنَاهُ بِصَوْتِهِ كُلَّهُ وَوَقَاهُ  
نَغْمَهُ وَشَذَوْرَهُ وَنَظَرْتُ إِلَى كَتِفَيْهِ تَهْتَزُّانَ وَبَذَنَهُ أَجْمَعَ يَتَمَزَّكُ إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنْهُ، وَمَخَارِقُ  
شَاخِصٌ نَحْوَهُ يُرْعِدُ وَقَدْ انْتَفَعَ لَوْنُهُ وَأَصَابِعُهُ تَخْتَلِجُ، نُفِثَ لِي أَنَّ الْإِيوَانَ يَسِيرُ بَنَاءً،  
فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مُخَارِقٌ قَبْلَ يَدِهِ وَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَيْنَ أَنَا مِنْكَ؟  
ثُمَّ لَمْ يَنْفَعْ مُخَارِقٌ بِنَفْسِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ غَنَائِهِ، وَاللَّهُ لَكَاثِمًا كَانَ يَتَحَدَّثُ .

(١) في الأصول «وساطة» . والتصحيح عن الأثران ح ٩ ص ٥٤

(٢) في الأثران ح ٩ ص ٥٥ «عن محمد بن جرير عن عبد الله» .

وروي عن منصور بن المهدي قال : كنت عند أخى إبراهيم في يوم كانت عليه فيه نوبة لحمد الأمين، فشاغل بالشرب في بيته ولم يمض، وأرسل إليه الأمين عدة رسل فتأخر، قال منصور : فلما كان من غد قال لي : ينبغي أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فترضاه فما أشك في غضبه علينا ؛ فضيئنا فسالنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حاشير الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار، فدخلنا وكان طريقنا على حجرة تُصنع فيها الملاحى فقال لي : اذهب فاختر منها عودا ترضاه وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا يحتاج إلى إصلاحه وتغييره عند الضرب به ففعلت وجعلته في كتي، ودخلنا على الأمين وظهره إلينا، فلما بصرنا به من بعد قال : أخرج عودك، فأخرجته فأندفع يني

وكأيس شربت على لذة \* وأخرى تداويت منها بها

لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُدُ . آيَةُ الْقُوَّةِ مِنْ بَابِهَا

وشاهدنا الورد والياسمين والمسمعات بقصاها

وبربطنا دائم معلل \* فأي الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالسا وطرب طربا شديدا وقال : أحسنت والله يا عم وأحييت لي طربا، ودعا برطل فشربه على الريق وأبدأ شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط، ولقد

(١) كذا بالأصول وفي الأغاني «جير الوحش» والأغرب أن يكون ماقى الأصل محمدا عن «حازر» وما في الأغاني محمدا عن «حير» والحازر والحير بمعنى السنان والحطيرة كما في لسان العرب والقاموس .  
(٢) كذا في الأصول . والذي في الأغاني واللسان «وشاهدنا الحل» وقال صاحب اللسان : والجمل الذي في شعر الأعشى هو الورد، فأوسى معرب .

(٣) القصاب : الأوتار التي سويت من الأصماء وقيل : جمع قاصب وهو الزامر .

(٤) البرط : العود . (٥) في الأغاني ج ٩ ص ٥٦ «وانت في شره» .

رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ . كَانَ إِذَا أَبْتَدَأَ يَفْنَى صَغِيَتِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ وَتَمَتَّتْ أَعْنَاقُهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى تَكَادَ تَضَعُ رُؤُوسَهَا عَلَى الدِّكَّانِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ تَفَرَّتْ وَبَعُدَتْ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَمْسِدٍ غَايَةِ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ عَنَّا فِيهَا ، وَجَعَلَ الْأَمِينُ يَتَجَبَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَانْتَصَرَفْنَا مِنَ الْجَوَائِزِ بِمَا لَمْ يُتَصَرَّفْ بِمِثْلِهِ قَطْ .

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُ غَارِقًا : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ غِنَاءً ؟ فَكَانَ يَجِيبُنِي جَوَابًا مُجْمَلًا حَتَّى حَقَّقْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا قَالًا : كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ أَحْسَنَ غِنَاءٍ مِنْ أِبْنِ جَامِعٍ بِعَشْرِ طَبَقَاتٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنَ غِنَاءٍ مِنْ بَشِيرِ طَبَقَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً أَحْسَنُهُمْ صَوْتًا ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْسَنُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ صَوْتًا وَحَسْبُكَ هَذَا ! .

وَعَنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : غَنَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لِبَلَّةٍ مَجْدًا الْأَمِينُ صَوْتًا لَمْ أَرْضَهُ فِي شِعْرِ لَأَبِي نُؤَاسٍ وَهُوَ

يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدَّمَنِ \* لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ

سُنَّةُ الْمَشَاقِّ وَاحِدَةٌ . (١) فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاْمْتَنِينَ (٢)

ظَلَنِي مَنْ قَدْ كَلَّفْتُ بِهِ \* فَهُوَ يَحْفَوْنِي عَلَى الظَّنِّ (٣)

رَشَاءً لَوْلَا مَلَا حُتُّهُ \* خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ (٤)

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجِزْتَنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ بِعَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ : وَهَلْ هِيَ إِلَّا خِرَاجُ بَعْضِ الْكُوفَةِ . هَكَذَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ ، وَقَدْ حَكَيْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَفِيهَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أَرَادَ الْإِنْصَرَفَ قَالَ : أَوْقِرُوا زُورِقِي دَنَانِيرَ فَأَوْقِرُوهُ ، فَانْصَرَفَ بِمَالٍ جَلِيلٍ .

(١) فِي الْأَعْيَانِ : "فَاْمْتَنِينَ" . (٢) الظَّنُّ : التَّهْمُ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ : "صَتَى" وَ"الْمَصْنَى" وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَعْيَانِ ج ٩ ص ٧١ (٣) فِي الْأَعْيَانِ ج ٩ ص ٧١ "بَعْضِ الْكُوفَةِ" .

قال : وكان محمد بن موسى المنجم يقول : حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناءً بدهان، وذلك أني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يفتي المغنون ويفتي فإذا ابتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما في يديه وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مُصغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يفتي حتى إذا أمسك وتفتي غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء، فلا برهان أقوى من هذا [ في مثل هذا من ] شهادة الفطن به وأنفاق الطباع مع اختلافها وتشعب طرقها على الميل إليه والالتقياد نحوه . وإبراهيم ابن المهدي أصوات معروفة، منها ما غناه بشعر مروان بن أبي حفصة

هل تَطْمِسُون من السياء نجومها . : با كفكم أو تسترُون هلالها  
أو تدفون مقالة من ربكم . جبريل بلغها النبي فقالها  
طرقتك زائرة فخي خيالها . : زهراء تخط بالذلال جمالها

وأما عليّة بنت المهديّ فقد قيل : ما أجمع في جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهديّ وأخته عليّة . وروى عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ثم قام وقال لي : قم، فدخل دار الحرم ودخلت معه فسمعت غناء أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر وفتن المأمون لما بي فضحك وقال : هذه عمتك عليّة تطارح عمتك إبراهيم .

قال أبو الفرج : وأمّ عليّة أمّ ولد مغنية يقال لها : مكنونة، كانت من جوارى المروانية المغنية، والمروانية هذه ليست من آل مروان بن الحكم وإنما هي زوجة الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكانت مكنونة من أحسن جوارى المدينة وجها وكانت رمتها، وكانت حسنة البطن والصدر فاشترت للمهدي في حياة

أبيه بمائة ألف درهم فقبلت عليه حتى كانت الخبز ران تقول : ما ملك أمة أغلظ على منها، ولما اشترت للمهدي ستر أمرها عن أبيه المنصور حتى مات، وولدت للمهدي علية هذه، وكانت طيبة بنت المهدي من أجل الناس وأظرفهم، تقول الشعر الحيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة، وكان في جبينها فضل سعة فاتخذت العصائب المكحلة بالجوهر لتستر بها جبينها فهي أول من أحدث ذلك . قال : وكانت علية حنة الدين وكانت لا تفتى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتلة الصلاة فإذا ظهرت أقبلت على الصلاة وقراءة القرآن وقراءة الكتب، ولم تله بشيء غير قول الشعر في الأحيان إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه . وكانت رحمها الله تقول : ما حرم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضا فبأي شيء يحتاج عاصيه والمنتهك لحرماته ! . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط وما أقول في شعري إلا عبتا .



وعن سعيد بن هرم<sup>(١)</sup> قال : كانت طيبة بنت المهدي تُحِبُّ أن ترأس بالأشعار من تختصه فاخترت خادما يقال له : طَل من خدم الرشيد ، ترأسه بالشعر فلم تره أباما فشت على ميزاب وحديثه ثم قالت في ذلك

قد كان ما كلفته زمنا \* يا طَل من وجد بكم يكفي  
حتى أتيتك زائرا عجلا . أمشي على حنفي إلى حنفي<sup>(٢)</sup>

خلف عليها الرشيد ألا تكلم طالا ولا تُسميه باسمه فضمنت له ذلك . وأسمع عليها يوما وهي تقرأ آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : ( فَإِنْ لَمْ يَنْصَبْهَا

(١) وفي الأغاني ج ٩ ص ٨٣ : "سعيد بن إبراهيم"، ويرجح ما ورد في الأصل ما جاء في تاريخ

الطبري في صفحات ١٤٥ و ٣٠٤ و ٤١١ و ٤٤٨ و ٦٧٦ من القسم الثالث طبع أوروبا .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي الأغاني ج ٩ ص ٨٤ : "أمشي على حنف إلى حنف" .

وَأَيْلُ) فارادت أَنْ تَمُولَ : (فَطَلَّ) فقالت : فالذى نهى عنه أمير المؤمنين ، فدخل  
الرشيذ فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلًّا ولا أمتعك بعدها من شيءٍ تُريدُ منه .  
ولما في طَلٍّ هذا عقدة أشعار صنعت فيها ألحانا وكانت في بعضها تُصحفُ أسمه وتُكنى  
عنه بغيره . وكانت أيضا تقول الشعر في خادم لها يقال له : رشا وتُكنى عنه بزَيْنَبَ ،

فمن شعرها فيه

وَجَدَ الْفَوَادُ بَزَيْنَا .. وَجَدًا شَدِيدًا مُنْعَبًا  
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلْفِهَا . أَدْعَى شَقِيًّا مُنْعَبًا  
وَلَقَدْ كُنْتُ عَنْ أَسْمَا : عَمْدًا لَكِ لَا تَقْضِبَا  
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةَ \* وَكُنْتُ أَمْرًا مُعْجِبًا  
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا - لُ وَلَمْ أَجِدْ مَذْهَبًا  
وَاقِهِ لَا نَلَّ الْمَوْدَةَ أَوْ تَلَّ الْكُوكِبَا

١٠

فصحفتُ أسمه في قولها : زينا ، وهذا من الجناس الخطى . قال : وكانت لأم  
جعفر جارية يقال لها : طُغْيَانُ ، فوشت بعلية إلى رشا وحكت عنها ما لم تقل ،  
فقال طية

لَطْفِيَانُ خُفْ مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً جَدِيدًا فَلَا يَسْلَى وَلَا يَخْرُقُ  
وَكَيْفَ بَلَى خُفٌّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ .. عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّيِّئِ مُعْلَقُ  
فَمَا تَخَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تَبْلِ جَوْرَبًا \* وَأَمَّا سَرَاوِيلُهَا فَمُزَّقُ

١٥

وَرَوَى عَنْ أَبِي هَفَّانَ قَالَ : أَهْدَيْتُ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ نَحْلًا مَعَهَا يَوْمًا  
وَأَخْرَجَ كُلَّ قَيْنَةٍ فِي دَارِهِ وَأَصْطَبَحَ ، وَكَانَ مَنْ حَضَرَ مِنْ جَوَارِيهِ الْغَنَاءَ وَالْخِدْمَةَ  
فِي الشَّرَابِ زُهَاً أَلْقَى جَارِيَةً فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ ،

٢٠

وأتصل الخبر بأم جعفر فعظم عليها ذلك، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها، فأرسلت إليها عليّة: لا يهولك هذا، والله لأردّته إليك، قد عزمت أن أضع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارى، فلا تُثقي عندك جارية إلا بعنت بها إلى وألبسين أنواع الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى، ففعلت أم جعفر ما أمرتها به، فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعليّة وأم جعفر قد نرجتا إليه من محرتيهما، وهما زهاء ٥ أثنى جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر عليهن غرائب اللباس وكلهن في لحن واحد هنّج صنعته عليّة، وهو

مُنْفِصِلٌ عَنِّي وَمَا \* قَلْبِي عَنْهُ مُنْفِصِلٌ  
يَا هاجِرِي الْيَوْمَ لِمَنْ \* نَوَيْتَ عِدِي أَنْ تَصِلَ

- ١٠ فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل أم جعفر وعليّة وهو على غاية السرور وقال: لم أر كالיום قط يا مسرور، لا تبقيين في بيت المال درهمًا إلا تثرته، فكان ما تثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما يُجمع بمثل ذلك اليوم .  
وروي عن عريب أنها قالت: أحسن يوم رأيته في الدنيا وأطيبه يوم أجمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندها أخوها يعقوب بن المهدي وكان أحذق الناس بالزمر، فبدأت عليّة ففنت من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها
- ١٥ تَحِبُّ فَإِنَّ الْحَبَّ دَائِمَةُ الْحَبِّ \* وَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ  
تَبَصَّرْ فَإِنْ حَدَّثْتَ أَنَّ أَخَا هَوَى \* نَجْمًا سَالِمًا فَارْجُ النِّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ مُخْطُطٌ وَلَا رِضًا \* فَابْنِ حُلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ  
وغنى إبراهيم في صنعتها وزمر عليه يعقوب

- ٢٠ لَمْ يُسَيِّدْكَ سُرُورٌ لَا وَلَا حَزَنٌ \* وَكَيْفَ لَا، كَيْفَ يُسَيِّدُ وَجْهَكَ الْحَسَنُ  
وَلَا خَلَا مِنْكَ قَلْبِي لَا وَلَا جَسَدِي \* كُلِّي بِكُلِّكَ مَشْغُولٌ وَمُرْتَهَنٌ

يا قَرْدَةَ الحُسْنِ مالى منك مذ كَلَفْتُ \* نفسى بِمَجْهِدٍ إِلاَّ الهِمُّ والحَزَنُ  
نورٌ تَوَلَّدَ من شمسٍ ومن قمرٍ \* حتى تكامل فيكَ الروحُ والبَدَنُ  
قالت عَرِيبٌ : فما سَمِعْتُ مثل ما سَمِعْتُ منها قط وأَعْلَمُ أنى لا أسمع مثله أبداً .

(٨٩)

وروى عن خَشَفِ الواضحة قالت : تَمَارَيْتُ أنا وعَرِيبٌ فى غناء عَليّة بِحَضْرَةِ  
المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقلت أنا : هى ثلاثة وسبعون صوتاً ، وقالت عَرِيبٌ :  
هى اثنتان وسبعون صوتاً ، فقال المتوكل : غَنَّا غَنامها فلم أزل أُغْنِي غَنامها حتى  
مضى اثنتان وسبعون صوتاً ولم أدرِ الثالثَ والسبعين قالت : فَفُطِعَ بى وأَسْتَعَلْتُ  
عَرِيبُ وَأَنْكَمَرْتُ ، قالت خَشَفٌ : فلما كلن اللَّيْلُ رأيتُ عَليّةَ فيما يرى النائمُ فقالت :  
يا خَشَفُ ، خالفتكِ عَرِيبُ فى غَنائى ، قلت : نعم يا سيدتى ، قالت : الصواب  
مَعكِ ، أَتَقْدِرِينَ ما الصوتُ الذى أُنْسِيْتِهِ ؟ قلت : لا والله ، وَلَوِ دِدْتُ أَنّى قَدَيْتُ  
ما جرى يجمع ما أملك . قالت : هو

يُنَى الحَبُّ على الجَوْرِ فلو \* أَنْصَفَ المَشَوِّقُ فِيهِ لَسَمِعَ  
ليس يُسْتَحْسَنُ فى وصفِ الهوى \* عاشقٌ يَعْرِفُ تَأْلِيفَ المُجَبِّعِ  
وقليلُ الحَبِّ صِرْفًا خَالِصًا \* لك خَيْرٌ من كثيرٍ قد مُزِجَ

وكانها قد أَدْفَعَتْ نَفْسِي به ، فما سَمِعْتُ أَحْسَنَ مما غَنَتْه ، وقد زادتنى فيه أشياء  
فى نوى لم أكن أعرفها ، فانتبهتُ وأنا لا أعقلُ قَرَحًا به ، فباكرتُ الخليفةَ وذَكَرْتُ له  
القِصَّةَ ، فقالت عَرِيبٌ : هذا شئٌ صَنَعْتِهِ أَنْتِ لِمَا جَرَى أَمْسٌ ، وأما الصوتُ  
فصحيحٌ ، خلقتُ للخليفةَ بما رَضِيَ به أَنَّ القِصَّةَ كما حَكَيْتُ ، فقال : رَؤْيَاكَ واللهِ  
أَعْجَبُ ، رَحِمَ اللهَ عَليّةَ لما تَرَكْتَ ظَرْفها حَيَّةً ولا مَيِّتَةً وأجازنى جائزةً سَيِّئَةً .

(١) فى الأغانى ج ٩ ص ٨٩ "مه" .

(٢) فى الأصول : "صرف خالص" . والصواب عن الأغانى ج ٩ ص ٨٩ .



وروى أبو الفرج أيضا بسنده الى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شهدت  
أبى جعفر وأنا صغير وهو يحدث جدى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من  
خلوته مع هرون الرشيد قال : يا أبت ، أخذ بيدى أمير المؤمنين وأقبل فى حُجْرِهِ يَخْتَرِقُهَا  
حتى انتهى إلى حُجْرَةٍ مُثَلِّقَةٍ فتفتحها بيده ودخلها ودخلت وأغلق بابها من داخل بيده  
ثم صرنا إلى رِوَاقٍ فتفتحته وفى صدره مجلس مُتَلَقٍ ، فقعَدَ على باب المجلس وتقر الباب  
بيده تَقْرَاتٍ فسمعنا حسا ثم أعاد التقر ثانية ، فسمعتُ صوت عود ثم أعاد التقر ثالثة ،  
فغنت جارية ما ظننت والله أن الله جل وعز خلق مثلها فى حُسْنِ الفناء وجودة  
الضرب ، فقال أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غنى صوتى فغنت صوته وهو

وَمُحَنِّثِ شَهِدِ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ \* غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنْقَبًا

لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دَقَّهُ \* تَقْرَأُ أَتْرَبَهُ الْمَيُونَ وَأَطْرَبًا

إِنَّ النِّسَاءَ رَأَيْتُهُ فَمَشِيقُهُ \* فَشَكُونُ شَيْئًا مَا يَهْنُ فَكَذِبًا

قال : فَطَرِبْتُ وَاللهِ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِظَ ثُمَّ قَالَ : غَنَى

\* طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي \*

فغنت

طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي \* لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِمَخْلُوقٍ

إِنْ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا \* حَسَنُوا نَقْصَ الْمَوَائِقِ

لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا \* أَشْتَكِي عِشْقًا لِمَعْشُوقٍ

قال : فَرَقَّصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ : آمِضْ بِنَا فَنَاقِي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو مِنَّا

مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَضَيْنَا ، فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى النَّهْلِيزِ قَالَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي : هَلْ

عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَرَأَةَ ؟ قُلْتُ : لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَنَاقِي أَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَسْأَلُ عَنْهَا

وَلَا تَكْتُمُ ذَلِكَ وَأَنَا أَخْبَرُكَ بِهَا ، هَذِهِ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمُهَدِي ، وَوَاللهِ لَأَنْ لَفِظْتَ بِهِ بَيْنَ يَدِي

أحد وبلغني لأقربائك، قال فسمعتُ جدِّي يقول لأبي : فقد والله لفظت به، ورواه  
ليقتلُكَ فاصنع ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانها كثيرة وقد ذكرنا منها ما يُمكنني به . قال أبو الفرج : وكان  
مولد عليّة سنة ستين ومائة وتوفيت سنة عشرة ومائتين، وقيل : سنة تسع ومائتين  
ولها خمسون سنة، وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله  
أبن عباس رضى الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضَمَّها إليه وجعل يقبل  
رأسها ووجهها مُغطًى، فشَرِقت من ذلك وسَعَلت ثم حُتَّت بعقب هذا أياما يسيرة  
وماتت رحمها الله .

ومنها أبو عيسى بن الرشيد، هو أبو عيسى أحمد وقيل : بل اسمه صالح  
أبن هارون الرشيد، وأمه أم ولد بربريّة . كان من أحسن الناس وجهها ومجالسة وعِشرة  
وأجْنِبِهِمْ وأحَدُهُمْ نادرةً وأشدُّهم عبثاً، وكان أبو عيسى جميل الوجه جدّاً، فكان إذا  
عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر ما كانوا يجلسون للخلفاء، وكانت  
عَرِيب المأمونية تقول : ما سَمِعْتُ غناء أحسن من غناء أبي عيسى بن الرشيد ولا  
رأيتُ وجهاً أحسن من وجهه .

وَرُوِيَ أَنَّ الرشيد قال يوماً لأبي عيسى وهو صبيّ : لَيْتَ جَمَالَكَ لِعَبْدِ اللَّهِ !  
بِسِ الْمَأمُونِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ حَفْلَهُ مِنْكَ لِي ! فَرَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ  
جَوَابِهِ عَلَى صَبَاهِ وَصَمَّه إِلَيْهِ وَقَبْلَهُ . قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جيّد الصنعة  
وله أغانٍ منسوبة إليه ومعروفة به، منها

(١) أورده الطبري باسم «صالح» في مصنفات ٧٣٨، ٧٥٨، ٧٦٤، ٧٦٦، ٧٦٨، ٧٩٠، ٨١٠

رَقَدْتَ عَنْكَ سَلَوَتِي \* وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ  
وَأَطَارُ السَّهَادُ نَوَى \* مِى فَنَوى مُشَرَّدُ  
أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا ، حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهَدُ  
وَفَرَادَى بِحُسْنِ وَجْهِهِكَ يَسْقَى وَيَكْدُ

- وله غير هذا من الأصوات . قال : وكان كثير البسيط والمجُون والعَبَث ، وكان المأمون أشد الناس حبا له ، وكان يُعَذِّه للأمر بعده ويذكر ذلك كثيرا حتى لقد حُكي عنه أنه قال يوما : إنه ليسهل على أمر الموت وفقد الملك ولا يسهل شئ منهما على أحد وذلك لمحبي أن يلى أبو عيسى الأمر بعدى لِشَدَّةِ حُبِّهِ إِيَّاه . وكانت وفاة أبي عيسى في سنة سبع ومائتين .

- رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ الْمَأْمُونَ لَيْلَةَ وَهْمٍ بِرَأْمُونَ هَلَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَبُو عِيْسَى أَخُوهُ مَعَهُ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى قَهَاهُ ، فَرَأَوْهُ وَجَعَلُوا يَدْعُونَ ، فَقَالَ أَبُو عِيْسَى قَوْلًا أَنْكَرَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ يَسْخَطُ لَوُرُودِ الشَّهْرِ فَا صَامَ بَعْدَهُ . وَقِيلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ

دَعَائِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ د وَلَا صَحْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ <sup>(١)</sup>

- فَلَوْ كَانَتْ يُعْصِدُنِي الْإِمَامُ بِقُدْرَةِ \* عَلَى الشَّهْرِ لَا سَتَعْدِيْتُ جُهْدِي عَلَى الشَّهْرِ <sup>(٢)</sup>  
فَالِهَ بِعَقَبِ هَذَا الْقَوْلِ صَرَّحَ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ ، وَلَمَّا مَاتَ وَجَدَ الْمَأْمُونَ عَلَيْهِ وَجْدًا شَدِيدًا .

رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو عِيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونَ فَخَلَعْتُ عَمَامَتِي وَنَبَيْتُهَا وَرَأَيْتُ -- وَالْخُلَطَاءَ لَا تُعَزَّى فِي الْعَاهِمِ -- ، فَقَالَ لِي :

(١) فِي الْأَنَابِي ح ٩ ص ٩٦ «دَعَائِي» .  
(٢) يُقَالُ : «أَسْتَدْبِ عَلَى طَلَسِ الْأَمِيرِ فَاعْدَانِي» أَيِ اسْتَمْتَّ بِهِ لِيَهْ مَا نَحْنِي .

يا محمد، حال التَّدرُّدِ والوَطَر، قُلت: يا أمير المؤمنين، كلُّ مصيبةٍ أخطأتكَ شؤى<sup>(١)</sup>،  
 بفعل الله الحزن لك لا عليك، قال: فركب المأمون إلى دار أبي عيسى فحضر جهازه  
 وصلى عليه ونزل في قبره، وأمتنع من الطعام أياما حتى خيف أن يضُرَّ ذلك به، قال:  
 وما رأيتُ مصابا حزينا قط أجَلَ أثرًا في مصيبته ولا أحرَق وجداً منه، صامتٌ  
 ودموعه تهَمي على خديه من غير كلح ولا استنثار<sup>(٢)</sup>.

وروى عن أحمد بن أبي ثَواد قال: دخلتُ على المأمون وقد تَوَقَّى أخوه أبو عيسى  
 وهو يبكي ويمسح عيْنيه بمندِيل، ففعدتُ إلى جنب عمرو بن مَسْعَدَة وتمثلتُ قول الشاعر  
 قَصُّ من الدنيا وأسبابها \* قَصُّ المنايا من بنى هاشم

فلم يزل على تلك الحال يَبْكِي ثم مسح عَيْنه وتمثل  
 سابِكِك ما فاضت دُموعى فإن تَنَفَّضَ \* فحسبك مِنِّي ما تُجِنُّ الجَوائِحُ<sup>(٣)</sup>  
 كأن لم يَمُتْ حتى سِوَاكَ ولم تَقُمْ \* على أَحَدٍ إلَّا عليك السَوائِحُ

ثم أَلْفَت إلى وقال: هيه يا أحمد! فتمثلت بقول عَبَدَة بن الطيب  
 عَلَيْكَ سَلامُ الله قَيْسَ بنِ عاصِمٍ \* ورحمته ما شاء أَنْ يَرحمَهَا  
 نَحِيَّةً من أُولِيَّتِهِ مِنْكَ نَعمَةً \* إذا زار عن تَحْطُّ بِلادِكَ سَلَمًا  
 فما كان قَيْسٌ هُلَكَ هُلُوكُ واحِدٍ \* ولكنَّه بِنائِ قوم تَهْدِمَا

فبكي ساعة، ثم أَلْفَت إلى عمرو بن مَسْعَدَة فقال: هيه يا عمرو! فقال: نعم  
 يا أمير المؤمنين

بَكُوا حَذِيقَةً لَمْ تَبْكُوا مِثْلَهُ \* حتى نَعُودَ قَبائِلُ لَمْ تُخَلِّقِ

(١) الثَّوى في الأصل ما ليس بمقتل كاليدس والرجليس يقال: رماه فأشواه أى لم يصب مقتله ثم استعمل  
 في كل من أخطأ عرسا وإن لم يكن له شؤى ولا مقتل والمراد بها الأمر الحزين. وفي اللسان يقال: «كلُّ  
 شئٍ شؤى أى مِن ماسم لك دينك». (٢) كذا في الأصل ولم نجد في كتب اللغة الاكلح كنع كَلَّحَا  
 وكَلَّحَا بصبهما إذا تَكَثَّر في عبوس. (٣) في الأصل «الجوائح» والتصحيح عن الأُغانى ج ٩ ص ٩٨

قال : فإذا غريب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا فقالت : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً ، فقال المأمون : قولي فربّ صواب منك كثير ، فقالت  
 كذا فلجّل الخطب وليفدج الأمر \* فليس لعينٍ لم يقض ماؤها عنْدُ  
 كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وفاته ، نجومٌ سماءٍ حرمنَ بينها البدر<sup>(١)</sup>

- فبكى وبكى ثم قال لما المأمون : نوحى ، فتاحت وردّ عليها الجوارى ، فبكى المأمون حتى قلت قد فاضت نفسه وبكى معه أحرق بكاء ، ثم أمسكت فقال المأمون : أصنعى فيه لحناً على مذهب النوح وغنى به ، ففعلت وغنته إياه على العود ، فوالذى لا يُخَلَّفُ بأعظم منه لقد بكينا عليه غناءً أكثر مما بكينا عليه نوحاً .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى ، قال أبو الفرج : كان له فى الغناء صنعة

- حسنة وله أصوات مذكورة منها قوله

تفاضلك دهرُك ما أسلفا \* وكدر عيشك بعد الصفا  
 فلا تجزعنْ فإنَّ الزمان \* رهينٌ بتشتيت ما ألقا  
 ولما رآك قليلَ الموموم \* كثيرَ الهوى ناعماً مُترفاً  
 ألحَّ عليك برّوعاته \* وأقبلَ يريك مُستهدفاً

- قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً ، وكان له غلام أسود يقال له « قلم » ، فعلمه الضرب فحقيق فيه ، فاشتريته منه أتم جعفر بثلاثمائة ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أتم جعفر قال : كنت جالساً مع عبد الله بن موسى الهادى فتر به خادم لصالح بن الرشيد فقال له : ما أسمك ؟ قال : آسمى لا تسأل ،

- (١) هذان البيتان من قصيدته لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي رثى بها محمداً وعطية وأبا نصر بن حديد العلوي وفاته . جرت فيها امرئيب « بن بهان » و « بن العباس » لأقصاء المهام .

فأعجبه حسنه وحسن منطقته فقال لى : قم بنا حتى نترب اليوم ونذكر هذا البدر،  
فقممت معه، فأنشدنى فى ذلك اليوم

وشادين مرت بنا \* يخرج باللفظ المقل  
مظلوم خفير ظالم \* منه اذا عشى الكفل  
اعتذلت قامته \* والطرف منه ما عدل  
بدر نراه أبدا \* طالع سعد ما أقل  
سأله عن اسمه \* فقال: إسمي لا تسأل  
وطلعت فى وجع يشه وردنان من تجل  
قلت ما أخطأ الذى \* سمالك بل قال المثل  
لا تسألن عن شادن \* فاق جمالا وكسل

١٠

وقال فيه

عز الذى تهوى وقل \* صب الفؤاد محبب  
جد به الهجر ونا الشجر اذا جد قتل  
من شادن ممنطق \* فاق جمالا وكسل  
تأصف الحسن به \* فلا تسأل عن لا تسأل

١٥

وعن أحد بن المكي قال : دعانى عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوم غلاما  
ضاربا مغنيا قيمة قتل لا حيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ قلت : نعم،  
فأخرج إلى أبته القاسم وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليلة البدر،  
فأخذ عودا يضرب به فأكبت على يديه أقبلهما، فقال لى عبد الله : أتقبل يد غلام  
مملوك ! قلت : بآبى وأبى هو من مملوك ! وقبلت رجله أيضا، فقال : أما اذ عرفته  
فأحب أن تضاربه، ففعلت فلما رأى العلام زيادنى فى الضرب عليه أغمى وأقبل على

٢٠

أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ، أنا مثلنُّكَ وهذا منكسبٌ ، فضحكتُ وقلتُ :  
هو كذلك ياسيدي ، وعجبتُ من حدة جوابه معتذرا على صغر سنه .

- قال عبد الله بن حبيب : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعْرِبًا ، وكان قد  
أحفظ المأمون<sup>(١)</sup> بما يُعْرِد عليه إذا شرب معه ، فأمر به أن يُجس في منزله فلا يخرج  
منه ، وأُقيد على بابه حرسًا ، ثم تَدَثَّر من ذلك فأظهره الرضا وصرف الحرس عن  
بابه ، ثم نادى فعربد عليه أيضًا وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُعْرِبًا بالصيد ،  
فأمر المأمون خادما من خواص خدمه يقال له : حسن قَسَمَهُ في دُرَّاج<sup>(٢)</sup> ، فلما أكله  
أحسن بالشَّم ، فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تَرَوْنِي ، ومات بعد أيام ،  
وأكل معه خادمان ، فمات أحدهما لوقته ، وَضَنَى الآخر ثم مات بعد مدة .

- ومنهم عبد الله بن محمد الأمين ، قال أبو الفرج الأصفهاني : كان عبد الله  
ابن محمد الأمين ظريفاً غزيراً لا يقول شعراً لينا ويصنعه صنعة صالحة ، وكان بينه  
وبين أبي نَهشل بن حميد مودة ، فأعرض عبد الله جارية مغنّية لبعض نساء بني هاشم ،  
وأعطى بها مالا عظيماً ، وعَرَفَتْ «ولأنها منه رغبة فيها فزادت عليه في السُّوم قترها» ،  
فاشترأها أخ لأبي نهشل فبعتُها نفسُ عبد الله فسال أبا نهشل أن يسأل أخاه التزولَ  
عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه ، فكتب عبد الله إلى أبي نهشل

١٥

يَا بْنَ حُمَيْدٍ يَا أَبَا نَهْشَلٍ \* مِفْتَاحُ بَابِ الْحَدِيثِ الْمُفْقِلِ  
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ وَدَادًا وَأَرْ \* عَاهِمَ لِحَقِّ ضَائِعِ مُهْمَلِ  
أَحْسَنْتَ فِي وَدَيِّ وَأَجَلْتِ بِلِ \* جُرْتِ فَعَالَ الْحَسَنِ الْهَجَلِ  
يُتِّكَ فِي ذِي يَمِينٍ شَائِخٌ \* تَخْصُرُ عَنْهُ قُتُبًا يَذْبُلِ

- ٢٠ (١) كذا بالأغاني ٩ ص ١٠١ وفي الأصل : «أعسل» (٢) في الأغاني ج ٩ ص ١٠١ «حسين» .  
(٣) في الأصل «جميل» ، والصواب عن الأغاني «يرجمه قوله في أول القصيدة الآتية : يا بن حميد الخ»

خَلَقْتَ فِينَا حَاتِمًا ذَا النَّدَى \* وَجَدْتَ جُودًا عَارِضَ الْمَسْبِلِ  
أَيُّ أَخٍ أَنْتَ لَدَى وَحْدَةٍ \* تَرْكَنَهُ بِالْعَزَى فِي جَمْعِ الْفِيلِ  
نُجُومٌ حَقْلَى مِنْكَ مَسْعُودَةٌ \* فِيمَا أُرْجَى لَيْسَ بِالْأَفْئِيلِ  
فَمَسْدُوقِ الظَّنِّ بِمَا قُلْتَهُ \* وَمَسْهَلِ الْأَمْرِ بِهِ يَسْهُلِ  
لَا تَحْزِنِي وَلَدَيْكَ الْمَنَى \* بِاللَّهِ صَيْدَ الرِّشَاءِ الْأَكْهَلِ  
رُمِيتُ مِنْهُ بِسَهَامِ الْهَوَى \* وَمَا دَرَى مَا الرَّمَى فِي مَقْتَلِ  
أَدْنِيَّتِي بِالْوَعْدِ فِي صَيْدِهِ \* لِإِدْنَاءِ عَطَشَانٍ مِنَ الْمَنْهَلِ<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ تَنَاسَيْتَ وَأَسْلَمْتَنِي \* إِلَى مِطَالٍ مُوَحِّشِ الْمَتَرِ  
تَرْكَنْتَنِي فِي جُلَّةِ عَائِمَا \* لِأَعْرِفَ الْمَدِيرَ مِنْ مُقْبِلِ  
صَرَخَ بَامِرٍ وَاضِحٍ بَيْنَنَا \* لِأَخِيرِ فِي ذِي لَيْسٍ مَشْكِلِ<sup>(٢)</sup>

قال : فلم يزل أبو نَهشل يَأْخِيهِ حَتَّى نَزَلَ لَهُ عَنْهَا . وَلَمَّا بَدَأَ اللَّهُ هَذَا صِنْعَةً مِنْهَا قَوْلَهُ

أَلَا يَادِيرَ حَنْظَلَةَ الْمَقْدَى \* لَقَدْ أَوْرَثْتَنِي سَقْمًا وَكَدَا  
أَزِفَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَيْكَ زَقَا \* وَأَجْعَلَ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُنْدَى<sup>(٣)</sup>

وَمِنْهُمْ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْمُتَوَكَّلِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِ : جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ  
صِنْعَةٌ مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا الْجَيْدُ الصِّنْعَةِ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ .  
وَقَالَ الثُّمَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ يَقُولُ : إِذَا أَتَمَمْتَ صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ صَوْتَيْنِ

(١) فِي الْأَصُولِ « إِذَا مَا » وَالصَّوْبُ عَنِ الْأَعْنَى ج ٩ ص ١٠٢

(٢) فِي الْأَعْنَى ج ٩ ص ١٠٣ « بَيْنَ » (٣) رَوَاةُ الْأَعْنَى فِي ج ٩ ص ١٠٢

أَزِفَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَيْكَ دَنَا \* وَأَجْعَلَ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُنْدَى

وَلِلَّهِ مَا فِي الْأَصْلِ حَرْفٌ عَنْ \* أَزِفَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَيْكَ زَقَا \* بِالْقَافِ ، قَوْلُهُ بَدَأَ فِي الشَّرْطِ الثَّانِي  
وَأَجْعَلَ تَحْتَهُ أَخْذَ إِذْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ مَادِيٌّ مَحْسُوسٌ .



صوتا عدد أيام السنة تركت الصنعة، فلما أتمها ترك الصنعة، فلما قولها في شعر على  
 ابن الجهم

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا نَحْمَلُ \* وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الْعَصْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ \* وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو لعمري من جيد الغناء وفانح الصنعة وما لولم يصنع غيره لكني .

وممنهم عبد الله بن المعتز، هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي، وقد وصفه أبو الفرج الأصفهاني فقال: وأمره مع قُرب عهده بعصرنا مشهور في فضائله وأدبه شهرةً يسترك في أكثرها الخُلس والعمام، وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغَزَل

الظرفاء وهؤلاء المحدثين، فإن في أشياء كثيرة تجرى في أسلوب المجيدين، ولا تقصّر  
عن مدى السابقين؛ وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ليس  
عليه أن يشبه فيها بفحول الجاهلية؛ وأظن في وصفه وتقريره وهو فوق ما قال.  
ثم قال: وكان عبد الله حسنَ العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وإيلاها، وله  
في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله  
أبْن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تملّ على فضله وغزارة أدبه، وذكر  
منها شيئاً ليس هذا موضع إيرادها ثم قال: ومن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره

هل ترجع ليالى قد مضين لنا . والدار جامعة أزمان أزمانا

قال أبو الفرج : ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها

وَابْلَاوْنِي مِنْ خَظَرٍ وَمَغِيبٍ : وَحَيِّبْ مِنِّي بَعِيدَ قَرِيبٍ

لم تَرِدْ ماءَ وجهه العَيْنُ إِلَّا ۖ شَرَقَتْ قَبْلَ رِيحِهَا بِرَقِيبٍ ۚ

قال : ومن صنعته التي تظارف فيها وملح

زاحم كمي كنه فالتويًا \* وافق قلبي قلبه فاستويًا

وطالما ذاقا الهوى فاكثويًا \* يا قوة العين وباهمي ويا

وحكى عن جعفر بن قدامة قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبّه فنضب الغلام

عليه فجهد أن يرضاه فلم يكن له فيه حيلة ، ودخلت عليه فأنشدني فيه

بأبي أنت قد تما \* ديت في الحجر والفضب

وأصطباري على صدو \* ذلك يوما من العجب

ليس لي إن فقدت وجهك في العيش من أرب

رحم الله من أعا \* ن على الصلح وأحسب

قال : فضيت إلى الغلام فلم أزل أداريه وأرفق به حتى رضىته له وجهه به فتر

لنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذكر من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله

كان ممن غنى من الأشراف والعلماء على ما نقل إلينا من أخبارهم :

عبد العزيز بن عبد المطلب <sup>(١)</sup> . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن

علي المقدسي رحمه الله بسند رضعه إلى محمد بن مسلمة قال : حدثني أبي قال : أتيت

عبد العزيز بن عبد المطلب <sup>(١)</sup> أسأله عنبيعة الحق للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد

الأحزاب ما كان بدؤها ؟ فوجدته مستلقيا وهو يفتي

فما روضة بالحزن طيبة الثرى \* يمج الندى جثائها وعمرارها <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

(١) كذا في الأصول . والهي في كتب التراجم واللائق ج ١٥ ص ٦٨ « عبد العزيز بن المطلب »

وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ولي قضاء المدينة لعهد المنصور ثم المهدي وولي قضاء مكة .

(٢) مجرله زهر أسفر طيب الرائحة . (٣) التبرجس البري .

بأطيب من أردان عزة موهنا \* وقد أوقدت بالمتدل الرطب نارها  
من الخفرات البيض لم تلق شقوة \* وبالحسب المكنون صاف تجارها  
فإن برزت كانت لمينك قرة \* وإن غبت عنها لم يغمك عارها<sup>(١)</sup>

قلت له : تُغني أصلحك الله وأنت في جلالك وشرفك ! أما والله لأحدق بها  
رُكبان نجد، قال : فو الله ما اكرث وعاد يتغنى

فما غلبه أدماء خفاقة الحنى \* تجوب بظليها بطون الخيائل  
باحسن منها إذ تقول تدللاً \* وأدمعها تُذرين حشواً المكاحل  
تمتع بهذا اليوم القصير فإنه \* رهين أيام الشهور الأطاول

قال : فندمت على قول له قلت : أصلحك الله، أتمدني في هذا بشئ؟ فقال :

نعم حدثني أبي قال : دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وأشعب<sup>١٠</sup>  
يُغنيه

مُعقبة كالبدر يسبه وجهها \* مطهرة الأثواب والعرض وافر  
لما نسب زالك وعرض مهذب \* وعن كل مكروه من الأمر زاجر  
من الخفرات البيض لم تلق ريبة \* ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم رضي الله عنه : زدني، فقال

ألمت بنا والليل دايج كأنه \* جناح غراب عنه قد نفص القطار  
قلت أعطار نوى في رحالنا \* وما احتملت لى سوى ريحها عطار

فقال سالم : أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجرت جائزتك فلك من هذا الأمر  
مكان .

ونهم إبراهيم بن سعد، هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن  
 ابن عوف الزهرى، كان من العلماء الثقات المحققين، سمع أباه وابن شهاب الزهرى  
 وهشام بن عروة وصالح بن كيسان ومحمد بن إسحاق بن يسار، روى عنه يزيد  
 ابن عبد الله بن الحاد وشعبة بن الحجاج والليث بن سعد وأبناه يعقوب وسعد أبنا<sup>(١)</sup>  
 إبراهيم وعبد الرحمن بن مهدي<sup>٩</sup> ويزيد بن هارون ويونس المؤدب وأبو داود الطيالسى  
 وسليمان بن داود الهاشمي وعبد العزيز الآدمي وعلى بن الجعد ومحمد بن جعفر الوركانى  
 وأحمد بن حنبل وغيرهم، كان يُبيح السماع ويضرب بالعود ويُغنى عليه، وله فى ذلك  
 قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عفيرة  
 قال : قدم إبراهيم بن سعيد الزهرى العراق سنة أربع وثمانين ومائة فأكرمه الرشيد  
 وأظهر برّه وسُئل عن الفناء فأقْبى بحليته ، فأثاه بعض أهل الحديث لسمع منه  
 ١٠ أحاديث الزهرى، فسمعه يتقنّى فقال : لقد كنتُ حريصا على أن أسمع منك فاما  
 الآن فلا سمعتُ منك حديثا أبدا، قال : إذا لا أقفد إلا شخصك ، على وعلى<sup>(١٢)</sup>  
 ألا أحدث ببغداد ما أتمتُ حديثا واحدا حتى أغنى قبله ، وشاعت هذه الحكاية  
 ببغداد فبلغت الرشيد، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التى قطعها النبي صلى الله  
 عليه وسلم فى سرقه الحلّ، فدعا بعود، فقال الرشيد : أعودُ الجعمر ؟ قال : لا ولكن  
 ١٥ عود الطرب، فتبسّم ، فقهما إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين  
 حديثُ السيفيّ الذى آذانى بالأمس وأبلغانى إلى أن حلفت، قال : نعم، فدعا له الرشيد  
 بعود فاخذه إبراهيم وغنى

يا أُمّ طلحة إنّ الين قد أقفدا ۖ ملّ التواءُ لأن كان الرجل فدا

(١) فى الأصول «سعيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال .

فقال له الرشيد : مَنْ كَانَ مِنْ فَهَائِكُمْ يَنْكَرُ السَّمَاعَ ؟ قَالَ : مَنْ رَبَّطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ .  
 قَالَ : فَهَلْ بَلَغَكَ عَنْ مَالِكٍ فِي هَذَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : لَا وَاقَهُ ، إِلَّا أَنْ أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ  
 اجْتَمَعُوا فِي مَدْعَاةٍ كَانَتْ فِي بَنِي يَرْبُوعَ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ جِلَّةٌ ، وَمَالِكٌ أَقْلَهُمْ فِي فَهْمِهِ وَقَدَّرَ  
 وَمَعَهُمْ دَفُوفٌ وَمَعَازِفٌ وَعِيدَانُ يَنْتُونُ وَيَلْعَبُونَ ، وَمَعَ مَالِكٍ دَفٌّ مَرِيعٌ وَهُوَ يَنْتَبِهِمْ

• سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْتًا • وَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنًا  
 وَقَدْ قَالَتْ لِأَخْرَافٍ • لَهَا زُهَيْرٌ تَلَاقَيْنَا  
 تَعَالَيْنِ فَقَدْ طَابَ • لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَوَصَلَهُ بِمَالٍ عَظِيمٍ . وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ  
 وَسَبْعِينَ سَنَةً . قَالَ : وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ يُبَالِغُ فِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ  
 ١٠ الْأُئِمَّةُ عَلَى ثِقَتِهِ وَعَدْلَاتِهِ وَالرَّوَايَةِ عَنْهُ ، وَاتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى إِخْرَاجِ حَدِيثِهِ  
 فِي الصَّحِيحِ ، وَلَمْ تَسْقُطْ عَدْلَاتُهُ بِفَعْلِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بَلْ قُلِدَ قَضَاءُ بَنَدَادٍ عَلَى جَلَالَتِهَا ،  
 وَقُلِدَ أَبُوهُ الْقَضَاءُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى شَرَفِهَا .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ قَالَ :  
 شَهِدْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ يَحْلِفُ لِلرَّشِيدِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الْمَدِينَةِ يَنْكَرُ الْفَنَاءَ فَقَالَ : مَنْ  
 ١٥ قَتَعَهُ اللَّهُ خَزْيَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، ثُمَّ حَلَفَ إِنَّهُ سَمِعَ مَالِكًَا يَقُولُ  
 سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْتًا • فَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنًا

فِي عُرْسٍ لِرَجُلٍ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُكْنَى أَبَا حَنْظَلَةَ . وَرَوَى أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى  
 الْحُسَيْنِ بْنِ دَحَّانٍ الْأَشْجَرِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ نَحْلًا إِلَى الطَّرِيقِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ  
 جَعَلْتُ أَتَفَتَّى

٢٠ مَا بِالْأَهْلِكَ يَا رَبَّابَ • خُزِّرَا كَانَهُمْ غَضَابُ

قال : فإذا خَوَّخَتْ قد قُتِحت وإذا وجه قد بدا نُتبعه لحية حمراء فقال : يا فاسق ،  
أسأت التأدية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ثم آذفع يفتيه ، فظننتُ أن طوياسا  
قد نُشْرِيفْتِه فقلتُ : أصلحك الله من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأتُ وأنا غلام  
أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بني ، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم  
يُتَقَّتْ إلى غناؤه ، فدفع الغناء وأطلب الفقه فإنه لا يَضُرَّ معه قبيح الوجه ، فَتَرَكْتُ المغنين  
وأتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى ، فقلت : فأعِدْ جُمِلْتُ فداءك ، فقال : لا ولا كرامة  
أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنه محمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ،  
كان عالما بالفقه والغناء جميعا ، وكان يحيى بن أكرم وصفه للمأمون بالفقه ، ووصفه  
أحمد بن يوسف بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجب ما أجمع فيه العلم بالعلم والغناء ! .

### ذكر من غنى من الأعيان والأكابر القواد

من نُسِبَتْ له صنعة في الغناء

منهم أبو دَلْف العجلي ، هو أبو داف القاسم بن عيسى بن إدريس أحد بني عجل  
أبن الجيم بن صُعب بن علي بن بكر بن وائل . كان محله من الشجاعة وبعد الهمة وعلو  
المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محلا كبيرا  
ليس لكثير من أمثاله . قال أبو الفرج الأصبهاني : وله صنعة حسنة ، فمن جيد  
صنعتة قوله — والشعر له أيضا —

بنفسي يا جَنَانُ وَأَنْتِ مَنِي « مكانَ الرُّوح من جَسَدِ الجَبَانِ  
ولو أني أقول مكان نفسي « خَشِيتُ عليك بَادِرَةَ الزَّمَانِ  
لإقْدامي إذا ما الخيل حامت « وهاب نُكَّامُهَا حَرَّ الطَّعْمَانِ

- قال : وكان أحمد بن أبي دؤاد ينكر أمر الفناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصم أن  
أبا دؤاد صديقَه يفتي ، فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم أحمد  
أبن أبي دؤاد في موضع ، وأحضر أبا دؤاد وأمره أن يفتي ففعل ذلك وأطال ،  
ثم أخرج أحمد بن أبي دؤاد عليه ، فخرج والكراهة ظاهرة في وجهه ، فلما رآه أحمد  
قال : سومة لهذا من فعل ! أبعد [هذا] السن وهذا المحل تصنع بنفسك ما أرى ! فنجعل  
أبو دؤاد وتنشور وقال : إنهم يُكرهوني على ذلك ، فقال : هبهم أكرهوك على الفناء  
أهم أكرهوك على الإحسان فيه والإصابة ؟ . قال : وكان أبو دؤاد ينادم الواقفي ،  
فوصف للمعتصم فأحب أن يسمعه وسأل الواقفي عنه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا على  
نية القصد غداً وهو عندي ، وفصد الواقفي فأناء أبو دؤاد وأنته رسل الخليفة بالهدايا  
فأعلمهم الواقفي حصول أبي دؤاد عنده فلم يلبث أن أقبل الخلفم يقولون : قد جاء  
الخليفة ، فقام الواقفي وكل من كان عنده حتى تلقوه ، وجاء حتى جلس وأمر بندماء  
الواقفي فرددوا إلى مجالسهم ، وأقبل الواقفي على أبي دؤاد فقال : يا قاسم ، غن أمير المؤمنين ،  
فقال : صوتا بينه أو ما اخترت ؟ قال : بل من صنعتك في شعر جرير ، ففتي  
بأن الخليل برامتين فودعوا \* أوكلما أعتروا ليين تجزع  
كيف العزاء ولم أجد مذغبتهم \* قلبا يقر ولا شرباً ينقع  
فقال المعتصم : أحسن أحسن ثلاثا وشرب رطلا ، ولم يزل يستعيده حتى شرب  
تسعة أطلال ثم دعا بحمار فركبه وأمر أبا دؤاد أن ينصرف معه فخرج معه فثبت  
في ثدائه ، وأمر له بعشرين ألف دينار . قال : وكان أبو دؤاد جوادا ممدوحا  
وفيه يقول علي بن جبلة من قصيدة يقول فيها  
ذاد ورد النى عن صدره \* وأرعوى واللهم من وطره

٢٠

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ (٢) في الاغانى ج ٧ ص ١٥٥ «تضع قسك» .

(٣) يقال : شورت الرجل وبالرمل فتشور : اذا خجله فنجعل .

ندبني أن الشباب مضى \* لم ألقه مدي أشيرة  
حسرت ضي بشاشته \* ودوى الممود من تمريرة  
وديم أهدرت من رشا \* لم يرد عقلا على هديرة

جاء منها

دع جدًا حطان أو مضير \* في يمانيه وفي مضيرة  
وأمدح من وائل رجلا \* عصر الآفاق من عصريرة

ومنها

المنايا في مقابيه \* والمطايا في ذرا مجيرة  
ملك تدي أنامله \* كانبلاج التوء عن مطيرة  
مستهل عن مواهبه \* كانبسام الروض عن زهيرة

١٠

ومنها

إنما الدنيا أبو دلف \* بين يديه ومختيرة  
فإذا ولي أبو دلف \* ولت الدنيا على أثره  
كل من في الأرض من عرب \* بين يديه إلى حصيرة  
مستعير منه مكرمة : يكتسبها يوم مفتخرة

١٥

وهذان البيتان اللذان أحفظا الماء ون على علي بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه ،

وقوله فيه

أنت الذي تُنزل الأيام منزلهما \* وتقل الدهر من حال إلى حال  
وما مددت مدي طرف إلى أحد \* إلا قضيت بأرزاق وأجال  
تزور خطا فتضحي البيض ضاحكة \* وتستهل فبكي أعين المال

٢٠

وكان سبب مدح علي بن جبلة أبا دلف بقوله

\* إنما الدنيا أبو دلف \*



ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل فكان يظهر من برّي وإكرامي والتحنّي بي أمرا عظيما مُفرطا حتى تأثرت عنه حياء ، فبعثت إلى مَعْقِلًا وقال : يقول لك الأمير : قد أقطعت عني وأظنك قد استقلت برّي ، فلا يفضيئك ذلك فإني سأزيد فيه حتى ترضى ؛ فقلت : والله ما قطعني إلا الإفراط في البرّ ، وكتبت إليه

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة \* وهل يُرجمي نيلُ الزيادة بالكفر  
ولكنني لما أتيتك زائرا \* فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر  
فيم الآن لا آتيتك إلا مسلما \* أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر  
فإن زدني برّا تزايدت جفوة \* ولم تلقني طوّل الحياة إلى الحشر

- ١٠ فلما قرأها معقل استحسنها ، وقال : أحسنت والله ، أما إن الأمير يُعجبه هذا من المعاني ؛ فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله ؛ ما أشعره وأرق معانيه ! وأجابني لوقته — وكان حسن البديهة حاضر الجواب —

- ألا ربّ طيف طارق قد بسطته \* وأنستهُ قبل الضيافة بالبشر  
أنا في يُرجيني فما حال دونه \* ودون القرى والعرف من نائل سترى  
١٥ وجدتُ له فضلا على بقصده \* إلى وبرا زاد فيه على برّي  
فزودته ما لا يدوم بقاؤه \* وزودني مدحا يدوم على الدهر  
قال : وبعت بالأبيات وصيفا وبعت إلىّ معه ألف دينار ، فقلت حينئذ  
إنما الدنيا أبو دلف \* الأبيات

- وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : كنا عند أبي العباس المبرد يوما وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

(١) أصله «فَرَّزَ الآن» ، حُذِفَت النون تخفيفا .

وقئ من ولد أبي دُلَف العِجْلِيّ شبيه به في الجمال، قتال المبرد لأبن أبي البَحْرِيّ :  
أعرف بلحّك قصّة ظريفة من الكرم حسنة لم يُسبق إليها، قال : وما هي ؟ قال :  
دُعِيَ رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نينا غير الذي يشربون منه  
فقال فيهم

نَيْبِذَانِ في مجلس واحد • لإِشَارِ مُثْرٍ على مُقَرِّ  
فلو كان فعلك ذا في الطعام • لَزِمْتَ قِيَاسَكَ في المسكر  
ولو كنت تفعل فعل الكرام • صَنَمْتَ صَنِيعَ أَبِي البَحْرِيّ  
تُبَسِّع إِخْوَانَهُ في البلاد • فَأَغْنَى المَقْلَ عن المُكْثَرِ

فلغت الأبيات أبا البَحْرِيّ، فبعت إليه ثلثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت  
وقد فعل جدّ هذا الفتي في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا، قال : وما فعل ؟  
قلت : بلغه أن رجلا أقصر من ثروة فقالت له امرأته : أَقْصِرْ في الجند فقال  
إِليك عَنَى فقد كَلَّفَنِي شَطَطًا • حمل السلاح وقول الدارين قِفْ  
تمشى المنيا إلى قوم فأكرها • فكيف أمشي إليها عارى الكنيف  
حَسِبْتُ أن هُتِدَ المال غَيْرِي • أو أَتَى رُوحِي في جَنِيّ أبي دُلَف ؟

١٥

فأحضره أبو دُلَف وقال : كم أملتِ أمراك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار،  
قال : كم أملتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة، قال : فذلك لك على ما أملتَ  
وأملتِ أمراك في مالنا دون مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه ، قال : فرأيت وجه  
أبن أبي دلف يتهلل وأنكر آبن أبي البَحْرِيّ، وهذه الأبيات رويت لأبن أبي قَتَنِ  
ومنهم أخوه مَعْقِل بن عيسى ، كان فارسا شاعرا جوادا مقنيا فَيُهما بالنغم  
والوتر، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دُلَف وهو القاتل لخارق .— وقد كان زار  
أبا دلف بالجبل ثم رجع إلى العراق، وله في ذلك غناء —

٢٠

لعمري لئن قوت برك أعين \* لقد سحنت بالبعد عنك عيون  
فسر أو أقم، وقف عليك مودتي \* مكافئك من قلبي عليك مصون  
فما أوحش الدنيا إذا كنت نازحا \* وما أحسن الدنيا بحيث تكون

ومنه عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله، فاما عبد الله فكان

- محله من علو المنزلة وعظم القدر والتمكن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور في أخبارهم،  
وتقلد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما يل ذلك، ثم تقل إلى نراسان وله  
عطايا وهبات وصلات لا ينكرها أحد، ومحله من الشجاعة والإقدام معروف، وكان  
يعتني بالفناء ويصنعه إلا أنه كان يترفع عن ذكره والاكتفاف به ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة ، وكان أبنة

- ١٠ عبيد الله إذا ذكر شيئا منها من صنعه قال : الفناء للدار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئا  
من صنعة نفسه قال : الفناء للدار الصغيرة ؛ فن الأصوات التي صنع فيها عبد الله  
أبن طاهر قوله

هَلَّا سَقَيْتُم بَنِي حَزْمَ أُسِيرَكُم \* نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي  
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها \* مضرَّج بعد ما جادت بإزباد

- ١٥ قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النعم [بين] لين وشدة على رسم  
الحدائق القدماء . قال عبيد الله - رذك موتا من أمواته - لما صنع أبي هذا الصوت  
لم يجب أن يُسمع عنه شيء من الفناء ولا يُنسب إليه ؛ لأنه كان يترفع عن ذلك  
وما جس بيده وترًا قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول التربة

(١) كذا بالأصل ، وفي الأغاني ج ١١ ص ١٤ "بني سهم" ثم قال : وهم بن من هذيل وذكره

في موضع آخر بقط "بني جرم" . (٢) الزيادة عن الأغاني ج ١١ ص ١٤

(٣) في الأصل «يرفع» وما أثبتناه رواية الأغاني ج ١١ ص ١٦

وَحُسْنُ الثَّقَافَةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ كَثِيرٌ، قَالَ: وَيُلَاحَظُ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَنَعَ فِي أَبْيَاتِ أَصْوَاتِهَا  
كَثِيرَةً فَأَلْقَاهَا عَلَى جَوَارِيهِ، فَأَخَذَهَا عَنْهُ وَغَنَّى بِهَا وَمَعَهَا النَّاسُ مِنْهُمْ [وَمِنْ أَخَذَ  
عَنْهُ، فَلَمَّا أَنْ صَنَعَ هَذَا الصَّوْتُ  
هَلَّا سَقِيتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمْ \* قَتَلْتُمْ فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي] <sup>(١)</sup>

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْع، وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها :  
راحة <sup>(٢)</sup>، وكانت ترغب إلى عبد الله لما ندبه المأمون إلى مصر وكانت تغنيه وأخذت  
هذا الصوت عن جواريه وأخذته المغنون عنها ورُويَ لمالك بن أبي السَّمْع مَثَلٌ،  
ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونُسِبَ إلى  
مالك، فغضبك عبد الله ضحكاً كثيراً، فُسِّلَ عَنْ الْقِصَّةِ فَصَدَّقَ فِيهَا، وَاعْتَرَفَ بِصِنْعَةِ  
الصوت وكشف المأمون عن القصة، فلم يزل كل من سئل عنه عن أخذها فيلتحي  
بالقصة إلى راحة ويقف فلا يعدوها، فَأَحْضَرَتْ رَاحَةً وَسُلِّتْ، فَأُخْبِرَتْ بِقِصَّتِهِ  
فَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ صِنْعَتِهِ حِينَئِذٍ بَعْدَ أَنْ جَازَ عَلَى إِسْحَاقَ وَطَبَقَتْهُ أَنَّهُ لِمَالِكٍ وَيَقَالُ : إِنَّهُ  
لَمْ يَعْجَبْ مِنْ شَيْءٍ عَجِبَهُ مِنْ حَقِّقِ عَبْدِ اللَّهِ بِمَذَاهِبِ الْأَوَائِلِ وَحِكَايَاتِهِمْ .

وأما عبيد الله وَيُكْنَى أَبَا أَحْمَدَ . قَالَ أَبُو الْعَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : لَهُ مَحَلٌّ مِنَ الْأَدَبِ  
وَالْتَصَرَّفَ فِي فَنُونِهِ وَرَوَايَةِ الشَّعْرِ وَقَوْلِهِ وَالْعِلْمُ بِاللُّغَةِ وَأَيَّامُ النَّاسِ وَعِلْمُ الْأَوَائِلِ مِنْ  
الْفَلَسَفَةِ فِي الْمَوْسِقَى وَالْهَنْدَسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ [مِمَّا] يَحِلُّ عَنْ الْوَصْفِ وَيَكْثُرُ ذِكْرُهُ، وَلَهُ

(١) الزيادة عن الأغاني ج ١١ ص ١٧ (٢) في الأغاني ج ١١ ص ١٧ : «داحة» .

(٣) كما بالأغاني، ج ١١ ص ١٧ وفي الأصل «عنا» .

(٤) كما بالأصل، وفي الأغاني ج ١١ ص ١٧ «كل من سئل عنه يخبر عن أخذه» .

(٥) كما بالأغاني، ج ٨ ص ٤٤ وفي الأصل «الطبقة» .

(٦) الزيادة عن الأغاني ج ٨ ص ٤٤

صنعة في الغناء حسنة متقنة عجبية إلى ما يعجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد حتى بلغه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها . وكانت المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضره أكابر المغنين فيعدل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ويرفع عن إظهار نفسه بذلك فيؤى إلى أنه من صنعة جاريته شاجي، وسند ذكر شاجي إن شاء الله تعالى في أخبار القيان، وكانت تخرج عيد الله وتأديسه . قال : ولما آخلت حال عبيد الله كان المعتضد بالله يتفقد بالصلوات . ومن أصوات عبيد الله التي جمع فيها النغم العشر قوله في شعر إبراهيم بن علي بن هزيمة

وإنك إذ أطمعني منك بالرضا \* وأياستني من بعد ذلك بالعقب

- ١٠ . ثممكن من دهرها كف حالب : ودافقة من بعد ذلك ما حلب
- وأخبار عبيد الله كثيرة سذكر منها في هذا الباب في أخبار شاجي طرفاً ونورد منها إن شاء الله تعالى في فن التاريخ ما يناسب، وأستغفر الله العظيم .

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية

ومن أخذ عنهم ومن أشهر بالغناء

- ١٥ . والغناء قديم في الفرس والروم ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحدا والغناء والنشيد، وكانوا يسمونه «الركانية» . وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة «سعيد بن مسجع» ومن أهل المدينة «سائب خاثر» . وأول من صنع المزج «طويس» ولنبأ بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر من أخذ عنهم إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الأغانى ج ٨ ص ٤٤ « في صوت واحد تنبه هو » . (٢) كما بالأغانى ج ٨

ص ٤٤ ، وفي الأصل « شاجي » . (٣) كما بالأغانى ج ٨ ص ٤٤ ، وفي الأصل « إن » . ٢٠

### ذكر أخبار سعيد بن مسجح

- هو أبو عثمان سعيد بن مسجح مولى بنى جُمَح، وقيل: مولى بنى مخزوم، وقيل: مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، مكى - أسود، وقيل: أصفر حسن اللون، وقيل: كان مولداً يَكْنَى أبا عيسى، وقيل: كان هو وأبن سُرَيْج لرجل واحد. مغل متقدم من غول المفتين وأكابرهم، وهو أَوَّل مَنْ وضع الفناء منهم، وأَوَّل من غنى الفناء العربى بمكة، وذلك أنه مرَّ بالفرس وهم يننون المسجد الحرام فى أيام عبد الله ابن الزبير فسمع غنائهم بالعربية فقلبه فى شعر عربى ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الروم والبربطية والأسطوخوسية، وأتقلب إلى فارس فأخذ غناء كثيراً وتعلم الضرب ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبه من التبرات والنغم، وكان أَوَّل من فعل ذلك وتبعه الناس بعد، وعلم ابن سُرَيْج، وعلم ابنُ سُرَيْج الغريضة. قالوا: وكان فى صباه فطناً ذكياً، وكان مولاه مُعجَباً به فكان يقول: ليكونَ لهذا الغلام شأنٌ وما يعنى من عتقه إلا حَسُنَ فِرَاسَتى فيه، ولئن عشتُ لأتعرَّفَ ذلك، وإن مُتَّ قبله فهو حرٌّ، فسمعه مولاه يوماً يتغنى بشعر ابن الرِّقَاع يقول الميم على طَلَل عفا متقادِم \* بين الذُّؤِيب وبين غيب الناعم
- لولا الحياءُ وأنْ رأيتُ قد عسا \* فيه المِثيبُ لزرتُ أم القاسم

(١) كما بالأغاني ج ٢ ص ٨٤ وفى الأصل « الأسطوخوسية » . وعارة الأغاني هى الصحيحة والأسطوخوسية معناها الأبرام السبابة وقد ورد فى الفصل الثانى من كتاب « زين الألحان فى علم التأليف والأوزان » مؤلفه محمد بن عبد الحيد الاذق « أن المتأخرين نسبوا المقامات إلى الولوج والأوزانات إلى الكواك السبابة السبابة والشعب إلى العاصم لمشاهادتهم من طبائع المسود إليه والمسود مسابات معنوية حال رياضتهم وإن كانت غير مطومة لها وأما ثمرة الانتساب لمطومة لها فى علم جو القلوب وتسميرها . . أعاده حصة الأستاذ نور الدين بك مصطفى .

(٢) فى الأصل « الديك » والتصويب عن معجم ياقوت ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أودبا .

فدعاه مولاه، فقال : أعد يابني، فأعاده فإذا هو أحسن مما أبتدأ به وقال : إن هذا لبعض ما كنت أقول، ثم قال له : أتى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تنقئ بالفارسية قلوبها في هذا الشعر، قال : فانت حر لوجه الله ، فلزم مولاه وكثر أدبه وأتسع في غنائه وشهر بمكة وأُعجبوا به ، فدفع إليه مولاه عبيد بن سريح وقال : يابني علمه وأجتهد فيه ، وكان ابن سريح أحسن الناس صوتا فتملم منه ثم برز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفرس لما أمر معاوية ببناء دُورِه بمكة التي يقال لها : «الرقط» ، وكان قد حمل إليها بنائين من الفرس الذين كانوا بالعراق فكانوا ينونها ، وكان سعيد بن مسجع يأتيهم فيسمع غنائهم على بنائهم ، لما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ثم صاغ على نحو ذلك ، وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الألحان شعر الأحووس وهو

١٠

أَسْلَامُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسِجِي . قَدْ يَمْلِكُ الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيُسْجِعُ  
مُنَى عَلَى عَائِلٍ أَطْلَتِ عَنْاءُ \* فِي الْفَلِّ عِنْدَكَ وَالْعَنَاءُ تُسْرَحُ  
إِنِّي لَا نَصَحَكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ . سَيَّانٍ عِنْدَكَ مَن يَفْشُ وَيَنْصَحُ  
وَإِذَا شَكُوتُ إِلَى سَلَامَةٍ حَبَّأُ \* قَالَتْ أَجِدُّ مِنْكَ ذَا أُمٍ تَمْزَحُ

وهذا من أقدم الغناء العربي المقول عن الفارسي . قال : وعاش سعيد بن مسجع حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك .

١٥

ومن أخبار سعيد ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال : كتب عامل لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجع قد أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليه أن أقبض ماله وسيّره إلى ، فتوجه ابن مسجع إلى الشام ، فصاحبه رجل له جوار مغنيات في الطريق ، فقال له : أين تريد؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشام ، فصاحبه حتى بلغنا دمشق ، فدخلا مسجدها

٢٠

٩٧

فسالا : مَنْ أَحْصَى النَّاسَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا : هَؤُلَاءِ الْغُرَّاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَنُو عَمَةٍ ،  
فَوَقَفَ ابْنُ مَسْجَعٍ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : يَا قِيَّامُ ، هَلْ فِيكُمْ مَنْ يُضَيِّفُ رَجُلًا غَرِيْبًا مِنْ  
أَهْلِ الْحِجَازِ ؟ فَظَنَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى قَبِيْةٍ يُقَالُ لَهَا :  
« بَرَقُ الْأَنْفُقِ » ، فَتَقَاتَلُوا بِهِ إِلَّا قَتَلَ مِنْهُمْ تَدْمٌ <sup>(١)</sup> قَالَ لَهُ : أَنَا أَضِيْفُكَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :  
أَطْلُقُوا أْتَمُّ وَأَنَا أَذْهَبُ مَعَ ضَيْفِي فَقَالُوا : لَا ، بَلْ نَحْيُ ، مَعَنَا أَنْتَ وَضَيْفُكَ ، فَذْهَبُوا  
جَمِيعًا إِلَى بَيْتِ الْقَبِيْةِ ، فَلَمَّا أَتَوْا بِالْعَدَاءِ قَالَ لَهُمْ سَعِيدٌ : إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ وَلَعَلَّ فِيكُمْ  
مَنْ يَقْدُرُنِي فَأَنَا أَجْلِسُ وَأَأْكُلُ نَاحِيَةً وَقَامَ ، فَاسْتَحْيَوْا مِنْهُ وَبَثُّوا لَهُ بِمَا أَكَلَ ، فَلَمَّا  
صَارُوا إِلَى الشَّرَابِ قَالَ لَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ فَفَعَلُوا ، ثُمَّ أَخْرَجُوا حَارِيتَيْنِ بَخْلَسَتْ عَلَى سُرُرِ  
قَدِ وُضِعَ لَهَا فَفَتَتْهُمَا إِلَى الْعِشَاءِ ، ثُمَّ دَخَلَتَا وَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ حَسَنَةُ الْوَجْهِ وَالْمِثْيَةِ وَهِيَ  
مَعَهَا بَخْلَسَتْ أَسْفَلَ السُّرُرِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَجَلَسَتْ هِيَ عَلَى السُّرُرِ ، قَالَ ابْنُ مَسْجَعٍ :

فَتَمَثَّلْتُ هَذَا الْبَيْتَ

فَقُلْتُ أَتَمُّ أَمْ مَصَابِيْحُ بَيْمَةٍ \* بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ

فَغَضِبَتِ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ : أَيْضْرِبْ مِثْلُ هَذَا الْأَسْوَدِ فِي الْأَمْثَالِ ! فَتَنَظَرُوا إِلَى  
نَظَرٍ مُتَكَرِّرًا ، وَلَمْ يَزَالُوا يُسْكِنُونَهَا ثُمَّ غَنَّتْ صَوْتًا . قَالَ ابْنُ مَسْجَعٍ : قُلْتُ أَحْسَنْتِ  
وَاللَّهِ ، فَغَضِبَ مَوْلَاهَا وَقَالَ : أَمْثَلُ هَذَا الْأَسْوَدُ يُقَدِّمُ عَلَى جَارِيَتِي ! فَقَالَ لِي  
الرَّجُلُ الَّذِي أَتَرْتَنِي عَنْدهُ : قُمْ فَانْصَرِفْ إِلَى مَتَلَى فَقَدْ قَلَّتْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَذَهَبْتُ أَقُومُ  
فَتَدْمُ الْقَوْمِ وَقَالُوا : بَلْ أَنْقِمْ وَأَحْسِنْ أَدَبُكَ ، فَأَقَمْتُ فَتَنَّتْ فَقُلْتُ : أَخَطَايَ وَاللَّهِ  
وَأَسَاتِي ثُمَّ أَتَدَفَعْتُ فَتَنِيْتُ الصَّوْتِ ، فَوُثِّبَتِ الْجَارِيَةُ فَقَالَتْ لِمَوْلَاهَا : هَذَا أَبُو عُثْمَانَ  
سَعِيدُ بْنُ مَسْجَعٍ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، أَنَا هُوَ ، وَاللَّهِ لَا أَقِمُّ عِنْدَكُمْ وَوُثِّبْتُ ، فَوُثِّبَ الْقُرَشِيُّونَ

(١) جاء في لسان العرب في مادة «دم» : التدمّ لصاحب هو أن يجمعه ذمّاه ويخرج عن هه ذم

الناس له إن لم يجمعه .



- فقال هذا : تكون عندى ، وقال هذا : تكون عندى ، [ وقال هذا : بل عندى <sup>(١)</sup> ] فقلت : والله لا أقیم إلا عند سيّدكم ! أى الرجل الذى أنزله منهم ، وسأله عما أقدمه ، فأخبرهم ، فقال له صاحبه : إني أسأرك الليلة عند أمير المؤمنين فهل تحسب أن تمحو؟ فقال : لا والله ولكنى أصنع حذاءً ، فقال له : إن منزلى بمخاء منزل أمير المؤمنين فإذا وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجع ، فأخرج رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا
- إليك يا معاذُ يابن الفضل <sup>(٢)</sup> - إن زُلزَل الأقدام لم تُزَلَّ
- عن دين موسى والكتاب المتزل <sup>(٣)</sup> \* نُقيم أصداعُ القرون الميل
- \* للحق حتى ينصحو للأعدل \*

- ١٠ فقال عبد الملك للقرشي : من هذا؟ فقال : رجل حمازي قدم على ، قال : أحضره ، فأحضره ، ثم قال له : [ هل ] تُنقى غناء الركان ؟ فنقى ، فقال له : هل تنقى الغناء المتقن ؟ قال : نعم ، قال : هيه ، فنقى ، فاهتر عبد الملك طرباً ثم قال : أقسم بالله إن لك في القوم أسماً كبيراً ، من أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه « سعيد بن مسجع » قبض مالى عاملُ الحماز ونعاني ، فتبسم عبد الملك ثم قال : قد وضع عُذْرَ فَيان قُرَيْشٍ في أن يُنْفِقُوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله وكتب <sup>(٤)</sup>
- ١٥ إلى عامله بالحماز أن أُرَدِّدَ إليه ماله ، ولا تتعرض إليه بسوء ، والله أعلم .

(١) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٨٧

(٢) في الأصل هكذا \* إليك يا معاوى المصل \* والتصويب عن الأغاني ج ٣ ص ٨٧

(٣) في الأصل هكذا « أضراع » ، وفي الأغاني ج ٣ ص ٨٧ « أصداع » وكلاهما محرف عن

٢٠ « أصداع » بالعين المعجمة لأنه من صدع يصدع صدوعاً وصدناً بمعنى مال ومنه لأنيس صدعك أى ميلك .

(٤) هكذا بالأصل وفي الأغاني ج ٣ ص ٨٨ « وكتب إلى عامله برده ماله عليه وآلا يرض له بسوء » .

### ذكر أخبار سائب خاثر

هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار مولى لبنى ليث، وأصله من فوه كسرى وأشتهر عبد الله بن جعفر فأعتقه، وقيل: بل كان على ولاته لبنى ليث ولكنه أعتقه إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرف به . وهو أول من عمل العود بالمدينة ونفى به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيْسِي <sup>(١)</sup> إمامَ صَنَاجَاتِ قَانِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ ، فَكَتَبَ يَلْبِسُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَيَسْمَعُ النَّاسُ مِنْهُنَّ فَأَخَذَ عَنْهُنَّ . وَقَدِمَ رَجُلٌ فَارِسِيٌّ يُعْرَفُ بِشَيْطٍ ، فَنفَى ، فَمَجِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ سَائِبُ خَاثِرٌ : أَنَا أَصْنَعُ لَكَ مِثْلَ غَدَاءِ هَذَا الْفَارِسِيِّ بِالْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ غَدَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَقَدْ عَمِلَ فِي

لَمَنِ الدِّبَارُ رُسُومُهَا قَفَسُ \* لَمِبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْقَطَرُ  
وَحَلَا لَهَا مِنْ بَعْدِ سَاكِنِهَا \* جَمِيعُ مَضْيَنَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ  
وَالزُّعْفَرَانُ عَلَى تَرَاتِبِهَا \* شَرِيقُ بَهِ اللَّبَاتِ وَالنَّحْرُ

قال ابن الكلبي : وهو أول صوت نغنى به في الإسلام من الغناء العربي المتغن <sup>(٢)</sup> الصنعة . قال : ثم اشتري عبد الله بن جعفر شبيطاً بعد ذلك فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربي ، وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبود وعزة الميلاء وغيرهم . وقيل : إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب وينقى من تجلج . قال ابن الكلبي : وكان [سائب تاجراً] <sup>(٣)</sup> مؤسراً يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحته أربع نسوة ، وكان أعتقاه إلى عبد الله بن جعفر وهو مع ذلك يُخالط سَرَواتِ النَّاسِ

(١) في الأناج ح ٧ ص ١٨٨ : «اشترى» . (٢) من الاعبات بالصنع ، وهو صنعة

مستورة من نحاس تضرب بأخرى مثلها ، وقيل : الصنع ذو الأوتار الذي يُلعب به .

(٣) كما بالأصل ، وفي الأناج ج ٧ ص ١٨٨ «وقد صنع لمن الدبارة» الخ .

(٤) الزيادة عن الأناج ج ٧ ص ١٨٨ .

وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته، وكان قد آلى على نفسه ألا يفتي أحداً سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة، فكان على ذلك إلى أن قُتل على ما ذكره . وأخذ عنه معبد غناء كثيراً، قال : وسمع معاوية غناء سائب خاثر مراراً، فالتمزة الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه، فسأل عنه معاوية، فأخبره عبد الله خبره وأستأذنه في دخوله عليه، فأذن له ؛ فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته ففتى

\* لمن الديار رسوماً قفر \* الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أشهد لقد حسنته ، وقضى معاوية حوائجه وأحسن إليه ووصله ، وقيل : أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد فسمع صوتاً أعجبه وأستخفه السماع ، فاستمع حتى مل ثم دعا بكرى بفس عليه وأمشى الاستراذه ، فاستمع بقية ليلته، فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال : يا بني ، من كان جلوسك البارحة ؟ قال : أئى جليس يا أمير المؤمنين ؟ وأستمع عليه ، فقال : عرفتى به فإنه لم يخف على شيء من أمرك ، قال : هو سائب خاثر ، قال معاوية : فاكثر له يا بني من برك وصلتك فما رأيت يجالسته بأما .

قال ابن الكلبي : وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقسم ، فأمر حاجبه بالإذن للباس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالباب أحد ، فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند عبد الله بن جعفر ، فركب معاوية بغلته ثم توجه إليهم ، فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرق هذا لك إن أندفعت فتى ، وكان الطرف من ثر ؛ فقام بين السامطين وغنى فقال

لما الجففات القريلمن بالضحى \* وأسافنا يقطرون من تجدة دما<sup>(١)</sup>

(١) كذا في الأغاني ج ٧ ص ١٩٠ وكامل الميرد وديوان قائم سبدا حسان بن ثابت المطبوع في أوروبا ، وورد بالأصل « في الدجى » .

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك ثم  
أنصرف وأخذ سائب خاثر المطرف<sup>(١)</sup>. وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة، قال:  
وكان يخشى على نفسه من أهل الشام، فخرج إليهم وجعل يقول: أنا مفت ومن  
حالي ومن قصتي كيت وكيت وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله، فقالوا له:  
غنى لنا، ففعل. فقام أحدهم فقال: أحسنت والله، ثم ضربه بالسيف فقتله، وبلغ  
يزيد خبره ومرو به اسمه في أسماء من قُتل فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر؟ فعرّف به،  
فقال: ويله ماله ومالنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخطله بأنفسنا! فما الذي حمله  
على عداوتنا! لا جرم أن بغيه علينا صرعه. وقيل إنه لما بلغه قتله قال: إنا لله! أوبلع  
القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد، وقال: قبّحكم الله  
يا أهل الشام، تجدهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه، وقد قيل: إنه  
تقدم يوم الحرة وقاتل حتى قُتل، والله أعلم.

### ذكر أخبار طلويس

هو عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم، وغيرها المختون فقالوا: أبو عبد النعم،  
وطلويس لقبٌ قلب عليه وقيل: اسمه طاوس مولى بني مخزوم، وكان أيضا يلقب  
بالنائب لأنه غنى

قد برأى الحب حتى \* كدّت من وجدى أذوب

وهذا أول غناء غناه وهزج هزجه، وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا:  
”إشأم من طلويس“ لأنه ولّد يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقُتل يوم

(١) روى البرد في الكامل حكاية لمعارية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه انظر

مات أبو بكر رضى الله عنه، وخُفِنَ يوم مات عمر رضى الله عنه، وتزوج يوم قُتِلَ عثمان، ووُلِدَ له يوم مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وكان تحتنا أحول طويلا وقيل: إله وُلِدَ ذاهب العين اليمنى. قالوا: وكانت أمه تمشي بين نساء الأنصار بالثمام. (٩٩)  
وطويس أول من صنع المزج والزَلَّ في الإسلام، وكان الناس يضربون به المشل فيقولون: «أهزج من طويس» وكانت لا يضرب بالود وإنما ينقر بالدف، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنسأب أهلها.

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المدائني قال: قدم ابن سريج المدينة بخلس يوما في جماعة وهم يقولون له: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون، فاستل دُفَّهُ من حِفْظِهِ وقَرَّه وغَنَى، فلما سمعه ابن سريج، قال: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا. وقال المدائني: قال مسلم بن عمار: حدثني رجل من أصحابنا قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل من أصحابنا فأتيناه إلى واد فدعونا بالغداء فذ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه وكان قبل ذلك يأكل معنا، فخرجنا نسال عن حاله فلقينا رجلا طويلا أحول مضطرب الخلق في زِيِّ الأعراب، فقال لنا: مالكم؟ فانكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبر الرجل، فقال: ما أسم صاحبكم؟ فقلنا: أسيد فقال: هذا واد قد أخذت سباعه فارتحلوا فلو قد جاوزتم الوادى استتر صاحبكم وأسيد وأكل، قلنا في أنفسنا: هو من الحق، ودخلنا فرقة، ففهم ذلك وقال: ليُفْرِخَ رَوْعُكُمْ فَأَنَا طُويس، فقال له رجل منا: مرحبا بك أبا عبد التميم، ما هذا الزى؟ فقال: دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم وأجبت أن أنخطي

(١) في الأغانى ج ٢ ص ١٧٤: «سلة».

(٢) في الأصول «فلق» والتعريب عن الأغانى ج ٢ ص ١٧٤.

(٣) كما بالأمل. وفي الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «أخاف».

(٤) هكذا بالأصول. والذى في الأغانى ج ٢ ص ١٧٥ «استتر صاحبكم وأكل» بدون أسد.

الأحياء فلا يُكروني، فسأله رجل منا أن يفتينا، فاندفع وتقر بئف كان معه صريع، فلقد خُيل لي أن الوادي ينطق معه حسنا وتعجبا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا. قال المدائني: وكان طويس ولدا بالشعر الذي قاله الأوس والخزرج في حروبهم، وكان يريد بذلك الإغراء، فقل جلس أجمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء، فنهى عن ذلك فقال: والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يؤسدوني التراب وذلك لكثرة تولع القوم به، وكان يبدى السرائر ويخرج الضعائز، وغناؤه يُستحسن ولا يُصبر عن حديثه.

وحكى الأصهباني عفا الله عنه، قال: كان بالمدينة مخنث يقال له: الثغاني قيل لمروان بن الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا، فبعث إليه فاستقرأه أم الكتاب، فقال: والله ما معي بنات، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن! فقال: ١٠ أتهدأ لا أم لك!، فأمر به فقتل ببطحان<sup>(١)</sup> وقال: من جاءني بمخنث فله عشرة دنانير، فأتي طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج فأخبر بمقالة مروان، فقال: أما فضلي الأمير عليهم بمضيل حتى جعل في وفهم شيئا واحدا؟ ثم خرج حتى نزل السويلاء على ليلتين من المدينة في طريق الشام فترها فلم يزل بها بقية عمره وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك. ثم ساق الأصهباني هذه القصة في موضع آخر بسند ١٥ آخر قال: خرج يحيى بن الحَكَم وهو أمير على المدينة فبصر بشخص في السبعة مما يلي مسجد الأحراب، فلما نظر إلى يحيى جلس فاستراب به فوجه إليه أعوانه فأتي به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب فقال له أعوانه: هذا ابن ثغاش المخنث، فقال: ما أحسبك قرأ من كتاب الله تعالى شيئا، أقرأ أم القرآن، فقال:

(١) بطحان فتح الباء. اسم راد بالمدينة واليه ينسب البطحانيون وأكثرم يضم الباء. قال ابن الأثير:

وله الأصح. انظر اللسان في مادة «بطح».

لو عَرَفْتُ أَمَهُنَّ عَرَفْتُ الْبَنَاتِ، فَأَمَرُ بِهِ فَضْرِبَ عُنُقَهُ وَسَلَقَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّهُ  
قال : جعل في كل مِخْتَةٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره أن أبان بن عثمان لما أمره  
عبد الملك على الحجاز، أقبل حتى [إذا] دنا من المدينة، تلقاه أهلها وخرج إليه أشرفها،  
فخرج معهم طوَيْس فلما رآه سلم عليه، ثم قال له : أيها الأمير، إني كنت قد أعطيتُ  
الله تعالى عهدا إن رأيته أميرا لأخِصِبْنَ يَدِي إلى المرفقين ثم أردو بالثف بين يديك  
ثم أبدى عن دَفِّهِ وتَقَنَّى [بشعر ذى جَدَنِ الحميري] (١)  
مَا بِالْأَهْلِكِ يَا رَبَّابُ . خُزْرًا كَانَهُمْ غَضَابُ

فَطَرَبَ أَبَانُ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : حَسْبُكَ يَا طَاوُسُ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ  
طَوَيْسُ لَيْتُهُ فِي عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اجْلِسْ، اجْلِسْ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ كَافِرٌ  
فَقَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ [صلى  
الله عليه وسلم] وَأَصْلَى الْخَمْسِ وَأَصْوَمُ رَمَضَانَ وَأَحْمَجُ الْبَيْتَ، قَالَ : أَفَأَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ عَمْرُو  
ابْنُ عَثَانَ ؟ وَكَانَ عَمْرُو أَخَا أَبَانَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَقَالَ طَوَيْسُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنَا وَاللَّهِ  
مَعَ حُلَاةِ نِسَاءِ قَوْمِي أَمْسِكْ بِذِيوَلْمَنْ يَوْمَ زُفَّتْ أَمَّتُكَ الْمُبَارَكَةُ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ،  
فَاسْتَحْيَا أَبَانُ وَرَبَّى بَطْرَفَهُ إِلَى الْأَرْضِ .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ٣٨

(٢) هكذا بالأصول، والذي في اللسان والقاموس أنه من باب رى فصاره «أردى» يقال ردى  
الغلام إذا وضع إحدى رجله ونهز بالأخرى .

(٣) وردت هذه الجملة في الأصول ولم ترد في رواية الأغانى ج ٤ ص ٣٨ وقد جرت عادة النساخ  
في مثل هذا المقام أن يزيدوها .

(٤) في الأصول «على» والتصويب عن الأغانى ج ٤ ص ٣٨

## ذكر أخبار عبد الله بن سريج<sup>(١)</sup>

هو أبو يحيى عبد الله بن سريج مولى بنى نوفل بن عبد مناف، وقال ابن الكلبي: إنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب، وقيل: إنه مولى لبني ليث ومزله بمكة. وقال الحسن بن عتبة اللّهي: إنه مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان آدم أحمر ظاهر التّم سباطا<sup>(٢)</sup> في عينه قبل، وبلغ خمسا وثمانين سنة، وكان مقطعا إلى عبد الله بن جعفر.

وتقل أيضا عن ابن الكلبي أنه كان مُحْتَنًا أَحْوَلَ أَعْمَشَ يُلقَب وجه الباب، وكان لا يُفْنَى إلا مُتَقَبًا، مُسِيلَ القِنَاعِ على وجهه، قال: وكان أحسن الناس غناء، وكان يفتي مَرَجِيلاً وَيُوقَعُ بِقَضِيبٍ، وقيل: كان يهزب بالعود، وعنى في زمن عثمان بن عفان، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك. وقيل: كان اسمه عبيد بن سريج من أهل مكة. وقال ابن جرير: كان عبيد بن سريج مولى آل خالد بن أسيد، وقيل: كان أبوه تركيا. وقيل: كان عُودُهُ على صنعة عيدان الفرس، وهو أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة. وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة، فاعجب أهل مكة عناؤهم. فقال ابن سريج: أنا أضرب به على غنائى، فضرب به فكان أحق الناس. وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجع وقد تقدم ذكر ذلك. وأول ما اشتهر بالغناء في ختان ابن مولا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، قال ابن سريج لأُم الغلام: خَفَضِ عليك بعض المَفرَمِ والكَلَفَةِ فوالله لأُلهِيَنَّ نساءك حتى لا يدرين ما جئت به. وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه قال: أنا اليوم سُرْجِي.

(١) هكذا بالأصول، وفي الأغانى ح ١ ص ٩٧ «عبد الله» وسيأتي قريبا أنه يسمى «عبد بن سريج».

(٢) السَّبَاطُ في اللغة هو الذى له لحية أو الحفيف العارض أو من له لحية وليس في عارضه شيء.

(٣) التَّحِيلُ: مثل الحول في العين أو هو أحسن منه.



- ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبي رباح لقيه بذى طوى وعليه ثياب مُصبغة وفي يده جُرادة مشدودة الرجل بحيط يُطيرها ويحذبها كلما تخلفت، فقال له عطاء : يا فتان، ألا تنكف عما أنت فيه ! كفى الله الناس مثوتك، فقال له ابن سُريج : وما على الناس من تلويث ثيابي ولعيي بجرادتي ! فقال : تغنيهم أغانيك الخبيثة، فقال له ابن سُريج :
- بحق من نبهته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم عليك إلا سمعت متى بيتا من الشعر فإن سمعت منكرا أمرتني بالإمساك عما أنا عليه، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية إن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن، فأطمع ذلك عطاء في ابن سُريج وقال له : قل، فاندفع يفتي بشعر جرير

- ١٠ إن الذين فعّلوا بلك غادروا \* وشلّا بينك لا يزال ميعنا  
غِيضَ من عبراتهنّ وقلن لي \* ماذا لقيت من الهوى ولقينا

- قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطرابا شديدا وداخلته أريجته، خلف ألا يكلم أحدا بقية يومه إلا بهذا الشعر وصار إلى مكانه من المسجد الحرام، فكان كل من يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يحبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُشدّ هذا الشعر حتى صلى المغرب، ولم يعاود ابن سُريج بعدها ولا تمزض له .

- وحكي عنه أيضا أن عمر بن أبي ربيعة حج في عام من الأعوام ومعه ابن سُريج، فلما رموا الجمرات تقدما الحاج إلى كتيب على خمسة أميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام والعراق وهو كتيب شاخ مُفرد عن الكُثبان، فصارا إليه فاكلا وشربا، فلما آنفشا أخذ ابن سُريج الدف ففرقه وجعل يتفتى وهم ينظرون إلى الحاج، فلما أمسيا رفع ابن سُريج صوته وتفتى بشعر لعمر بن أبي ربيعة فسمعه
- ٢٠ الرُكبان، فعملوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تنق الله ! قد حبست الناس عن

مناسكهم ، فيسكتُ قليلا حتى إذا مَضَوْا رفع صوته ، فيقف آخرون إلى أن وقف عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكَتِيب ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن تُردّد شيئا مما سمعته منك ؟ قال : نعم وُعيمة عين ، فأياها تريد ؟ فاقترح صوتا فغناه ، ثم قال له ابن سُريح : ازدد إن شئت ، فاقترح صوتا آخر فغناه ، فقال له : والثالث ولا أستريدك ، فغناه الثالث ، وقال له ابن سُريح : أَبَقِيتُ لك حاجة ؟ قال : نعم تترلُّ لأخطبك ، فتزل إليه فإذا هو يزيد بن عبد الملك فأعطاه حُتّه وخاتمه وقال : خذهما ولا تُنخدع فيهما فإن شراءهما ألف وخمسمائة دينار ، فعاد ابن سُريح بهما فأعطاهما لعمربن أبي ربيعة وقال : هما بك أشبه منهما بي ، فأخذهما وعوّضه عنهما ثلثمائة دينار ، وغدا فيهما إلى المسجد فعرّفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويسألون عمر عنهما ، فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع ابن سُريح وهو يُغنى ، فقال : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن !

قال إبراهيم بن المهدي : كان ابن سُريح رجلا عاقلا أدبيا وكان يماشر الناس بما يشتهون فلا يغيثهم بما مَدَحَ به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غضاضةٌ منهم .

ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده ، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أُنحِصَ إلى ابن سُريح ، فأُنحِصَه إليه ، فلما قَدِمَ مكّت أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه ثم ذَكَرَه فاستحضره ، فدخل عليه وسلم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه ، فقال : ويحك يا عبيد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوَقَادَة بك من كثرة أدبك وجَوْدَة اختيارك مع ظُرف لسانك وحلاوة مجلسك ، قال : جُعِلْتُ

فَلَمَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «نَسَمِعَ بِالْمُعْتَدِي لَا أَنْ تَرَاهُ» ، قَالَ الْوَلِيدُ : إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا  
تَكُونَ أَنْتَ ذَاكَ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ ، فَأَدْفَعُ بِغِيٍّ بِشَرِّ الْأَخْوَصِ  
وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بَيْتِي مُقِيمَةً ١٠ وَحَلَّ بَوَّاحٌ جَالِسًا أَوْ تَهَمًّا  
يَمَانِيَّةً شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْثُهَا \* رَجَاءٌ وَظَنًا بِالْمَغِيبِ مُرَجًّا  
أَحَبُّ دَوِّ الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى \* بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا سَلَمًا  
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِ سِوَى الظَّنِّ مَا بَنَى \* أَحَبُّ يَسْكُنِي أُمُّ تَرَابًا وَأَعْظَمًا  
فَدَعَا وَأَخْلَفَ الْخَلِيفَةَ مِدْحَةً \* تُرِلُّ عَنْكَ بَوْمِي أَوْ تُغِيدُكَ مَغْنَمًا  
فَإِنَّ بِكَفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ \* وَغَيْثَ حَيَا يَحْيَا بِهِ النَّاسُ مُرْهِمًا  
إِمَامٌ أَنَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَنْبُ \* عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمًا  
تَحْيِيهِ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ ١٠ وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالْبَاسِ أَعْلَمًا  
يَسْأَلُ الْغَنَى وَالْعِزَّ مَنْ نَالَ وَدَّهَ ١٠ وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَسَامَا<sup>(٥)</sup>

(١٠٢)

قَالَ الْوَلِيدُ : أَحْسَنْتَ وَاقِهِ وَأَحْسَنَ الْأَخْوَصَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُيَيْدُ هَيْه ! فَنَتَاهُ  
بِشَرِّ عِدِي بَنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ

طَارَ الْكَرَى وَالْمُهِمُّ فَكُنْتُمَا ١٠ وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَامْتَنَمَا  
كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعًا أَسْكَنُكُمْ بِهِ \* وَأَسْنِظَلُ زَمَانًا تُنْمَتُ أَهْشَمَا  
وَأَسْبَدُّ الرُّأْسَ شَيْئًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ \* قَيْنَانِي مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا زَعَا  
فَإِنْ تَكُنْ مَبْعُوثًا مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبْتَ \* وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الْوَرَعَا

(١) هدى إحدى روايات المثل ، حكاه المحدثان في جميع الأمثال ، والرواية المشهورة وهي التي مذكورها هذه  
الروايات «نَسَمِعَ بِالْمُعْتَدِي حِينَ مَنْ أَنْ تَرَاهُ» (٢) بيش : اسم واد . (٣) وَح : ناحية بهاء .  
(٤) في الأعاني ج ١ ص ١١٨ : أَسْمَا . (٥) في الأصول : «إِنْ تَشَاءَ» ولم يظهر له معنى .  
وما أضيفه رواية الأعاني . وتسامم أخذ نحو شماله ولعله يريد بذلك النكاح عن كونه حائداً عن الطريق السوي  
وقد كفى في القرآن الكريم بأصحاب الميمة عن أهل الخبز كما كفى بأهل المشاة عن أهل الشر .

فقد أبيت أراعي الخلود رابية<sup>(١١)</sup> \* على الوسائد مسرورا بها ولما  
براقة الثغر ينفى القلب لثنا \* إذا مقلها في ريقها كرها  
كالأخوان بضاحي الروض صبحه \* غيث أرض بتنضاج وما نعا  
صلى الذى الصلوات الطيات له \* والمؤمنون اذا ما جمعوا الجمعا  
على الذى سبق الأقوام ضاحية \* بالأجر والحمد حتى صاحباه معا  
صلى الذى جمع الرحمن أمته<sup>(١٢)</sup> \* على يديه وكانوا قبله شيما  
عدنا بذى العرش أن نجيا ونفقه \* وأن نكون لراع بعده تبعا  
إن الوليد أمير المؤمنين له \* ملك أعان عليه الله فارتقا  
لا يمنع الله ما أعطى الذين هم \* له عباد ولا يعطون ما منعا

١٠ قال الوليد: صدقت يا عبيد، أتى لك هذا؟ قال: (هو من عند الله). قال الوليد:  
لو غير هذا قلت لأحسن أدبك، قال ابن سريج: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)  
قال الوليد: (يزيد في آتلتني ما يشاء) قال ابن سريج: (هذا من فضل ربي ليبلوني  
أأشكر أم أكفر) قال الوليد: لعلكم والله أكثر وأعجب إلى من غناك! غنى،  
فغناه بشعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد فقال<sup>(١٣)</sup>

١٥ عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهَمًا فَأَعْتادها \* من بعد ما شَمِلَ إلى أبلادها<sup>(١٤)</sup>  
[إلا رواسي كلهن قد أصطل \* جمرًا وأشعل أهلها إهادها<sup>(١٥)</sup>

(١) في الأغاني ج ١ ص ١١٨: «راقدة». (٢) كذا في الأصول وله عرف عن «عل»  
وفي الأغاني ج ١ ص ١١٨ «هو». (٣) في الأغاني ج ١ ص ١١٨ «الاس».

(٤) رأينا أن ثبت هذه القصيدة كاملة وقد قلدها عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد نشرها  
فيها حصرة الأستاذ أحمد تيمور ماشا وقال انه لا يوجد منها في كتب اللغة والأدب إلا أبيات مفردة وإنه عثر  
عليها تامة في مجموع مخطوط قديم بحراة الأستاذ أحمد زكي ماشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للمعالي.  
والأبيات الموضوعة بين قوسين مرصعين موجودة بالأصل.

(٥) أبلادها: آتارها. وفي رواية أخرى «درس» بدل «شمل».

(٦) رواية الأغاني ج ٨ ص ١٨٢ «رواكة» بدل رواسي، وحررا أشعل بدل «جرا وأشعل».

كانت رواحلٌ للقدور فُزيت \* منهمنٌ وأسُلب الزمانُ رمادها  
وتنكرت كلُّ التنكر بعدنا \* والأرض تعرف بملها وجمادها<sup>(١)</sup>  
ولربِّ واضعةِ الموارض حُرّة \* كالرِّيم قد ضربت به أوتادها<sup>(٢)</sup>  
[تصلاد بهجتها الملل بالصبا \* عرضاً فتقصده ولن يصطادها<sup>(٣)</sup>  
كالغليسة البكر الفريدة ترعى \* من أرضها قُفاتها وعبادها<sup>(٤)</sup>  
خسبت بها عقد البراق حينها \* عن عركها علجانها وعراها<sup>(٥)</sup>  
كالزَّين في وجه العروس تبدلت \* بعد الحياء فلاعبت أرادها  
تُرعى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقه \* قلمُ أصاب من النواة مِداها  
ركبت به من عالمٍ متحيراً \* قفراً تُريث وحشه أولادها<sup>(٦)</sup>  
قَرى عَنايته التي تَسِقُ الثرى \* والمَسبر يُونقُ نبها رُودها<sup>(٧)</sup>  
بانَتْ سعادٌ وأخلفت مِعادها \* وتباعدت عنا لِمَنع زانها  
إني إذا ما لم تصلى خُلقي \* وتباعدت عني أغفرتُ بِعادها<sup>(٨)</sup>

(١) البعل الأرض المرتعة التي لا يصيبها مطر الا مرة واحدة في السنة ، والجناد اليابسة التي لم يصيبها

مطر ولا شيء فيها . (٢) في الأغاني ج ١ ص ١١٩ «طجلة» .

(٣) الملل بالصبا المشغول به المتطهر ، وأقصده رماه بهم فقله . ١٥

(٤) الفغات جمع قفة وهي كالآل الأزهرى شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر شبر وتيس ، والعباد جمع عهد والنخ وعهدة بالفتح والكسروى مطر يمد مطر يدرك أكثره بل أقله .

(٥) في هذا البيت اضطراب ويروى

خسبت لما عقد البراق حينها \* من عركها علجانها وعراها

والبراق جمع بركة وهي أرض عظيمة مغطاة بمحارة وورل ، والدلعان والمراد نباتان . ٢٠

(٦) عالم اسم موضع . (٧) عنايته : معاطفه ونشأه ، وتسق من الوسق وهو الجمع ، والمسر الملحق من الأوس . (٨) اغفرت بالصم الغليله .

[إِنَّمَا تَرَىٰ شَيْئِي تَشْتَعِلُنِي ۖ حَتَّىٰ عَلَا وَتَحَّىٰ يُلُوحُ سَوَادُهَا <sup>(١)</sup>  
 فَقَدْ شِيتَ يَدَ الْفَتَاةِ وَسَادَةً ۖ لِي جَاعِلًا يَسْرِى يَدِيَّ وَيَسَادَهَا  
 وَأَصَاحِبَ الْجَوْشَنِ الْعَرِصَمَ فَارَسَا ۖ فِي الْخَلِيلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطَرَادَهَا  
 وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَثَّ أَجْمَعُ يَنْبَهَا ۖ حَتَّىٰ أَقُومَ مَيْلَهَا وَيَسْنَادَهَا <sup>(٢)</sup>  
 نَظَرَ الْمُتَّقِفِ فِي كُوبِ قَنَاتِهِ ۖ حَتَّىٰ يَقْسِمَ بِقَافِهِ مُنَادَهَا <sup>(٣)</sup>  
 فَسُتِرَتْ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرَمٍ ۖ وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النِّعَمِ سِدَادَهَا <sup>(٤)</sup>  
 وَعَلِمْتُ حَتَّىٰ مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا ۖ عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِّكَى أَرْزَادَهَا  
 صَلَّى الْإِلَهَ عَلَىٰ أَمْرِي وَدَعْنَهُ ۖ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
 وَإِذَا الرِّيسُ نَابَعَتْ أَنْوَاذَهُ ۖ فَسَقَىٰ خُنَاصِرَةَ الْأَحْصَىٰ بِجَادَهَا <sup>(٥)</sup>  
 نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا ۖ غَيْثًا أَطَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا  
 أَوْ لَا تَرَىٰ أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا ۖ أَلْفَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا  
 وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَّاكُمْهَا ۖ مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرِشَادَهَا  
 أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلْتُ ۖ وَكَفَفْتُ عَنْهَا مِنْ يَوْمٍ فَسَادَهَا  
 وَأَصْبَحَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مَصِيبَةً ۖ عَمَتْ أَقَاصِي غَوْرَهَا وَبِجَادَهَا  
 ظَفَرًا وَنَصْرًا مَا تَسْأَلُ مِنْهُ ۖ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا  
 فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الثَّنَاءَ وَجَدْتُهُ ۖ جَمَعَ الْمَكَارِمَ طَرَفَهَا وَتِلَادَهَا

(١) يلوح من لاه : غيره . (٢) الساد كل عيب يلحق القافية .

(٣) منادها : معربها . (٤) يقال : سداد من عوز وعيش لما سدد به الخلة .

(٥) جاء في معجم البلدان لياقوت : الأحص كورة كيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القفلة وبين

التهال من مدينة حلب فصبتها « حاصرة » مدينة كان يزلها عمر بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن

الا ليسر منها وقد أورد البيت هكذا

وَإِذَا الرِّيسُ نَابَعَتْ أَنْوَاذَهُ ۖ فَسَقَىٰ خُنَاصِرَةَ الْأَحْصَىٰ وَزَادَهَا

[قلب الماسيح الوليدُ ممسحة • وكفى قريشَ المفضلاتِ وسادها

تأنيته أسلاب الأعرزة عتوة • قسرا ويجمع للحروب عتادها

واذا رأى نارَ العدو تضرمت • سامى جماعة أهلها فأقتادها

يعرصرهم تبدو الروابي ذى وصى • كالحوة آحتمل الضحى أطوادها<sup>(١)</sup>

أطفأت نارا للحروب وأوقدت • نار قدحت براحتك زنادها

فبدت بصيرتها لمن بينى الهدى • وأصاب حر شديد حسادها

واذا غدا يوما بنفحة نائل • عرضت له القد مثله فأعادها

واذا عدت خيل تبادر غاية • فالسابق الجالى يقود جيادها]

فاشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالطلع ، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير

(١٠٣)

ویدر الدرهم ، ثم قال الوليد : يا مولى بنى نوفل بن الحارث لقد أوينت أمرا جليلا ،

فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكا عظيما وشرفا عاليا وعزا

بسط يدك فيه ، فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله ، فأدام الله لك ما ولاك

وحفظك فيما أسترعك ، فإنك أهل لما أعطاك ، ولا يزعزع منك إذ رآك له موضعا ،

قال : يا نوفل ، وخطيب أيضا ! قال ابن سريج : عنك نطق ، ولسانك تكلمت ،

وبعزك بينت ، وكانت قد أمر بإحضار الأصوص بن محمد الأنصاري وعدي بن

الرقاع العاملى ، فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج فأترلا متزلا بجوار منزله ،

فقالا : والله نهرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بنى نوفل ، وإن

في قربك لما يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أو قلة شكر !

(١) الرعى بالمهمل الجلبة ، والحرة بالفتح الأرض الصلبة الطيبة . والمعنى أن الروابي التى يجارب فيها

هذا الجيش تبدو لها طر كأنها حرة حل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية .

فقال له عدى : كَأَنَّكَ يَا بْنَ الْفَقَاءِ تَمُنُّ عَلَيْنَا [على وعلى] <sup>(١)</sup> إِنْ جَمَعْنَا وَإِيَّاكَ سَقَفُ بَيْتِ  
أَوْصَحْنُ دَارَ مَنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ : أَوْ لَا تَحْتَمِلُ لِأَبِي يَحْيَى الزَّلَّةَ وَالْمَهْوَةَ ،  
وَكِفَارَةَ يَمِينٍ خَيْرٌ مِنْ لِحَاجٍ فِي غَيْرِ مُنْتَفَعَةٍ ، فَتَحَوَّلَ عَدَى وَبَقِيَ الْأَحْوَصُ ، وَبَلَغَ الْوَلِيدُ  
مَا جَرَى بَيْنَهُمْ ، فَدَعَا ابْنَ سُرَيْجٍ فَأَدْخَلَهُ بَيْتًا وَأَرْنَى دُونَهُ سِتْرًا ثُمَّ أَمْرَهُ إِذَا فَرَّغَ  
الْأَحْوَصُ وَعَدَى مِنْ كَلِمَتِهِمَا أَنْ يَفْتَى ، فَلَمَّا دَخَلَ وَأَنْشَدَاهُ مَدَائِعَ لَهَا فِيهِ ، رَفَعَ ابْنُ  
سُرَيْجٍ صَوْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ وَضَرَبَ بَعُودَ ، فَقَالَ عَدَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَأْذِنُ  
لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ ؟ قَالَ : قُلْ يَا عَامِلٌ ، قَالَ : مِثْلُ هَذَا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُبْعَثُ إِلَى ابْنِ  
سُرَيْجٍ يَخْطِي رِقَابَ قَرِيشٍ وَالْعَرَبِ مِنْ تِهَامَةٍ إِلَى الشَّامِ تَرْفَعُهُ أَرْضٌ وَتَخْفِضُهُ أُخْرَى  
لِيَسْمَعَ غَنَاءَهُ ! قَالَ : وَيَحْكُ يَا عَدَى ! أَوَلَا تَعْرِفُ هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : لَا وَاقَهُ  
مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقُلْتُ طَائِفَةٌ  
مِنَ الْجَنِّ يَتَفَتَنُونَ ، فَقَالَ : أَخْرِجْ عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ فَاذًا ابْنُ سُرَيْجٍ ، فَقَالَ عَدَى : حَقٌّ  
لِهَذَا أَنْ يُجْعَلَ ! حَقٌّ لِهَذَا أَنْ يُجْعَلَ ! ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَمْرَ لَهَا بِمِثْلِ مَا أَمْرَ بِهِ لِابْنِ سُرَيْجٍ  
وَأَرْجَلَ الْقَوْمَ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضًا عَنْ سَهْلِ بْنِ بَرَكَةَ وَكَانَ يَجْعَلُ عَوْدَ ابْنِ سُرَيْجٍ قَالَ : كَانَ  
عَلَى مَكَّةَ نَافِعُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْيَكْفَانِيُّ فَشَدَّدَ فِي الْفَنَاءِ وَالْمَغْنَمِ وَالنَّبِيدِ وَوَادَى فِي الْخَشْتِينَ ،  
فَخَرَجَ فِتْيَةً مِنْ قَرِيشٍ إِلَى بَطْنِ عُمَيْرٍ <sup>(٢)</sup> وَبَعَثُوا بِرَسُولٍ لَهُمْ ، بِفَهَامٍ بَرَاوِيَةٍ مِنْ شَرَابِ  
الطَّائِفِ ، فَلَمَّا شَرَبُوا وَطَرَبُوا قَالُوا : لَوْ كَانَ مَعَنَا ابْنُ سُرَيْجٍ تَمَّ سُرُورُنَا ، فَقُلْتُ : هُوَ  
عَلَى لَكُمْ ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : دُونَكَ هَذِهِ الْبُذْلَةُ فَارْكَبْهَا وَأَمْضُ إِلَيْهِ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ  
بِمَكَانِ الْقَوْمِ وَطَلَبِهِمْ لِإِيَّاهُ ، فَقَالَ لِي : وَيَحْكُ ! وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ السُّلْطَانِ

(١) الزيادة عن الأعرابي ح ١ ص ١١٩ .

(٢) جاء في معجم البلدان : أنه موضع بين مكة وعمره ، وقيل بين منى وعمره .



في الغناء وندائه فيه ! فقلت له : أتزدهم ؟ قال : لا والله فكيف لي بالمود ! فقلت :  
أما أخوك له فشاكك ، فركب وستر المود فأودقني ، فلما كا ببعض الطريق إذا بنافع  
ابن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يابن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك  
أرسل عتات البغلة وأمض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عَرَفتي ولم يعرف ابن  
سُريج ، فقال لي : يابن بركة من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون ! هذا  
ابن سُريج ، فتبسّم ثم تمثّل

فإن سَجَّ منها يا أبا بُسْلَمَا \* فقد أَلَتَ الجمَّاجُ خَيْلَ شَيْبِ

ثم مضى ومضينا ، فلما كا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح ، فقلت له : غني  
مرئجلا ، فرفع صوته فغلب إلى أن الشجرة تنطق معه ، ففنى وقال

- ١٠ كيف التواء بيطن مكة بعدما \* هم الذين تُحِبُّ بالإنجاد  
أم كيف قلبك إذ تَوَيْتُ عُجْرًا \* سَقَمًا خلافَهُمْ ولونك بادي<sup>(١)</sup>  
هل أنت إنظمن الأحية غادى \* أم قبل ذلك مُدْجِلٌ بسواد<sup>(٢)</sup>

قال : فقلت أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! ولو أن كناية كلها سمعتك  
لاستحسنتك<sup>(٣)</sup> ، فكيف بنافع بن علقمة ! المفروود من غره نافع ، ثم قلت : زدني وإن  
كان القوم متعلقة قلوبهم بك ، ففنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة  
فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على الميدان إذا أخذتها عيدان  
القطى وضى

(١) في الأغاني ج ١١ ص ٢٠ « وركبك بادي » .

(٢) في الأمل « من » ، والتصويب عن الأغاني ج ١١ ص ٢٠ .

(٣) في الأمل « لأستحسنت » والتصحيح عن الأغاني ج ١١ ص ٢١ .

لَا تَجْعَلِي قَهْرًا عَلَى غُرْبَةٍ \* فَالْهَجْرُ فِي تَلَفِ الْمَحَبِّ سَرِيعٌ  
مَنْ ذَا فَدَيْتُكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ \* دَقَقَا إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَيْهِ ضُلُوعٌ

فقلت : بنفسى أنت والله ، مَنْ لَا يُكَلِّ وَلَا يُمَلِّ ! والله ما جَهْل مَنْ فَوَهَكَ ،  
أركب بنا فدنك نفسى ، قال : أُمِهلنى كما أمهلك أقبض بعض شائى ، فقلت :  
وهل عما تريد مدفع ؟ فقام فصلى ركعتين ثم ضرب بيده إلى الشجرة وقال : أشهد  
أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ثم مضى والقوم مستشيرفون ، فلما دنونا  
منهم إذا الغريض يُغْنِمهم

مِنْ خَيْلٍ حَى لَا تَزَالُ مُغِيرَةً \* سَمِعَتْ عَلَى شَرَفِ صَبِيلِ حِصَانٍ

فبكى ابن سُرَيْج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت ، فقلت : ما يُبْكِيكَ يَا أَبَايَحْيى ؟  
جُعِلْتُ فِدَاكَ لَا يَسُومُكَ اللَّهُ وَلَا يُرِيكَ سَومًا ، قال : أبكاني هذا المُنْتَجِسُ بِحَسَنِ  
غَنَائِهِ وَتَجَا حَوْتِهِ . والله ما ينبغي لأحد أن يغنى وهذا الصبي حى ، ثم نزل واستراح  
وركب ، فلما سرنا هنيئة أندفع الغريض يغنى لهم بلحنه

يَا خَلِيلَ قَدْ مَلِيتُ نَوَائِي \* بِالْمُصَلَّى وَقَدْ سَمِعْتُ الْبَقِيعَا

بَلْفَانِي ذِيَارَ هِنْدٍ وَسُعْدَى . وَأَرْجِعَانِي قَدْ هَوَيْتُ الرِّجُوعَا

قال : ولصوته دوى في تلك الجبال ، فقال ابن سُرَيْج : يَا بْنَ بَرَكَةَ ، أَسَمِعْتَ مِثْلَ هَذَا  
الْفَنَاءِ قَطْ ؟ قال : وَنَظَرُوا إِلَيْهَا فَاقْبَلُوا تَسَاوَى يَسْعَبُونَ أَعْطَافَهُمْ وَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ وَجْهَ  
ابْنِ سُرَيْجٍ ، فَتَزَلُ فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ ثَلَاثًا ، وَالْغَرِيضُ لَا يَنْطِقُ بِحَرْفٍ ، وَأَخَذُوا فِي شَرَاهِمِ  
وَقَالُوا : يَا حَبِيبَ النَّفْسِ وَشَقِيقَهَا ، أَعْطَاهَا بَعْضُ شَائِنَا ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى جَبِيهِ فَأَخْرَجَ

(١) في الأصول : « والله لا يسومك هذا ولا يريك سوما » والصواب من الألفاظ ج ١١ ص ٢١

(٢) في الألفاظ ج ١١ ص ٢١ « سناها » .

(٣) كما في الألفاظ ج ١١ ص ٢١ وفي الأصل « جنبه » .

منه مضرباً ثم أخذه بيده ووضع العود في حجره، فإِ رأيتُ <sup>(١)</sup> [يداً] أحسن من يده  
ولا خشبة تحلّت لي أنها جوهرة إلا هي، ثم ضرب فلقد ضجّ القوم جميعاً ثم غنى،  
فكلّ قال : لَيْكَ لَيْكَ، فكان مما غنى به هَزَج

لَيْكَ يَا سَيِّدِي \* لَيْكَ أَلْفَا مَدّاً

لَيْكَ مِنْ ظَالِمَةٍ \* أَحْبَبْتُهَا مَجْتَدّاً

قَوْمِي إِلَى مَلَمَتِنَا \* نَحْكُ الْخَوَارِي الْخُرْدَا

وَضَعُ يَدٍ فَوْقَ يَدٍ \* نَزَعَهَا يَدَا يَسَدَا

فكلّ قال : ففعل ذاك فلقد رأيتُنا نستبق أينا تقع يده على يده، ثم غنى

مَا هَاجَ شَوْفَكَ بِالْعَرَائِمِ \* رَبْعُ أَحَالٍ لَأَلِّ عَصِمُ <sup>(٢)</sup>

رَبْعُ تَقَادِمِ عَهْدُهُ \* هَاجَ الْحَبَّ عَلَى التَّقَادِمِ

فِيهِ النَّوَامُ وَالشَّبَا \* بُ النَّاعِمُونَ مَعَ النَّوَامِ

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْجَيْشِ عَمِيمَةٍ رِيَا الْمَعَامِ

ثم غنى بقوله

شَجَانِي مَغَانِي الْحَيِّ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا \* وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ مَرِيضُ

فَقَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ صَبَابَةً \* وَفِيهِنَّ خَوْدُ كَالْمَلْهَةِ غَضِبُضُ

وَوَلَّيْتُ مَحْزُونِ الْفَوَادِ مُرَوَّعًا \* كَكَيْيَا وَدُمِي فِي الرِّدَاءِ يَفِيضُ

(١) الزيادة عن الأغني ج ١١ ص ٢١ .

(٢) في الأغني ج ١١ ص ٢١ «سَج» .

(٣) في الأغني ج ١١ ص ٢٢ «لَأَمَّ عَصِم» .

قال : فلقد رأيت جماعة من الطير وقمن بقرنا وما تحس قبل ذلك فيها شيئا ، فقالت الجماعة : يا تمام السرور وكمال المجالس ، لقد سعد من أخذ بحظه منك وخاب من حرمك ، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك ، غنا ، فغنى  
يا هند إنك لو علمت بما ذلن لنا بما

قال : فبدرت من بينهم فقبلت عينه ، فهاجت القوم عليه يقبلونه ، ولقد رأيتني وأنا أرفضهم عنه شفقة عليه . وكانت وفاة ابن سريج بالعللة التي أصابته من الجدأ بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في خلافة الوليد ، ودفن في موضع يقال له «نسم» . رحمة الله عليه وغنا عنه وغفر له ، والحمد لله رب العالمين .

حكى أنه لما احتضر نظر إلى ابنه تكي فبكي وقال : إنه من أكبر همى أنت وأخشى أن تضيعى بعدى ، فقالت : لا تخف فاعوذت شيئا إلا وأنا أغنيه ، فقال : هاتى ، فأنذفت ففنت وهو مضى إليها ، فقال : قد أصبت ما فى نفسى وهوت على أمرى ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجها إياها ، فأخذ أكثر غناء أبيها وأتمله .

### ذكر أخبار معبد

هو معبد بن وهب ، وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطن ، وقيل : إن قطن مولى العاص بن واقصة الخزومي ، وقيل : مولى معاوية بن أبي سفيان ، غنى معبد فى أيام بنى أمية فى أوائلها ، ومات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق ، قال أبو الفرج الأصفهاني :

(١) فى الأصول «بحظك» والتصويب من الأغانى ج ١١ ص ٢٢

(٢) موضع قرب مكة كافى القاموس وسيم البلدان .

(٣) هكذا بالأصول وفى الأغانى ج ١ ص ١٩ «وابصة» بالباء الموحدة .

إنه لما مات خرجت سلامة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود  
السرير والبأس ينظرون إليها وهي تتدبه وتقول شعر الأخوص

قد لعمري بث ليلى • كأنني الداء الوجيه

ونجى الهم منى • بات أدنى من ضيبي

كلما أبصرت ربما • خاليا فاضت دموعي

قد خلا من سيدكا • ن لنا غير مضيع

لا تلمنا إن خشنا • أو همنا بمشوع

وكان معبد قد علمها هذا الصوت فدبته به • قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

كان معبد من أحسن الناس غناءً وأجودهم صنعةً وأحسنهم خلقاً، وهو إمام أهل  
المدينة في الفناء ، وأخذ عن سائب خاثر وتيسيط المارسي مولى عبد الله بن جعفر ،

وعن جميلة مولاة بهز بن س. بن سليمة . وفي معبد يقول الشاعر

أجاد طويس والسريجي بعده • وما قصات السبق إلا لمعبد

وحكى أبو العرج أيضا أن الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجه إليه البريد إلى

المدينة فأحصره ، فلما بلغ الوليد قدومه أمر بركة مائت ماء ورد وخلط بمسك  
وزعفران ، ثم جلس الوليد على حافة البركة وفرش لمعبد مقابله وضرب بينهما ستر

ليس معهما ثالث ، ووجه بمعبد فقيل له : سلم على أمير المؤمنين وأجلس في هذا

الموضع ، فسلم ، فرد عليه من خلف السجف ، ثم قال له : أتدري لم وجهت إليك ؟

قال : الله أعلم وأمير المؤمنين ، قال : ذكرتك فأحببت أن أسمع منك ، فقال له معبد :

أغنى ما حضر أو ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : غنى

• أزال يعدو عليهم ريب دهرهم • حتى تفانوا وريب الدهر عداء

ففتاه، فرفع الجوارى السجف، ثم خرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها،  
ثم خرج منها فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ثم شرب وسقى  
معبداً ثم قال له : غني يا معبد

يَا رُبَّعُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُتَبَا \* قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِراً وَمُسَلِّماً  
جَادَتْكَ كُلُّ مَحَابَةِ حَطَّالَةٍ \* حَتَّى تَرَى عَنْ زَهْرِهِ مُتَبَسِّماً  
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ دَعَاكَ أَجَبْتَهُ \* وَبَكَيْتَ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ إِذَا دَمَا

قال : ففتاه ، وأقبل الجوارى فرفعت السَّترَ ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة  
فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبداً وقال له :  
غني يا معبد

❦

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتِي \* أَنْتَبُ الرِّقْعَ الْمُحِيلَا  
وَأَقْفَا فِي الدَّارِ أَبْيَا .. لَا أَرَى إِلَّا الطُّلُولَا  
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنْفَاسٍ \* لَا يَمْلُوكُ الذَّمِيمِلَا<sup>(١)</sup>  
كُلَّمَا قُلْتُ أَطْمَأَنَّنْتُ دَارَهُمْ جُدُّوا الرِّجِلَا<sup>(٢)</sup>

قال : فلما غاد ألقى نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى  
معبداً وقال له : يا معبد ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ حُظُوءَةً عِنْدَ الْمُلُوكِ فَلْيَكُنْ أَسْرَارَهُمْ ،  
فقال : ذلك مما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به ، فقال الوليد : يا غلام أحمل  
إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحْصَلُ له في بلده ، وألقي ديناراً لتفقه طريقه ، فحملت  
إليه كلها ، وحمل على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه في ذلك  
المجلس خمسة عشر ألف دينار .

وقال أبو الفرج بسند رصه : إن معبدا كان قد علم جارية من جوارى الجواز الغناء تدعى "طية"<sup>(١)</sup> وعنى بتفريخها ، فاشتراها رجل من أدل العراق وأخرجها إلى البصرة وابعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهب به كل مذهب وعلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان ، فأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبة إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغناؤه على سائر الأغاني من أهل عصره إلى أن عُرِف ذلك منه وبلغ معبدا خبره ، فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز ، فجاء معبد في طلب سفينة تحمله إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، فركب فيها وكلاهما لا يعرف الآخر ، وانحدرت السفينة ، فلما صاروا بقم نهر الأبله<sup>(٢)</sup> ، أمر الرجل جواريه بالغناء فغنت إلى أن غنت إحداهن صوتا من غناء معبد فلم تُجد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم ، فقال مولاها : — وقد غضب — وأنت ما يدريك ما الغناء ! ما هو إلا أن تُمسك وتلزم شاك ، فأمسك . ثم غنت أصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت من غناؤه فأحلت ببعضه ، فقال لها معبد : يا جارية قد أحللت بهذا الصوت إخلالا كثيرا ، فغضب الرجل وقال له : ويلك ! ما أنت والغناء ، ألا تكف عن هذا الفضول ! فأمسك معبد ، وعنى الجوارى هليا ، ثم غنت إحداهن صوتا من غناؤه فلم تصنع فيه شيئا ، فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقوين على أداء صوت واحد ! فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع

(١) وفي بعض النسخ «طية» وفي الأغاني ح ١ ص ٢٤ «طية» .

(٢) الأبله بضم أوله وتانيه وتشديد اللام وضعها اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة كما في معجم البلدان لياقوت .

(٣) كذا في الأغاني ح ١ ص ٢٥ وفي الأصل «ألا تقوين» .

هذا الفضول بوجه ولا حيلة فَأَقْسِمُ بالله إن عاودتْ لِأُخْرِجْكَ من السفينة، فأمسك  
معبد حتى سكنت الجوارى سكتة، فاندفع يَفْنَى الصوت الأول حتى فرغ منه،  
فصاح الجوارى أحسنت والله يا رجل فأعده، قال : لا والله ولا كرامة . ثم أندفع  
يَفْنَى الثاني فقلن لسيدهن : وَيْحَك ! هذا والله أحسن الناس غناء، فسله أن يعيده  
علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبدا . قال : قد سمعن  
سوء ردّه عليكن وأنا خائف مثله منه، وقد أستقبلناه بالإساءة فاصبرن حتى ننداريه،  
قال : ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فقبل رأسه، وقال :  
يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك، فقال له : وجهك لم تعرف موضعي قد  
كان ينبغي لك أن تكتب ولا تُسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول ، فلم يزل يرقى  
به حتى نزل إليه ، وكان معبد قد أجلس في مؤخر السفينة، فقال له الرجل : ممن  
أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل المجاز، فن أين أخذه جواريك ؟ قال :  
أخذه من جارية كانت لي، كانت قد أخذت الغناء عن أبي عبّاد معبد وكانت تحل  
منى مكان الروح من الجسد، ثم أسأثر الله بها وبقي هؤلاء الجوارى وهن<sup>(١)</sup> [من] تعليمها،  
فأنا إلى الآن أنصّب لمعبد وأفضله على المغنين جميعا ، وأفضل صنعه على كل  
صنعة، فقال له معبد : وإني لأنت هو، أفتصرفتي ؟ قال : لا، قال : فصكّ معبد  
بيده صاعته، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من المجاز ووافيت البصرة  
ساعة نزلت السفينة لأقصّدك بالأهواز ، والله لا قصّرت في جواريك هؤلاء  
ولأجعلن لك في كلّ واحدة خلقا من الماضية ؛ فأكب الرجل والجوارى على يديه

(١) الزيادة عن الأناسي ج ١ ص ٢٦

(٢) في الأصول «فاته» والتصويب عن الأناسي ج ١ ص ٢٦



ورجله يقبلونها ويقولون : كتمتَا نفسَك حتى جفوناك في المخاطبة وأسانا عشرينك وأنت سيدنا ومن نمتي أن تلقاه، ثم غير الرجل أبواب معبد وخلع عليه عتة خلع وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها، وأخبر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى جندق جواريه ثم ودعه وأنصرف إلى المجاز .

### ذكر أخبار الغريص

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة

- هو عبد الملك وكنيته أبو زيد؛ وقيل : أبو مروان . والغريص لقب لقّب به ؛ لأنه  
 [ كان ] طرى الوجه يضرب غصن الشاب حسن المنظر فلقّب بذلك ؛ والغريص الطرى<sup>(١)</sup>  
 من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شبه بالإغريض وهو الجمار ثم قل ذلك على الألسنة  
 حذفت الألف ف قيل : الغريص ، وهو من مولدى البربر وللاؤه للثريا صاحبة عمر  
 ١٠ ابن أبرد بيعة وأخواتها الرضيا وقرية وأم عمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن  
 أمية الأصغر ، قالوا : وكان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب ، وكان قبل  
 الغناء خياطاً ، وأخذ الغناء في أول أمره عن عبيد بن سريح ، لأنه كان قد خدمه ،  
 فلما رأى ابن سريح طبعه وظرفه وحلاوة منطقته ، خشي أن يأخذ غناءه فيظله عليه  
 ويقوفه بنحس وجهه وحسده ، فاعتل عليه وشكاه إلى مولاته وكُن دفعته إليه ليعلمه  
 ١٥ الغناء ، وجعل يتجنى عليه ثم طرده ، فعرف مولاته غرض ابن سريح فيه وأنه حسده ،  
 فقلن له : هل لك أن تسمع نوحنا على قتلاتنا فتأخذه وتنفى عليه ؟ قال : نعم ، فاستمعته  
 المرائي فاحتذاها ونرج غناءه عليها ، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآثم وتضرب

دونه المَجْبُوبُ ثم يَنُوحُ فَيَقِينُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ ، فَلَمَّا كَثُرَ غَنَاؤُهُ عَدَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لَشَجَانِهِ ،  
فَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ لَا يَنْتَفِي صَوْتًا إِلَّا عَارِضُهُ فِيهِ فَيَقْنِي فِيهِ لَحْمًا آخَرَ ، فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ  
مَوْقِعَ الْفَرِيضِ أَشْتَدَّ عَلَيْهِ وَحْسَدُهُ ، فَغَنَى الْأَرْمَالُ وَالْأَهْرَاجُ ، فَاشْتَهَاهَا النَّاسُ فَقَالَ  
لَهُ الْفَرِيضُ : يَا أَبَا يَحْيَى قَصَّرْتَ الْغَنَاءَ وَحَذَفْتَهُ ، قَالَ : نَعَمْ يَا مَخْنُثُ حِينَ جَعَلْتَ تَوَحُّ  
عَلَى أَبِيكَ وَأَمَّا أَنْتَ ، قَالَ : وَلَمْ يُفَضَّلْ ابْنُ سُرَيْجٍ عَلَيْهِ إِلَّا بِالسَّبْقِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا .

٥

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْفَرِيضُ أَشْجَى غَنَاءً ، وَابْنُ سُرَيْجٍ أَحْكَمَ صِنْعَةً . وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ  
الْأَصْفَهَانِي بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى أَيُّوبَ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَوْلَى لَأَلِ الْفَرِيضِ قَالَ : حَدَّثَنِي  
بَعْضُ مَوْلِيَائِي وَقَدْ ذَكَرَنَ الْفَرِيضُ قَرَحَمَنَ عَلَيْهِ ، وَقُلْنَ حَامِنًا يَوْمًا خَدَشْنَا بِمَحْدِثٍ  
أَنْكَرْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَفْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَةً ، قَالَتْ : وَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ يَحْوَارُنَا فَنَدْفَعُهُ  
إِلَيْهِ وَلَقِّنَ الْغَنَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا ، فَتَنَّنَ أَهْلُ مَكَّةَ بِمُحَسِّنِ وَجْهِهِ مَعَ  
حُسْنِ صَوْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ سُرَيْجٍ جَلَّاهُ عَنْهُ ، فَكَانَ بَعْضُ مَوْلِيَائِهِ تَعْلِمُهُ  
الْبِيَاضَةَ فَبَرَزَ فِيهَا ، بِخَفَاءٍ يَوْمًا فَقَالَ : تَهَنَّنِي الْجَنُّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَسْتَمْتَنِي صَوْتًا عَجِيبًا فَقَدْ  
أَبْتَنَيْتُ عَلَيْهِ لَحْنًا فَاسْتَمِعِيهِ مِنِّي ، فَأَتَدْفَعُ فَنَقِي بِصَوْتٍ عَجِيبٍ فِي شَعْرِ لَمَرَّارِ الْأَسَدِيِّ

١٠

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا يَنْزِلُ فِي الْغَصَى \* وَهَضَبُ الْعِنَانِ مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ يَكْرِ

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلًّا وَمَا تَرَى \* بِهِ عِنْدَ لَيْسَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ

١٥

قَالَتْ : فَكَذَّبْنَاهُ وَقُلْنَا : شَيْءٌ فَكَّرَ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا الْجَنَسِ ، فَكَانَ فِي كُلِّ  
يَوْمٍ يَأْتِينَا فَيَقُولُ : سَمِعْتُ الْبَارِحَةَ صَوْتًا مِنَ الْجَنِّ بِتَرْجِيعٍ وَتَقَطِيعٍ فَقَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِ  
صَوْتٌ كَذَا وَكَذَا بِشَعْرِ فُلَانٍ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ وَنَحْنُ نَشْكُرُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّا لَكَذَلِكَ لَيْلَةً

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ « لِإِسْجَاهِهِ » أَدْلَمَ بِجِدِهِ فِي اللِّسَانِ وَلَا فِي الْقَامُوسِ ، وَعِبَارَةُ الْأَعَانِي

فِي ج ٢ ص ١٢٩ « لَمَّا كَانَ بِهِ مِنَ الشَّعَا » .

٢٠

(٢) فِي الْأَعْلَى ج ٢ ص ١٣٥ : « الْقِيَان » .

وقد أجمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع لنا سمرة فيه ليلتنا والغريص يفتينا بشعر  
عمر بن أبي ربيعة حيث يقول

أين آل زينب جد البكور \* نعم فلائى هواها قصير

إذ سمعنا في بعض الليل عزيفاً عجيباً وأصواتاً دعرتنا وأفزعتنا، فقال لنا الغريص :

١٠ إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمت سمعته وأصبح أبى عليه غنائى، فأصغينا إليه  
فإذا نعمته نعمة الغريص بعينها، فصتفاه تلك الليلة . وكانت وفاة الغريص باليمن  
في خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز، وكان قد هرب من نافع  
ابن علقمة لما ولي مكة من مكة إلى اليمن وأستوطنها ومات بها . والغريص أخبار  
مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن ثبت في هذا الموضوع ما يستف عليه  
إن شاء الله تعالى .

١٠ فن ذلك ما حكاه أبو العرج الأصبهاني في كتابه المترجم «بالأغاني» ، في أخبار الحارث  
ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، بعد أن ساق قطعة من أخباره  
مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهواها ويشتب بها في شعره، ثم قال  
في أثناء ذلك : لما قدمت عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارث وهو أمير  
مكة يومئذ . وكان ولها من قبل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها ، إلى أريد  
السلام عليك ، فإذا خف ذلك عليك أذنت ، وكان الرسول الغريص ، فأرسلت إليه  
إنا حرم فإذا أحللتنا أذنك ، فلما حلت خرجت سرّاً على بغلتها ، ولحقها الغريص  
بُعثان أو قريب منه ومعه كلب الحارث إليها وفيه

ما ضرركم لو قلتم سداً \* إن المطايا عاجل غداً

ولها علينا نعمة سالت \* لسألى الأيام نجمة

لو أتممت أسباب نعمتها \* تمت بذلك عندنا يدّها

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ! ثم قالت للفريض هل أحدثت شيئا؟ قال : نعم فأسمي، ثم أندفع فغنى في هذا الشعر، فقالت عائشة : والله ما قال إلا سدا ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه، واستحسنت الشعر، وأمرت للفريض بخمسة آلاف درهم وأتواب، [وقالت] : زدني، فغنى في قول الحارث أيضا حيث

يقول

زعموا بأنَّ البين بعد غد \* فالقلب مما أحدثوا يحف  
والعين منذ أجد بينهم \* مثل الجمان دموعها تكف  
تسكروا وتشكو ما أشت بنا \* كلُّ بوشك البين معترف  
ومقالها — ودموعها نجوم — \* أقل حنينك حين تنصرف

فقالت عائشة : يا غريض، بحق عليك أهو أمرك أن تُغني في هذا الشعر؟ قال : لا وحياتك باسديتي فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت : غني في شعره، فضاها شعر عمر بن أبي ربيعة — وكان عمر قد سأله ذلك — فقال

أجمعت خلقي مع المجرينا \* جلَّ الله ذلك الوجه زينا  
أجمعت بينها ولم يك منها \* لذه العيش والشباب قصيها  
فولت حمولها وأسست \* لم تيل طائلا ولم تمض دينا  
ولم دفلت يوم مكة لما \* أرسلت تقرأ السلام علينا  
أنعم الله بالرسول الذي أر \* سل والمرسل الرسالة عينا

قال فضحكت ثم قالت : وأنت يا غريض فأسم الله بك عينا وأنعم بآبى ربيعة عينا، ثم لطفت حتى أذيت إلبا رسالته، وإن وفاءك له لما يزيدنا رغبة فيك وحقه بك،

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ١٠٤

(٢) كذا بالأصل، وفي الأغانى ج ٣ ص ١٠٥ «لقد طلعت» .

وكان عمر سأل الفريض أن يفتنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها لما غضبت بنوتيم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها، فقال له عمر بن أبي ربيعة: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم، فوق له، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى، ثم أنصرف الفريض من عندها فلقى طائكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت في تلك السنة فقال لها جوارياها: هذا الفريض، فقالت لمن: على به، فجئن به إليها، قال الفريض: فلما دخلت سلمت فردت على وسالني عن الخبر، فأقصصته عليها فقالت: غنى بما غنتها به، ففعلت؛ فلم أرها تهش لذلك، ففتنتها معرضا ومدكرا بنفسي في شعر مرة بن محكان السعدي

— يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف —

١٠٠

- ١٠ أقول والضيف غشي زيماته . على الكريم وحق الضيف قد وجبا  
يا ربة البيت قومي غير صاغرة \* ضمي إليك رجال القوم والقربا  
في ليلة من جمادى ذات أندية \* لا يبرح الكلب في ظلماتها الطنبا  
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة \* حتى يلف على خيشومه اللنبا

فقالت وهي مبتسمة: ثم وقد وجب حقك يا غرييض، فغني، فغنيها

- ١٥ يادهر قد أكررت بجمتنا . بسرراتنا ووقرت في العظم  
وسلبتنا ما كنت تحلفه . يادهر ما أنصفت في الحكم  
لو كان لي قرن أناضله . ما طاش عند حفيظة سهمي  
لو كان يعطي النصف قلت له \* أحرزت قسلك فآله عن قسمي

(١) كذا بالأصول والأغاني، ولم نجد في القاموس والساب أقص بمعنى قصر، ولعلها محوطة

عن فاتصته .

(٢) في الأصول «كثرت بجيمتنا» والتصويب عن لسان العرب في مادة «وقر» والأغاني ح ٣ ص ١٠٥

(٣) وقر العظم مدح .

قالت : نعطيك النصف فلا يضيع سهمك عندنا ونُجْزِلُ لك قِسْمَكَ ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وثياب عَدْنِيَّة وغير ذلك من الألطاف ، قال الفريض : فأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصتُ عليه القصة ، فأمر لي بمثل ما أمرتا لي جميعا ، وأتيتُ ابن أبي ربيعة فأعلمته بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك ، فما أنصرف أحدٌ من ذلك المومنين بمثل ما أنصرفتُ به ، نظرة من عائشة ونظرة من عاتكة — وهما أجهل نساء عالميها — وبما أمرتا لي به ، والمترلة عند الحارث — وهو أمير مكة — وابن أبي ربيعة وما أجازاني به جميعا من المال .

ولنصل هذا الفصل بشيء من أخبار عائشة بنت طلحة ، لأن الشيء بالشيء يذكر .

- هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وأُمُّها أُمُّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكانت عائشة لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها مُصَعَّب في ذلك ، فقالت : إن الله تبارك وتعالى وَتَمَنَّى بِمِثْمِمْ جَمَالَ أَحَبِّتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ ، فَا كُنْتُ لِأَسْتُرَهُ ، وَوَالله مَا فِيَّ وَحْمَةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ . قال أبو العرج الأصهباني : وكانت شَرِيسَةً الخُلُقِ وكذلك نساء بني تيم ، هن أشرس خلق الله خُلُقًا وأحظاظًا عند أزواجهن . قال : وآلت عائشة من زوجها مُصَعَّب بن الزبير ، فقالت : أنت علي كظهر أمي ، وقعدت في غرفة وحيات ما يُصْلِحُهَا ، فبغدت مُصَعَّبُ أَنْ تُكَلِّمَهُ فَأَبَتْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ فَسَأَلَهَا كَلَامَهُ ، فقالت : كيف يميني ؟ فقال : ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق فاستفتيته ، فدخل الشعبي عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم . وحكى أبو العرج أن مصعب بن الزبير لما عزم على زواج عائشة بنت طلحة ، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر

(١) في الأصل : « يميني » والتصويب من الأمازيج ١٠ ص ٥٤ .

- الصدّيق وسعيد بن العاص إلى عَزَّة المَيْلَاء، وكانت عَزَّة هذه يالها الأشراف  
وغيرهم من أهل المروعات، وكانت من أطرف الناس وأطلمهم بأمور النساء، فقالوا  
لها: إنا خطبنا فأنتري لنا، فقالت لمصعب: يابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ قال:  
عائشة بنت طلحة، قالت: فانت يابن أبي أُحِيَّة؟ قال: عائشة بنت عثمان  
ابن عفان، قالت: فانت يابن الصدّيق؟ قال: أم الهيثم بنت زكريّا بن طلحة،  
فقال: يا جارية، هاتي منقلى منى حبها، فلبستهما ونحرجت ومعها خادم لها،  
فبدأت بعائشة بنت طلحة، فقالت: فدَيْتِك، كفاي مأدبة أو مائتم لقريش فذاكروا  
جمال النساء وخُلقهن فذكروك فلم أدركيف أصفُك، فدَيْتِك، فألقي ثيابك،  
ففعلت، فأقبلت وأدبرت فأرتج كل شيء منها، فقالت لها عَزَّة: خذي ثوبك،  
فقال: عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي، فقالت عَزَّة: وما هي  
فدَيْتِك؟ قالت: تمنّيتى صوتا، فأندفعت تنقّى لحنها في شعر لجليل بن عبد الله  
ابن معمر الطُّوَيْرى

- خَلِيلٌ حُوجًا بِالْحَلَّةِ مِنْ جُلِيلٍ \* وَأَرْزَاهَا بَيْنَ الْأَصْفِيرِ فَالْجَلِيلِ  
قَفَّ بِمَخَانٍ قَدْ عَفَا رَسَمَهَا إِلَيَّ \* تَعَاقَبَهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَيْلِ  
فَلَوْ دَرَجَ النَّمْلُ الصَّغَارُ بِجِلْدِهَا : لَأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ  
وَأَحْسَنَ خَلَقَ اللَّهُ جَيْدًا وَمُقَلَّةً \* تُشَبَّهُ [فِي النِّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطُّفْلِ] (١)

(١١٠)

فقبلت عائشة ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وطرائف من أنواع الفضة،  
فدفعته إلى مولاتها، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لمن، ثم أتت التعم  
في السقيفة فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يابن أبي عبد الله، أنا عائشة فلا والله ما رأيت

مثلها مقبلة ولا مدبرة ! مخطوطة المتنين ، عظيمة العجيزة ، ممتلئة الترائب ، نية الثغر  
وصفحة الوجه ، قرعاء الشعر ، ممتلئة الصدر ، نحيفة البطن ذات عكس ، ضخمة السرة ،  
مُسرولة الساق ، يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها ؛ وفيها عيان : أما أحدهما فيؤاريه  
النحر ، وأما الآخر فيؤاريه الخلف ، عظم الأذن والقدم ، وكانت عائشة بنت طلحة  
كذلك . ثم قالت عزة : وأما أنت يابن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل خلق  
عائشة بنت عثمان لامرأة قط ! ليس فيها عيب والله لكأنما أفرغت إفرارا ولكن  
في الوجه ردة ، وإن استشرختي أشرت عليك ، قال : هات ، قالت : عليك بوجه  
تستانس به . وأما أنت يابن الصديق : فوالله ما رأيت مثل أم الهيثم كأنها خوطبانة  
تنثني ، أو كأنها جان<sup>(١)</sup> يتثنى على رمل . لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ، ولكنها  
شحنة الصدر وأنت عريض الصدر ، فإذا كان كذلك كان فيهما ، لا والله حتى يلا  
كل شيء مثله ، قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن .

وحكى أبو الفرج أيضا أن مصعب بن الزبير إنما تزوجها بعد عبدالله بن عبد الرحمن  
أبن أبي بكر ، وقال : وكانت عائشة بنت طلحة تُسبب بخالتها عائشة أم المؤمنين رضى  
الله عنها ، فزوجتها عائشة من أبن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أول  
من تزوجها ، ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران  
وبه كان يُكنى<sup>(٢)</sup> ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكل من هؤلاء عقب . وأنا  
من عقب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث بن طلحة ، وليس  
هذا موضع سرد نسبي فأسرده . قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها

(١) في الأغاني ج ١٠ ص ٥٥ : « حنف » .

(٢) في الأصل « طرماها » والتصويب عن الأغاني ج ١٠ ص ٥٥ .

(٣) أى دقته . (٤) في الأغاني ج ١٠ ص ٥٦ : « وبه كانت تكي » .



عبد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مُغَضِّبَةً تريد عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها، فأراها أبو هريرة فسبَّح الله تعالى وقال : كأنها من الحُور العين ! فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر، وكان عبد الله قد آلى منها، فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء، فضمَّها إليه وكان مُوَلِّيًا منها قَبِيلَ له : <sup>(١)</sup> طَلَّقَهَا، قَالَ

يَقُولُونَ طَلَّقَهَا لِأَصْبَحَ نَاوِيًا \* مُقِيًّا عَلَى الْمَسْمُ، أَحْلَامُ نَائِمٍ  
وإِن فِرَاقَ أَهْلِ بَيْتِ أَحِبُّهُمْ \* لَمْ زُلْفَةً عِنْدِي لِأَحَدَى الْعَظَامِ

وَتُوِّفَى عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فإ فصحت فأها عليه . وكانت عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها تُعَدُّ هذا عليها فى ذنوبها التى تعددها ، ثم تزوجها بعده مُصَعَّبُ بن الزَّيْرِ ، ففهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك ، فبلغ ذلك أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إِنْ مُصَعَّبًا قَدَّمَ أَيْرَهُ وَأَخْرَجِيهِ ، فبلغ قوله عبد الملك ابن مروان ، فقال : لَكِنَّهُ هُوَ أَخْرَجِيهِ وَأَيْرَهُ ؛ وَكُتِبَ عبد الله إلى أخيه يُؤَنِّبُهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُقَسِّمُ عَلَيْهِ أَلَّا يَلْحَقَ بِمَكَّةَ وَلَا يَزِلَّ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَزِلَّ إِلَّا بِالْبَيْدَاءِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الَّذِى يُحَسِّفُ بِهِ بِالْبَيْدَاءِ ، فإ أمرتك بزوالها إلا لهدا ، فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عه .

وكانت عائشة تتنعم على مُصَعَّبٍ فى غالب الأوقات ؛ لِحُبِّى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا وهى نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبأها وَتَرَ اللُّؤْلُؤَ فى حجرها ، فقالت : نَوْمَتِى كَانَتْ أَحَبَّ إِلِىَّ مِنْ هَذَا اللُّؤْلُؤِ ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهَا مَعَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى شَكَا ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِهِ أَيْبَنَ أَبِي قُرَوَظَ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا أَكْفَيْكَ هَذَا إِنْ أَذِنْتُ لِي ، قَالَ : نَعَمْ أَفَعَلَ مَا شِئْتُ ، فَأَتَاهَا لَيْلًا وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : أَفِى مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَذِنْتُ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ لِلْأَسْوَدَيْنِ : أَحْفِرَا هَاهُنَا

(١١١)

(١) فى الأصول هكذا « ملق بها » والتصويب عن الأئمة ح ١٠ ص ٥٦

بِراء، فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبر؟ قال : شؤم مولاتك، أمرني هذا الظالم أن أدفنها حيّة، وهو أسفك خلق الله لدم حرام . قالت عائشة : فَأَنْظِرُنِي أَذْهَبَ إِلَيْهِ، قال : هيات لاسبيل إلى ذلك، وقال للأسودين : أحفرا، فلما رأَت الحَدَّ منه بكت وقالت : يابن أبي قُرّة إلك لقاتلي ما منه بد؟ قال : نعم، وإني لأعلم أن الله عز وجل سيغزيه بعلك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب، قالت : وفي أي شيء غضبه؟ قال : مِنَّ آمْتَنَاعِكَ عَلَيْهِ وَقَدْ ظَنَنْتُكَ تُبْغِضِيَنِي وَتُتَطَلَّعِينَ إِلَى غَيْرِهِ، فَقَدْ جُنْتُ، فقالت : أُنْسِدُكَ اللهُ إِلَّا عَاوَدْتَهُ . قال : أخاف أن يقتلني، فبكت وبكى جوارياها، فقال لها : قد رَقَقْتُ لَكَ وَحَلَفَ لَهَا إِنَّهُ يُغْفِرُ بِنَفْسِهِ وَقَالَ لَهَا : فَمَا أَقُولُ؟ قالت : تضمن له عني أني لا أعود أبدا، قال : فإني عندك؟ قالت : قِيَامُ بِحَقِّكَ مَا عِشْتُ، قال : فَأَعْطِنِي الْمَوَاتِيْقَ، فأعطته، فقال للأسودين : مَكَانِكَا، وَأَنِّي مُصْعَبَا فَاخْبِرْهُ، فقال : أَسْتَوِيْقُ مِنْهَا بِالْإِيْمَانِ، فاستويق منها ففعلت، وَصَلَحَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِمُصْعَبَ . قال : وكان مصعب من أشد الناس إعجابا بها، ولم يكن لها شيء في زهانها حُسْنًا وديانة وجمالا وهيئة وشارة وعفة، وأنها دعت يوما نِسوة من قُرَيْشٍ، فلما جئنها أَجْلَسَتْهُنَّ فِي مَجْلِسٍ قَدْ نُصِدَ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالطَّبِيبُ وَالْمُجَامِرُ، وخامت على كل امرأةٍ مِنْهُنَّ خُلعة من الوُثَى والخَزِّ ونحو ذلك، ودعت عَزْرَةَ الْمَيْلَاءِ ففعلت بها مثل ذلك وأضعفته، ثم قالت لَعَزَّة : هات يَاعَزَّةُ فَنُفْيَا، ففَتَّهَتْ فِي شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، فقالت

وَتَقَرَّ أَغْرَ شَنِيبِ اللَّثَاتِ \* لَنِيذِ الْمُقْبِلِ وَالْمُبْتَسِمِ  
وَمَا دُقُّهُ غَيْرَ ظَنٍّ بِهِ . وَالظَّنُّ يَقْضِي عَلَيْكَ الْحُكْمَ

وكان مصعب قريبا منهن ومعه إخوان له، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة، فصاح بها : يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك الله فيك

- يَا عَزْرَةَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ : أَمَا أَنْتِ فَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْكَ مَعَ مَنْ عِنْدِكَ ، وَأَمَّا عَزْرَةُ فَتَأْذِنِينَ لَهَا أَنْ تُقْنِنَا هَذَا الصَّوْتَ ثُمَّ تَعُودَ إِلَيْكَ ، فَفَعَلَتْ وَنَحَرَتْ عَزْرَةَ إِلَيْهِمْ ، فَغَنَّتْ هَذَا الصَّوْتَ مَرَارًا ، وَكَادَ مُصْعَبُ أَنْ يَذْهَبَ عَقْلُهُ فَرِحَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا عَزْرَةُ ، إِنَّكَ لَتُحْسِنِينَ الْقَوْلَ وَالْوَصْفَ وَأَمْرَهَا بِالْعُودِ إِلَى مَجْلِسِهَا . قَالَ : وَلَمْ تَزَلْ عِنْدَ مُصْعَبٍ حَتَّى قُتِلَ عَنْهَا ، فَغَطَّهَا بِشَرِّينَ مَرَّوَانِ ، وَقَدِمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ النَّيْمِيُّ مِنَ الشَّامِ فَزَلَّ الْكَوْفَةَ فَبَلَغَهُ أَنْ بَشَّرَا خُطْبَاهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا جَارِيَةً لَهَا وَقَالَ :
- قُولِي لَكُنْتِ عُمَى : إِنْ عَمَّكَ يَقْرَنُكَ السَّلَامُ وَبِقَوْلِكَ : أَنَا خَيْرُكَ مِنْ هَذَا الْمُبْسُورِ الْمُطْحُولِ وَأَنَا أَبْنُ عَمِّكَ أَحَقُّ بِكَ ، وَإِنْ تَزَوَّجْتُ بِكَ مَلَأْتُ بَيْتَكَ خَيْرًا فَتَزَوَّجْتَهُ فَبَيَّ عَلَيْهَا بِالْحَيَّةِ ، فَهَدَتْ لَهُ سَبْعَةَ أَفْرِشَةٍ عَرْضُهَا أَرْبَعُ أَذْرُعَ ، فَاصْبَحَ لَيْلَةً بَقِيَ بِهَا عَنِ تِسْعَةٍ ، فَلَقِيَتْهُ مَوْلَاةُهَا ، فَقَالَتْ : أَمَا حَفِصُ ، فَذَيْتُكَ قَدْ كُنَّتِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي هَذَا . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَهَا حَمَلَ إِلَيْهَا أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَخَمْسِمِائَةَ أَلْفِ مَهْرٍ ، وَخَمْسِمِائَةَ أَلْفِ هَدِيَّةٍ وَقَالَ لِمَوْلَاتِهَا : لَكَ عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ إِنْ دَخَلْتُ بِهَا اللَّيْلَةَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَالِ فَحَمِلَ فَأَلْقَى فِي الدَّارِ وَغَطَّى بِالثِّيَابِ وَنَحَرَتْ عَائِشَةُ فَقَالَتْ لِمَوْلَاتِهَا : مَا هَذَا ، أَفَرُشٌ أَمْ ثِيَابٌ ؟ قَالَتْ : أَنْظِرِي إِلَيْهِ ، فَفَنظَرَتْ فَإِذَا هُوَ مَالٌ ، فَهَسَمَتْ ، فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ : أَجْزَاءُ مَنْ حَمَلَ هَذَا الْمَالُ أَنْ يَبْهَتَ عَزْرِي ! قَالَتْ :
- لَا وَاهِهُ وَلَكِنْ لَا يَحْزُونَ دُخُولَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَتَيْنَ لَهُ وَأَسْتَعِدَّ ، قَالَتْ : وَمَاذَا ؟ فَوَاهِهُ لَوَجْهِكَ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ زِينَةٍ وَمَا تَحْدُبُنْ يَدِيكَ إِلَى طِيبٍ أَوْ تَوْبٍ أَوْ مَالٍ أَوْ فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَكَ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْذِنِي لَهُ . فَقَالَتْ : أَفْعَلِي ، فَذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ : يَتُ بَنَاتُ اللَّيْلَةِ ، بِخَافِهِمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَأَذْنِي إِلَيْهِ طَعَامٌ فَأَكُلِ الطَّعَامَ كُلَّهُ حَتَّى أَعْرِى الْخِوَانَ وَغَسَلَ يَدَيْهِ وَسَالَ عَنْ الْمُتَوَضَّأِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَامَ فَتَوَضَّأَ وَقَامَ يَهْضِلُ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَنَمْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَعَلَيْكُمْ أَذْنُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَادْخُلْ ، فَادْخَلَتْهُ

(١١٦)

وأَسْبَلْتُ السَّيْرَ عَلَيْهِمَا، فَصَدَّتْ لَهُ فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلَةِ عَلَى قَلْبِهَا مِيعَ عَشْرَةِ مَرَّةٍ دَخَلَ التَّوَضُّعَ فِيهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ : أَتَقُولِينَ شَيْئًا؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ! فَضَحَكَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِ عَائِشَةَ وَقَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ أَبْنَ عَمِّكَ؟ فَضَحَكَتْ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ

قَدْ رَأَيْتُكَ فَلَمْ تَحُلْ لَنَا • وَبَلَوْنَاكَ فَلَمْ نَرْضَ الْخَبَرَ

وَمَكَثَتْ عَائِشَةُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ثَمَانِي سِنِينَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ، وَلَمَّا مَاتَ نَدَبَتْهُ قَائِمَةٌ وَلَمْ تَدُبْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنْ أَزْوَاجِهَا إِلَّا جَالِسَةً، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ أَكْرَمَهُمْ عَلَيَّ وَأَمْسَمُ بِهِ رَحْمًا، فَارْدْتُ إِلَّا أَنْتَزِجَ بِهِدِهِ • وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا نَدَبَتْ زَوْجَهَا قَائِمَةً لَا تَتَزَوَّجُ بِهِدِهِ أَبَدًا، وَلَمْ تَتَزَوَّجْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بَعْدَ زَوْجِهَا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ •

وَمِنْ أَخْبَارِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى يَزِيدِ بْنِ عِيَّاضٍ، قَالَ : أَسْتَأْذِنْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي الْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهَا وَقَالَ : أَرَفَمِي حَوَائِجُكَ وَأَسْتَظْهَرِي، فَإِنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ تَحْجُ، فَفَعَلْتُ، وَتَجَهَّزْتُ بِبَيْتَةٍ جَهَدْتُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ إِذَا مَوْكِبٌ قَدْ جَاءَ فَضَمَّعُهَا (١) وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهَا، فَقَالَتْ : أَرَى هَذِهِ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا : هَذِهِ جَارِيَتُهَا، ثُمَّ جَاءَ مَوْكِبٌ آخَرُ أَكْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا : عَائِشَةُ عَائِشَةُ، فَضَمَّعُهَا (٢) فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا : هَذِهِ مَا شِطَّتْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ مَوَاكِبٌ عَلَى هَذَا لِحَاشِيَتِهَا ثُمَّ أَقْبَلَتْ فِي ثَلَاثَةِ رَاحِلَةٍ عَلَيْهَا التَّقَابُ وَالْمَوَادِجُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى • قَالَ :

(١) فِي الْأَغْنَى ج ١٠ ص ٦٠ «ضَمَّعَهَا» أَوْ «ضَمَّعُهَا» •

(٢) فِي الْأَغْنَى ج ١٠ ص ٦٠ «خَازَتْهَا» •

- ووفدت عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها: ما أوفدكِ؟ قالت: حبست السماء، مطرها ومنع السلطان الحق، قال: فانا أصل رحلك وأعرف حقك، ثم بعث إلى مشايخ أمية فقال: إن عائشة عندي فاستمروا عندي الليلة، فحضروا فما تذكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا أستمته، فقال لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟
- قالت: أخذته عن خالتي عائشة رضى الله عنها، فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى المدينة. قال: ولما تأمّنت عائشة كانت تُقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مالها بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتتّره وتجلس فيه بالمشيات فتتناضل بين الرّماة، فزبها الثميري الشاعر فسالته عنه، فأنسب لها فقالت: استنوني به، فبجىء به، فقالت له: أنشدني مما قلت في زينب، فامتنع، وقال: بنت عمي وقد صارت عظاما بالية، قالت: أقسمت عليك لما قلت، فأنشدها قوله

- تَزَلْنَ بَفْعٍ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً \* يَلْبِسْنَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتِمِرَاتٍ  
يُخَيَّرْنَ أَطْرَافَ الْأَكْفِ مِنَ التَّقَى \* وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتِمِرَاتٍ<sup>(١)</sup>  
وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ الثَّمِيرِيِّ رَاعَهَا \* وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ  
تَضَوِّعُ مِسْكَاطَهُنَّ نَعْلَانِ أَنْ مَشَتْ \* بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَيْرَاتٍ
- ١٥

وزينب هذه هي زينب بنت يوسف الثقفي - أخت المجاج، وكان الثميري يهاوها ويُسَبِّبُ بها، وله معها أخبار يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها، قال: فقالت له

(١) هكذا بالأصول. وفي الأعراب ١٠ ص ٦٠ «أخذتها».

(٢) كذا بالأطراف ١٠ ص ٦١ وفي الأصل «مقيمة».

(٣) اسم واد مكة.

(٤) في الكامل للبردج ١ ص ٢٩٠ طبع أوروبا ورد هذا البيت هكذا:

يُخَيَّرْنَ أَطْرَافَ الْبَادِ مِنَ التَّقَى . وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ الْبَلِّ مُعْتِمِرَاتٍ

عائشة — لما أنشدها هذا الشعر — والله ما قلت إلا جيلا، ولا وصفت إلا كرما  
وطيبا ودينا وتقي، أعطوه ألف درهم؛ فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها،  
فقلت: على به، فجاء فقالت له: أنشدني من شعرك في زينب، قال: فَأَنْشِدُكَ  
من قول الحارث فيك؟ فوثب موالها إليه، فقالت: دَعُوهُ فإنه أراد أن يستفيد  
لكبنة عمه، هات فأنشدها

ظَلَمَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ \* وَغَدَا بِلَيْكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ  
وَتَسَوَّى شَقْلُهَا عَجِيزَتُهَا . نَهَضَ الضَّعِيفُ نَبْوَ الْوَسْقِ  
مَا صَبَحَتْ زَوْجًا بَطْلَمَتِهَا \* إِلَّا غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ  
بِضَاءٍ مِنْ تَمِيمٍ كَلَفَتْهَا \* هَذَا الْجَنُونُ وَلَيْسَ بِالْمَشِقِ

١٠. قالت: والله ما ذكر إلا جيلا، ذكر أنى إذا صبحت زوجا بوجهي غدا  
بكواكب الطلق، وأنى غدت مع أمير تزوجني إلى الشرق. أعطوه ألف درهم  
وأكسوه حلتين ولا تعد لإيتاننا يا بُمَيْرِي؛ والله أعلم [ولنرجع إلى أخبار المغنين<sup>(١)</sup>].

### ذكر أخبار محمد بن عائشة

يُكْنَى أبا جعفر ولم يكن له أب يُعرف فنُسب إلى أمه؛ وكان يزعم أن أسم أبيه  
جعفر. وعائشة أمه مولاه لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش، وقيل: هي  
مولاه لآل المطلب بن أبي إداعة السهمي<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عائشة — وقد سأله الوليد بن يزيد  
قال: يا محمد أليغية أنت؟ — قال: كانت أمي يا أمير المؤمنين ماسطة وكنت غلاما  
وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت: أرفعوا هذا لأبن عائشة، فغلبت على نسي.  
١٥

(١) هذه الزيادة في حدى النسخ. (٢) الزيادة عن الأعشى ج ٢ ص ٦٢

(٣) هكذا بالأصل وهي مكررة مع قوله: «وقد سأل ابن عائشة».

(٤) رواية الأناني ج ٢ ص ٦٢ «قالوا».

قالوا : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه ، وكان فتیان المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته ؛ وأخذ عن معبد ومالك بن أبي السَّحْج ، ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما وأعترافه بفضلهما . وكان تباها سيئ الخلق ، إن قال له إنسان : تَنَنَّ ، قال : المثل يقال هذا ! فإن غني وقال له إنسان : أحسنت ، سكت ؛ فكان قليلا ما يُتَضَع به .

وكان ابنُ عائشة مُنقطعاً إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مُكرماً له ، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البُغْيَةِ<sup>(١)</sup> ، فامتنع ابنُ عائشة ، فأقسم عليه وأظهر الحدة ، فلما عين ما ظهر عليه قال : أخرج طائفا لا كارها ؛ فأمر له ببغلة فركبها ومضيا إلى البُغْيَةِ ، فترلا الشَّب ثم أكلوا ؛ وقال له : غني ، فأندفع ففناه صوتاً فاستحسنه ، فقال ابن عائشة : والله لا غنيك في يومى هذا شيئاً ؛ فأقسم الحسن ألا يفارق البُغْيَةَ ثلاثة أيام ؛ فأغتم ابن عائشة ليمينه ونديم ؛ فلما كان في اليوم الثاني قال له : غني فقد برت يمينك ، فنظر إلى ناقة تقدم جماعة إبل فأندفع بغني

تَمُرُّ بِكُنْدَلَةِ الْمِجَنِّشِيِّ يُرْمِي بِهَا السُّورَ يَوْمَ الْقِتَالِ

وهي أبيات لأمية بن أبي طائذ الهذلي يصف حماراً وحشياً ؛ والبيت يمر بالياء .

وقيل : سال العقيق مرةً فدخل عرساً سميد بن العاص [الماء] حتى ملأها ، فخرج ١٥ الناس إليها ، وخرج ابن عائشة بخلس على قرن البئر ، فبيناهم كذلك إذ طلع الحسن على بغلة ومعه غلامان أسودان ، فقال لهما : امضيا رويداً حتى تحقا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، ففعلا ذلك ؛ ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟

(١١١)

(١) ضية بالمدينة أو عين عذرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في القاموس .

قال : بخير ؛ قال : أنظر من تحتك فنظر فإذا العبدان ؛ قال : أتعرفهما ؟ قال :  
نعم ؛ قال : فهما حران لئن لم تغني مائة صوت لأمرنهما بطرحك في البئر ، وهما  
حران لئن لم يعملنا لأقطعن أيديهما <sup>(١)</sup> ، فاندفع ابن عائشة وغنى بشعر المذلل

ألا لله درك من قتي قسوم إذا رمبوا  
وقالوا من قتي لحر ب يرقبنا ويرقب <sup>(٢)</sup>  
فكنت نسام فيها \* إذا تدعى لها تب  
ذكرت أنى فعاودنى \* صداع الرأس والوصب  
كما يعتاد ذات ألبو <sup>(٣)</sup> بعد سلوها الطرب

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى حماد الراوية أن الوليد بن يزيد  
استقدمه من العراق إلى الشام على دواب البريد ، وكان مما حكاه عنه قال :  
قدمت عليه فأذن لي ، فدخلت فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان أصفران وعنده  
معبد ومالك بن أبي السَّمْع وأبو كامل مولاه ، فاستنشدني  
\* أمِنَ المتون وريها تتوجع <sup>(٤)</sup> \*

فأشده حتى أتيت على آخرها ؛ ثم قال : يا مالك ، غنى  
ألا هل هاجك الأظعا \* ن إذ جاوزن مطلقا  
فغناه ؛ ثم قال : غنى

جلا أمية غنى كل مظلية : سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

(١) كذا في الأغاني ج ٢ ص ٦٣ وفي الأصل : « فهما أحرار إن لم تنق مائة صوت لأمرهما  
بطرحك في البئر وهما حران إن لم يعملنا أن أقطع أيديهما » .

(٢) في الأصل « قرتب » والتصحيح عن الأغاني ج ٢ ص ٦٤ وديوان المذللين .

(٣) في الأصل : « على عيدين » . والتصويب عن ديوان المذللين .

(٤) وروى « وريه » وكلاهما صحيح لأن المتون يذكر ويؤت .



فغناه؛ ثم قال : غنّى

أَلْقَى إِذْ تُودَعُنَا سُلَيْمَى<sup>(١)</sup> . يَفْرُجُ بَسَامَةً ، سُقَى الْبَسَامُ !

فغناه؛ ثم أتاه الخاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، الرجل الذى طلبت بالباب ،  
فاذن له ، فدخل شاب لم أر أحسن وجهاً منه ؛ فقال له : غنّى

وهى إذ ذاك عليها مِثْرٌ \* ولها بيتُ جَوَارٍ مِنْ لُغَبٍ

فغناه، فنبد إليه الثوبين ، ثم قال : غنّى

طاف الخيالُ فمرحَباً \* أَلْقَا برؤية زَيْنبا

فغَضِبَ مَعْبُدٌ وَقَالَ : يا أمير المؤمنين إنا مقلوبون عليك بأقدارنا وأساننا وإنك  
تركنا بمزجر الكلب وأولت على هذا الصبي ، فقال : يا أبا عباد ، ما جهلتُ قدرك

ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحنى فى مثل الطناجير من حرارة غناؤه ، قال حماد :  
فسألت عن الغلام فقيـل لى : هو أبْنُ عائِشة . وحكى عن شيخ من تَوَخَّ قال :

كنتُ صاحبَ سِترِ الوليد بن يزيد فرأيتُ أبْنَ عائِشة عنده وقد غناه

إِنِّى رأيتُ صبيحة النَّفَرِ . حُورًا نَفَّيْنَ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ

مثل الكواكب فى مطالعها \* بعدَ المشاءِ أطفنَ بالبدْرِ

ونخرجتُ أبْنى الأبرعُ عَتِيبَا \* فرجعتُ موفوراً من الوِزْرِ

فطرب الوليدُ حتى كَفَرَ وألحد ، وقال : يا غلام ، أسقنا بالسماء السابعة ، ثم قال :

أحسنَتَ والله يا أميرى ، أعد بحقِّ عبدِ نِمس فأعاد ، ثم قال : أحسنتَ يا أميرى

والله ، أعد بحقِّ أمية فأعاد ، ثم قال : أعد بحقِّ فلان حتى بلغ من الملوك نفسه ،

(١) ورد هذا الشعر هكذا بالأصول والأغاني ج ٢ ص ٦٥ ، ورواية اللسان « أذكر » بدل « ألقى »

وروى بوجه آخره مسجوباً بلرير \* أذكر يوم تصقل عارضها \*

(٢) فى الأغاني ج ٢ ص ٧٢ « الراهبة » .

فقال : أعد بحياتي فأعاده ، فقام فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله ثم نزع ثيابه فالقها عليه وبقى مجزدا إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار وحمله على بئلة وقال : أركبها بأبي أنت وأنصرف فقد تركتني على مثل المقل من حرارة غائلك ، فركبها على بساطه وأنصرف . وحكي أيضا أن ابن عائشة أنصرف من عند الوليد وقد غشاه

أبعدك مَعْقِلًا أرجو وحِصْنًا . وراضى المعائل والحصون<sup>(١)</sup>

فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كَارَةِ الْقَصَارِ كُسُوءًا ، فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى القُرَى وكان يشتهي الفناء ويشرب النبيذ ، فقال لعلامه : مَنْ هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشة المفتي ، فدنا منه فقال : جُعلتُ فِدَاكَ أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : لا ، أنا مَوْلَى لُقَيْرِشٍ وعائِشَةُ أُمِّي وحسبتُ هذا ؛ قال : وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكُسُوءِ ؟ قال : غَنَيْتُ أمير المؤمنين صوتًا فأطربه فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسُوءَ ؛ قال : جُعلتُ فِدَاكَ فهل تمنى على أن تُسمِعني ما أسمعته إياه ؟ فقال : ويلك ! أمثل يَكَلِّمُ بهذا في الطريق ! قال : فما أصعب ؟ قال : ألحفتي بالباب ، وحرك ابنُ عائشة بقلته لينقطع عنه ، فدنا معه حتى وافيا الباب كفرسي رَهَانٍ ، ودخل ابنُ عائشة فكث طويلا طمعا أن يضجّر فينصرف ، فلم يفعل حتى أعياه ، فقال لعلامه : أدخِله ، فلما دخل ، قال له : ويلك ! مِنْ أَيْنَ صَبَّكَ الله على ؟ قال : أما رجل من

(١) في الأغاني ح ٢ ص ٧٣ : « قد أعجبي » .

(٢) القَصَارُ هو الذي يحوّر الثياب ويدقها والكارة ما يحمله من الثياب . قال صاحب اللسان : وسببت

أهل وادى القرى أشتهى هذا الغناء، فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وماذا ؟ قال : ما لنا دينار وعشرة أبواب تتصرف بها إلى أهلك ، فقال له : جُعِلْتُ فداك والله إن لى بُنية ما فى أُنْدُها — علم الله — حَقَّةً من الورد فضلًا عن الذهب ، وإن لى زوجة ما عليها — شهد الله — قَبِصٌ ، ولو أعطيتى جميع ما أمرك به أمير المؤمنين على هذه الحالة والمقر الذى عرَّفَكُهما وأضعفت لى هذا لكان الصوتُ أعجبَ إلى ، فتعجبَ ابنُ عائشة وغناه الصوتُ ، فجعل يحرك رأسه ويضطرب له طربا شديدا حتى ظن أن عقه ستقصف ثم خرج من عنده ولم يرزاه شيئا ، وبلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يغيب عن الحديث ، فلم يزل به حتى صدقه الحديث ، فطلبَ الرجلَ فطلبَ حتى أحضر إليه ووصله صلة سنية وجمله من ندمائه ووكَّله بالسقى فلم يزل معه حتى قتل رحمه الله .

وعن علي بن الجهم الشاعر ، قال : حدثني رجل أن ابنَ عائشة كان واقفا بالموسم مهجرا<sup>(١)</sup> ، فتر به بعض أصحابه ، فقال : ما يُقيمك هاهنا ؟ قال : إني أعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس هاهنا فلم يذهب أحد ولم يجرى ، فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ، ثم أندفع يُفتى

بَرَّتْ سُنْعًا قَلْتُ لِمَا أَجِيزِي \* نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى اللِقَاءِ  
بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ \* أَغَانِيهِ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

قال : لحبس الناس واضطربت المحامل ومدت الإبل أعانها فكادت الفتنة أن تقع ، فأُتِيَ به هشام بن عبد الملك ، فقال له : يا عدو الله أردت أن تفتن الناس ! قال : فأمسك عنه وكان تياها ، فقال له هشام : أرفق بتيبك ، فقال : يَحِقُّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَقْدَرَتُهُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ تِيَاهَا ! فَضَحِكَ هِشَامٌ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

وَأُخْتُلِفَ فِي وَفَاةِ ابْنِ عَائِشَةَ وَسَبِيهَا ، فَقِيلَ : كَانَتْ وَفَاتِهِ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،  
 وَقِيلَ : فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَهُوَ أَشْبَهُهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ نَادِمَ الْوَلِيدَ وَغَنَاهُ ؛  
 وَالَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ تَوَفَّى فِي أَيَّامِ هِشَامٍ يُزْعَمُ أَنَّهُ نَادِمَ الْوَلِيدَ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ الْعَهْدَ .  
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِذِي خُشْبٍ وَهُوَ عَلَى أَمِيالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . قِيلَ : كَانَ سَبَبُ وَفَاتِهِ أَنَّ  
 الْقَمَرِ بْنِ يَزِيدٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا نَزَلَ قَصْرَ ذِي خُشْبٍ جَلَسَ عَلَى سَطْحِهِ ، فَتَنَّى  
 ابْنَ عَائِشَةَ صَوْتًا طَرِبَ لَهُ الْقَمَرُ ، فَقَالَ : أَعِدْهُ ، فَأَبَى ، وَكَانَ لَا يَرْتَدُّ صَوْتًا لِسوءِ خُلُقِهِ ،  
 فَأَمَرَهُ بِفُطْرِيحٍ مِنْ أَعْلَى السَّطْحِ فَاتَ . وَقِيلَ : بَلْ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَبُولُ وَهُوَ سَكَرَانُ  
 فَسَقَطَ مِنَ السَّطْحِ فَاتَ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ قَدْ رَجَعَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ فَلَمَّا  
 قَرُبَ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ بِذِي خُشْبٍ وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ الْخَزَوِيُّ وَكَانَ  
 فِي قَصْرِهِ هُنَاكَ ، فَدَعَا فَاظَمَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الشُّرْبِ أَخْرَجَ الْخَزَوِيُّ  
 جَوَارِيَهُ فَنَظَرَ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ وَهُوَ يَفْعِزُ جَارِيَةً مِنْهُنَّ ، فَقَالَ لِنَاصِدِهِ : إِذَا خَرَجَ  
 ابْنُ عَائِشَةَ يَرِيدُ حَاجَتَهُ فَأَرْمِ بِهِ مِنَ الْقَصْرِ ، وَكَانُوا يَشْرُونَ فِي سَطْحِ الْقَصْرِ ، فَلَمَّا  
 قَامَ رَمَاهُ الْخَلَامُ فَاتَ . وَقِيلَ : بَلْ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فَتَزَلَّ بِقَصْرِ ذِي خُشْبٍ فَشَرِبَ  
 فِيهِ ثُمَّ صَبَدَ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ فَنَظَرَ إِلَى نِسْوَةِ يَمِشِينَ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ :  
 هَلْ لَكُمْ فِيهِنَّ ؟ فَقَالُوا : وَكَيْفَ لَنَا بِهِنَّ ! فَلَبِسَ مُلَاعَةً مَدْلُوكَةً ثُمَّ قَامَ عَلَى شُرْفَةٍ مِنْ  
 شُرَفَاتِ الْقَصْرِ وَتَنَّى بِشَعْرِ ابْنِ أُذَيْنَةَ

وَقَدْ قَالَتْ لِلْأَرَابِ : لَهَا زُهَيْرٌ تَلَاقِيَا

تَعَالَيْنِ قَسْدَ طَابَ \* لَنَا الْعَيْشُ تَعَالِيَا

فَاقْبَلْنَ عَلَيْهِ فَطَرِبَ وَأَسْتَدَارَ فَسَقَطَ فَاتَ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ ، وَقِيلَ : بَلْ

مَاتَ بِالْمَدِينَةِ . وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ

سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ يَتَنَا . وَأَبْنَى لِقَاؤُهَا أَيْتَا

وقد قالت لأثراب \* لها زهير تلاقينا  
تعالين قد طاب \* لنا العيش تعالينا  
فاقبلن إليها مسرعات يهابينا  
إلى مثل مهابة الرمثل تكسو المجلس الزينا  
إلى خود مئمة \* خفن بها وفلينا  
تمنين<sup>(١)</sup> مناهن \* فكنا ما تمنينا

### ذكر أخبار ابن محرز

- هو مسلم، وقيل: عبد الله بن محرز، ويكنى أبا الخطاب، مولى عبد الدار بن قصى،  
وكان أبوه من سدة الكعبة وأصله من الفرس، وكان يسكن المدينة مرة ومكة مرة،  
فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزرة الميلاء ثم يرجع إلى  
مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر ثم يذهب إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غنائهم، ثم  
صار إلى الشام فتعلم ألحان الشام وأخذ غنائهم، وأسقط من ذلك ما لا يستحسن من  
غناء الفريقين ونغمهم وأخذ محاسنها، فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها  
في أشعار العرب فأتى بما لم يسمع مثله، وكان يقال له: صنّج العرب. وقيل:  
إنه أول من أخذ الغناء عن ابن مسجج، وهو أول من غنى بالرمل وما غنى قبله. وكان  
ابن محرز قليل الملابس للناس فأنحل ذلك ذكره، وأخذ أكثر غنائه جارية كانت  
لصديق له من أهل مكة كانت نالقه فأخذه الناس عنها. ومات بعلّة الجدّام، وكان  
ذلك سبب أمتناعه من معاشره الخلفاء ومخالطة الناس.

(١) في الأصل: «ميم» والتصويب من الأمانج ح ٢ ص ٧٨

(٢) في الأمانج ج ١ ص ١٥١ «الروم»

وحكى أنه رحل إلى العراق ، فلما بلغ القادسية لقيه حين فقال له : كم متك نفسك من العراق؟ قال : ألف دينار، قال : هذه خمسمائة دينار فخذها وأنصرف وأحلف ألا تعود ، ففعل ، فلما شاع ما فعل حين لأمه أصحابه ، فقال : والله لو دخل العراق ما كان لي معه خبز آكله ولا طيرحت ثم سقطت إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار ابن محرز على أكثر من هذا فأوردته والسلام .

### ذكر أخبار مالك بن أبي السمح

هو أبو الوليد مالك بن أبي السمح ، وأسم أبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي وأمه قرشية من بني غزوم ، وقيل : بل أم أبيه [منهم] ، وقيل فيه مالك بن أبي السمح بن سليمان ، وكان أبوه منقطعا إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويقيا في حجره أوصى به أبوه إليه ، وكان مالك أحول طويلا ، وأخذ الفناء عن جميلة ومعبد وعمر وأدرك الدولة العباسية ، وكان منقطعا إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور . وروى الأصمغاني بسنده إلى الورداني ، قال : كان مالك بن أبي السمح الملقب من طي فاصبتهم حطمة<sup>(٢)</sup> في بلادهم بالجليلين ، فقدمت به أمه وبأخوة له وأخوات أيتام لا شيء لهم ، وكان يسأل الناس على باب حمزة بن الزبير ، وكان معبد منقطعا إلى حمزة يكون عنده في كل يوم ، فسمع مالك غناه فأعجبه وأشتهاه ، وكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يريم موضعه<sup>(٣)</sup> ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فتضربه ، وهو مع

(١١٧)

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٤ ص ١٦٨

(٢) السة الشديدة والجذب .

(٣) أى لا يرج .

ذلك يترجم بالخان معبد فيؤذيها تنياً بغير لفظ، وجعل حمزة كلما غدا أو راح رآه ملازماً لبابه، فقال لغلّامه يوماً: أدخِلْ هذا الغلامَ إلى فادخله الغلامُ إليه، فقال له حمزة: مَنْ أَنْتَ؟ قال: غلامٌ مِنْ طيِّبِ أَصَابِنَا حَطْمَةٌ بِالْجَلِيلِينَ فَهَبْنَا إِلَيْكُمْ وَمَعِيَ أُمِّي لِي وَإِخْوَةٌ وَإِنِّي لَزِمْتُ بِأَبْكَ فَسَمِعْتُ مِنْ دَارِكَ صَوْتًا أَعْجِبَنِي وَلَزِمْتُ بِأَبْكَ مِنْ أَجْلِهِ، قال: فهل تعرف منه شيئاً؟ قال: أعرف لحنه كلّهُ ولا أعرف الشعر، قال: إن كنت صادقاً إنك لَفَهِيمٌ<sup>(١)</sup>، ودعا بمعبد فأمره أَنْ يُغْنِيَ صَوْتًا فغناه، ثم قال لسالك: هل تستطيع أَنْ تقولَه؟ قال: نعم، قال: هاتِه، فاندفع فغناه فأدّى نغمه بغير شعر يُؤدِّي مَدَّاتِهِ وَلَيَاتِهِ وَعَطَمَاتِهِ وَنَبْرَاتِهِ وَمَتَعَلَقَاتِهِ لَا يَحْرِمُ مِنْهُ حَرْفًا، فقال لمعبد: خذ هذا الغلامَ إليك وَتَرَجِّهْ فليكونَ له شَأْنٌ، قال معبد: لا أفعل ذلك، قال: لتكونَ محاسنُه منسوبة إليك وإلا عدّك إلى غيرك، فكانت محاسنُه منسوبةً إليه، فقال معبد: صدّق الأميرُ وأنا أفعل ما أمرتني به. قال حمزة لسالك: كيف مُلازمتُك لبابنا؟ قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُلْتُ فَيْكَ غَيْرَ الَّذِي أَنْتَ لَهُ مُسْتَحَقٌّ مِنَ الْبَاطِلِ، أَكُنْتُ تَرْضَى بِذَلِكَ؟ قال: لا، قال: وكذلك لَا يَسْرُكُ أَنْ تُحَدِّثَ بِمَا لَمْ تَفْعَلْ، قال: نعم، قال: فوافقه مَا سَبِعْتُ عَلَى بِأَبْكَ شَبَعَةً قَطْ، وَلَا أَتَقَلَّبْتُ إِلَى أَهْلِ مِنْهُ بِخَيْرٍ، فأمر له ولأُمّه وإِخْوَتُه بِمَنْزِلٍ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا وَكِسُوءًا وَأَمَرَ لَهُمْ بِخَادِمٍ يَحْدُمُهُمْ وَعَبْدٍ يَسْقِيهِمُ الْمَاءَ، وَأَجْلَسَ مَالِكًا مَعَهُ فِي مَجَالِسِهِ وَأَمَرَ مَعْبِدًا أَنْ يُطَارِحَهُ فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ مَهَرَ، فخرَجَ مَالِكٌ يَوْمًا فَسَمِعَ أَمْرَ أَرَاةَ تَوَجَّحَ عَلَى زِيَادَةَ الَّذِي قَتَلَهُ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ، وَالشَّعْرَ لِأَخِي زِيَادَةَ.

أبعد الذي بالتعنف نَعَفَ كُؤْيِكِب \* رَهْنَةً رَمِيسَ ذِي تَرَابٍ وَجَنَدَلٍ

(١) هكذا بالأصول والأعاني بدون ما. الجواب، ولعلها سقطت من النسخ.

(٢) في الأصول «غنى». والصحيح عن الأعاني ج ٤ ص ١٦٩

أَذْكُرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي \* وَذَلِكَ أَنِّي جَاهِدُ غَيْرُ مُؤْتَلٍ<sup>(١)</sup>  
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِزَيْدِ بْنِ مَالِكٍ \* لَنْ لَمْ أَتَجَلَّ ضَرْبَةً أَوْ أَتَجَلَّ  
وَأِلَّا أُنَلَّ تَارِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَيْرِهِ \* بَنِي عَمَتَا فَالْهَرُّ ذُو مُتَطَوِّلٍ  
أَنْتَحُمُ عَلَيْنَا كَلَّكَلُ الْحَرْبِ مَرَّةً<sup>(٢)</sup> \* فَتَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلَّكَلٍ<sup>(٣)</sup>

فَفَنَى فِي هَذَا الشَّعْرَ لَحْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا نَحَا فِيهِ نَحْوُ الْمَرْأَةِ فِي نَوْحِهَا وَرَقَّقَهُ وَأَصْلَحَهُ،  
وَالْآخَرُ نَحَا فِيهِ نَحْوُ مَعْبِدٍ فِي غَنَائِهِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حِمَزَةٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ  
غَنَاءً فِي شَعْرِ سَمِعْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يُنْشِدُونَهُ وَقَدْ أَعْجَبَنِي فَإِنْ أَذِنَ الْأَمِيرُ غَنَيْتِهِ، قَالَ:  
هَاتِ، فَفَنَى اللَّحْنَ الَّذِي نَحَا فِيهِ نَحْوَ مَعْبِدٍ، فَطَرِبَ حِمَزَةً وَقَالَ: أَحْسَلْتَ يَا غَلَامُ،  
هَذَا الْغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبِدٍ بِطَرِيقَتِهِ، قَالَ: لَا تَسْجَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، وَأَسْمَعِ مِنِّي شَيْئًا لَيْسَ  
مِنْ غَنَاءِ مَعْبِدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ، فَغَنَاءَ اللَّحْنَ الَّذِي تَنْسِبُهُ فِيهِ بَنُوحَ الْمَرْأَةِ، فَطَرِبَ حِمَزَةً حَتَّى  
أَلْقَى عَلَيْهِ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ فِيمَتِهَا مِائَتَا دِينَارٍ، وَدَخَلَ مَعْبِدٌ فَرَأَى حُلَّةَ حِمَزَةٍ عَلَى مَالِكٍ  
فَانْكَرَهَا، وَعَلِمَ حِمَزَةً بِذَلِكَ فَأَخْبَرَ مَعْبِدًا بِالسَّبَبِ وَأَمَرَ مَالِكًا فَغَنَاءَ الصَّوْتَيْنِ، فَفَضِبَ  
مَعْبِدٌ لَمَّا سَمِعَ الصَّوْتَ الْأَوَّلَ وَقَالَ: قَدْ كَرِهْتُ أَنْ أَخْذَ هَذَا الْغَلَامُ فَيَتَعَلَّمَ غَنَائِي فَيَدْعِيهِ  
لِنَفْسِهِ، فَقَالَ حِمَزَةً: لَا تَسْجَلُ وَأَسْمَعِ غَنَاءَ<sup>(٤)</sup> [صَنَعَهُ] لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغْنِيَ  
الصَّوْتَ الْآخَرَ، فَغَنَاءَ فَاطَرُوقَ مَعْبِدٍ، فَقَالَ لَهُ حِمَزَةً: وَاللَّهِ لَوْ أَتَفَرَّدَ بِهَذَا لَضَاهَاكَ ثُمَّ تَزَايَدَ  
عَلَى الْأَيَّامِ، وَكَلَّمَا كَبُرَ وَزَادَ شِغْفَ أَنْتَ وَانْتَقَصَتْ، فَلَا تُنْ يَكُونُ مَنَسُوبًا إِلَيْكَ أَجَلٌ، فَقَالَ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ مَا وَرَدَ صَاحِبُ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ «يُنِي» هَذَا الْبَيْتَ مَنَسُوبًا إِلَى أَبِي الْقَعْقَاعِ الْأَسَدِيِّ

هَكَذَا أَذْكُرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي \* وَبِقَوَايَ أَنِّي جَاهِدُ غَيْرُ مُؤْتَلٍ

(٢) فِي الْأَصُولِ «الْمَعْرُ» وَالصَّوْبُ عَنِ الْأَعْلَى ج ٤ ص ١٦٩

(٣) فِي الْأَصُولِ «سَنَخُوهَا» وَالصَّوْبُ عَنِ الْأَعْلَى ج ٤ ص ١٦٩

(٤) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَعْلَى ج ٤ ص ١٦٧



له معبد وهو مُنكر : صدق الأمير، فأمر حمزة لمعبد بخلعة من ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه، فقام مالك على رجله وقبل رأس معبد، وقال له : يا أبا عباد، أسألك ما سمعت مني؟ والله لا أغني لنفسي شيئا أبدا مادمت حيا! وإن غلبتني نفسي فنيت في شعر استحسنه لا نسبته إلا إليك، فطلب هسبا وأرض عني، فقال له معبد :

أفعل هذا وتني به؟ قال : إني والله وأزید، فكان مالك إذا غنى صوتا وسئل عنه قال : هذا لمعبد، ما غيتُ لنفسي شيئا قط، وإنما أخذُ غناء معبد فأقله إلى الأشعار وأحسنه وأزید فيه وأقص منه. وحضر مالك بن أبي السَّمح عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وابن عائشة فغَنَوْه فأمر لكل واحد منهم بالف دينار .

①١٨

وَحَكِي عَنْ أَبِي الْكَلْبِيِّ قَالَ : قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ لِمَعْبُدٍ : قَدْ آذَنِي وَلَوْلَاكَ هَذِهِ ، وَقَالَ لِابْنِ عَائِشَةَ : قَدْ آذَانِي اسْتَهْلَاكَ هَذَا ، فَأَطْلُبُ لِي رَجُلًا يَكُونُ مَذْهَبُهُ مَتَوَسِّطًا بَيْنَ مَذْهَبَيْكُمَا ، فَقَالَا لَهُ : مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ ، فَكَتَبَ فِي إِخْطَاصِهِ إِلَيْهِ وَسَائِرُ مَنْ بِالْحِجَازِ مِنَ الْمُغَنِّينَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَالِكُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ فِيمَنْ مَعَهُ نَزَلَ عَلَى الْقَمْرِ بْنِ يَزِيدَ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى الْوَلِيدِ فَغَنَاهُ فَلَمْ يُحِبِّهِ ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قَالَ لَهُ الْقَمَرُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُحِبِّهِ شَيْءٌ مِنْ غَنَائِكَ ، فَقَالَ لَهُ : جِئْتَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، أَطْلُبُ لِي الْإِذْنَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَإِنْ أُعْجِبَهُ شَيْءٌ مِمَّا أَغْنِيهِ وَإِلَّا أَنْصَرَفْتُ إِلَى بِلَادِي ، فَلَمَّا جَلَسَ الْوَلِيدُ فِي مَجْلِسِ اللَّهِو ذَكَرَهُ الْقَمَرُ لَهُ فَادْنَاهُ ، فَشَرِبَ مَالِكُ ثَلَاثَ صُرَاحِيَّاتٍ صِرْقًا ، وَدَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُوَ يَخْطُرُ فِي مِشْيَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الْمَجْلِسِ وَقَفَ وَلَمْ يُسَلِّمْ وَأَخَذَ بِحُلْقَةِ الْبَابِ ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ فَغَنَى

لَا تَعِشْ إِلَّا بِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ فَلَا تَلْعَنِي وَلَا تَلَمْ

أَبِيضُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ السَّبَّارُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

فليس يعصيك إن رَشِدْتَ ولا \* يَهْجُلُ حَقَّ الإسلام والحُرْمِ  
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكرام ولا \* يَجْهَلُ آتَى التَّرْخِصِ فِي اللَّحْمِ  
يَأْرُبُ لَيْلَ لَنَا كَاشِيَةَ السُّبُرِ وَيَوْمَ كَذَلِكَ لَمْ يَدُمْ  
نَعِمْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْعِ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ

فطرب الوليد ورفع يديه حتى بان إبطاه وقام فاعتقه ثم أخذ في ضوته ذلك فلم  
يزالوا فيه إياما، وأجزل له العطية حين أراد الانصراف، قال : ولما أتى مالك على  
قوله : أبيض كالبدر، قال الوليد

أحولُ كالقِرْدِ أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

قالوا : وكان مالك بن أبي السمع مع الوليد بن يزيد يوم قُتِلَ هو وأبْنُ عَائِشَةَ .  
قال ابن عائشة : وكان مالك من أحق الخلق، فلما قُتِلَ الوليدُ قال : أهرُبُ بنا،  
قُلْتُ وما يريدون منا؟ قال : وما يُؤْمِنُكَ أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسَيْنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا  
لِيُحَسِّنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! .

### ذكر أخبار يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شَهْرِيَّار من ولد هُرْمَز مولى لعمر بن الزبير ،  
ومنشؤه ومثله بالمدينة ، وكان أبوه قفيا فأسلمه في الديوان وكان من كتّابه ، وأخذ  
النساء عن معبد وأبن سُرَيْج وأبن عُجْرَز والفَرِيس ، وكان أكثر روايته عن معبد ، ولم  
يكن في أصحاب معبد أحد قُتِلَ منه ولا أقوم بما أَخَذَ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة  
كثيرة وشعر جيّد ، وهو أوّل من دَوَّن النِّسَاء ؛ وله كتاب في الأغاني نسبها إلى مَنْ  
غَنَى فِيهَا . ونُحِرَ إلى الشام في تجارة فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأحضره والوليد

إذ ذاك وليّ العهد . قال : فلما وصلتُ إليه سلمتُ عليه ، فأمرني بالجلوس ثم دعا بالشراب والجواري . قال يونس : فكنتنا يومنا وليتنا في أمر عجيب وغنيته فأعجب بغنائى إلى أن غنيته

إن يَيش مُصعَّبُ فتحن بخير \* قد أانا من صيشنا ما تُربى

- ثم تلبّثتُ ففعلتُ الصوتَ وأخذتُ أعتذرُ من غائى بشعرى مُصعَّب ، فضحك ثم قال : إن مصعباً قد مضى وأقطع أثره ولا عداوة بينى وبينه وإنما أريد الغناء ، فأَمِصُ الصوتَ ، فعدتُ فيه فغنيته ولم يزل يستعيده حتى أصبح فنشرب مُصطبِحا وهو يستعبدنى هذا الصوتَ ولا يتجاوزُه ، فلما مضت ثلاثة أيام قلت : جعلنى الله فذلك لى رجل تاجر خرجتُ مع تُجارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالى ، فقال : أنت تغدو غداً ، وشرب باقى ليلته وأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، فحَمَلْتُ لى وغدوتُ لى ١٠ أصحابى ، فلما اسْتَحَلَفَ بَشَتْ لى فَأَمِنْتُهُ فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

### ذكر أخبار حنين

- هو حُنينُ بنُ بلوع الحيرى ، وأختلف فى نسبه ، فقيل : هو من العباديين من نعيم وقيل : إنه من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم نبوا من طَمَمَ وجديس ، فترلوا فى بنى الحارث بن كعب فمَدَّ فيهم ، ويُمَكِّنُ أبا كعب ، وكان شاعرا مُفَنِّيا من ١٥ غول المغنين ، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام وكان نصرانيا . وعن ابن المدائنى قال : كان حُنينُ غلاما يجهل الفاكهة بالحيرة ، وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت القيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطرين ، وراوا رشاقته

(١) فى الأثنى ج ٢ ص ١٢٠ "بقوا" .

(٢) فى الأطنى ج ٢ ص ١٢٢ "بيوت القيان" .

وحسن قَدِّه وحلاوته وِخْفَةُ رُوحه أَسْتَحْلَوْه وأقام عندهم ، فكان يَسْمَعُ الغناء ويُصْنِى له حتى شَدَا منه أصواتا فاستمعهُ النَّاسُ وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت ، وأشتهر غناؤه وشهر بالغناء ومَهَّرَ فيه وبلغ فيه مبلغا كثيرا ثم رحل إلى عمرو بن داود الوادِي وإلى حَكَمِ الوادِي وأخذ منهما وغنى لنفسه ، وأستولى على الغناء في عصره وهو الذي بذل لابن مُحَرِّزِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ حتى رجع عن العراق كما قدَّمناه في أخبار ابن محرز ، وبلغ من الناس بالغناء مبلغا عظيما حتى قيل له فيما حُكِيَ : إنك تُغَنِّي منذ خمسين سنة فما تركتَ لكَرِيمٍ مالا ولا دارا ولا عقارا إلا أتيتَ عليه ، فقال : بأني أتم إنمائي أنفاسي أقسمها بين الناس أقتلوموتني أن أغلي بها الثمن .

وحكى المدائني قال : حجَّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي ، فوقف له حُتَيْنٌ بظهر الكوفة ومعه عودٌ وزامرٌ له ، فلما مرَّ به هشام عرض له فقال : مَنْ هذا؟ قيل : حُتَيْنٌ ، فأمر به هشام فحَمِلَ في حِمْلٍ على حمل وعديله زامرُه وسيرُه أمامه ففناه

أَمِنْ سَلَمَى يَظْهَرُ الكُو \* فَهِيَ الْآيَاتُ وَالطَّلَلُ

تلوح كما تلوح على \* جفون الصبيل الحلل

فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة دينار . وحكى أن خالد بن عبد الله القسري حرَّم الغناء بالعراق في أيامه ثم أذن للناس يوما في الدخول عليه عامة ، فدخل عليه حُتَيْنٌ في جملة الناس ومعه عود تحت ثيابه فقال : أصليح الله الأمير ، كانت لي صِنَاعَةٌ أعود بها على عيالي فخرمها الأمير فأضّر ذلك بي وبهم ، فقال : وما كانت

(١) هكذا بالأصول باثبات الوار . والدى في تاج العروس في مادة «ودى» وفي الاغانى ٢

صِنَاعَتُكَ ؟ فَكَشَفَ عَنْ عَوْدِهِ وَقَالَ : هَذَا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : غَنٍّ ، فَعَرَكَ  
أَوْتَارَهُ وَغَنَّى

أَيُّهَا الثَّمَامُ الْمَعِيرُ بِالْمَعْرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ  
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَشِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ  
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْتَ أَمْ مَنْ \* ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَصِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أَذِنْتُ لَكَ وَحْدَكَ خَاصَّةً ، وَلَا تُجَالِسْ سَفِيهَا وَلَا  
مُعْرِدًا ، فَكَانَ إِذَا دُعِيَ قَالَ : أَفِيكُمْ سَفِيهُ أَوْ مُعْرِدٌ ؟ فَإِذَا قَالُوا : لَا ، دَخَلَ .  
وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جندب : عاش حنين بن بلوع  
مائة سنة وصبح سنين .

- ١٠ ذكر أخبار [عبد الله أبي وهب المعروف بـ] سباط<sup>(١)</sup>
- هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسباط لقب غلب عليه ، وهو مكى مولى  
نُزَاعَةَ ، كَانَ مُقَدِّمًا فِي الْغَنَاءِ رَوَايَةً وَصَنَعَةً مُقَدِّمًا فِي الطَّرِبِ . وَهُوَ أَسَازُ ابْنِ جَامِعٍ  
وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَعَنهُ أَخْذًا ، وَأَخْذَ هُوَ عَنْ يُونُسَ الْكَاتِبِ ، وَكَانَ سِبَاطُ زَوْجَ أُمِّ  
ابْنِ جَامِعٍ ، قِيلَ : وَإِنَّمَا لُقِّبَ سِبَاطٌ بِهَذَا اللَّقْبِ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يُغَنِّي  
كَانَ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهَا \* قِيلَ الصَّبْحُ آثَارُ السِّبَاطِ<sup>(٢)</sup>
- ١٥

حُكِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَّى صَوْتًا لِسِبَاطٍ فَقَالَ ابْنُهُ إِسْحَاقُ : لِمَنْ هَذَا الْغَنَاءُ  
يَا أَبَتُ ؟ قَالَ : لِمَنْ لَوْ عَاشَ مَا وَجَدَ أَبُوكَ خَبْرًا يَا كَلَهْ ، سِبَاطُ . وَحُكِيَ أَنَّ سِبَاطًا  
مَرَّ بِأَبِي رَجِيحَانَةَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الشَّمْسِ وَعَلَيْهِ سَمَلٌ ثَوْبٌ رَفِيقٌ رَثٌ ،

①②

(١) زينة في مصر السح .

(٢) في الأمان ح ٦ ص ٧ « فيه » .

فوثب إليه أبو ريمانة المدني، وقال : بأبي أنت يا أبا وهب، غشني صوتك في شعر  
أبن جُنْدَب

فَوَادَى رَهِينٌ فِي هَوَاكُ وَمُهْجَتِي \* تَذُوبٌ وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولٌ

ففتناه إياه، فسق قيصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد بردا وجهه،  
فقال له رجل : ما أغنى عك هذا من شق قيصك ! فقال : يابن أنى إن الشعر  
الحسن من المغنى المحسب ذى الصوت المطرب أدفا للقرور من حمام مخمى ، فقال له  
رجل : أنت عندي من الذين قال الله تعالى فيهم : (فَأَرْبَحْتَ تِجَارَتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُتَبِينَ)  
فقال : بل أنا ممن قال الله تعالى فيهم : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وقد  
حكيت هذه الحكاية أيضا من طريق آخر: أنه لما غناه هذا الصوت شق قيصه  
حتى خرج منه وبق عاريا وغشي عليه واجتمع الناس حوله، وسيأط واقف يتعجب  
بما فعل، ثم أفاق فقام إليه، فقال له سياط : مالك أيضا يامشوم، أى شئ تريد؟  
قال : غشني باقه عليك ياسيدى

وَدَّعْ أُمَامَةً حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ \* إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

مِثْلُ الْقَضِيبِ تَمَآيَلَتْ أَعْطَافُهَا \* وَالرِّيحُ تُجَنِّبُ مَتْنَهَا قَتْمِيلُ

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ \* حَسَنٌ دَلَالُكَ يَا أُمِّمٌ بَجِيلُ

ففتناه، فلطم وجهه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعا، ومضى سياط وحمل  
الناس أبا ريمانة إلى الشمس، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال نحو ما تقدم، قال :  
ووجه إليه سياط بهيمص وسراويل وجبة وعمامة . وكانت وفاة سياط في أيام  
موسى الهادى، ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألك حاجة؟ قال :  
نعم لا ترّد في غنائى شيئا ولا تنقص منه، فإنما هو ثمانية عشر صوتا دعه، رأسا برأس .

- وقيل : بل كانت وفاته بغاة ، وذلك أنه دماه بمض إخوانه فاتهم ، وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزلهم بغاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه إنا دعونا أبنك لنكرمك ونسربه ونأنس بقربه فمات بغاة ، وها نحن بين يديك فاحكي ما شئت وناشدناك الله أن [لا] تعرضينا للسلطان أو تدعى علينا ما لم نفعله ، قالت : ما كنت لأفعل وقد صدقتم وهكذا مات أبوه بغاة وتوجهت معهم لخمسه إلى منزله ودفتته .

### ذكر أخبار [عيد الله بن القاسم الشهير بـ] الأبيجر<sup>(٢١)</sup>

- هو عيد الله بن القاسم بن منبه ويكنى أبا طالب ، وقيل : اسمه محمد بن القاسم ، والأبيجر لقب غلب عليه ، وهو مولى لكثانة ثم لبني ليث بن بكر ، وكان يلقب<sup>(٢٢)</sup> بالحساس ، وكان مدينا منشؤه مكة أومكيا منشؤه المدينة . قال عورك<sup>(٢٣)</sup> اللهي : لم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبيجر ، كانت حطة بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ، وكان يقف بين المازمين ويرفع عقيرته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضا . وروى الأصفهاني بسنده إلى إصحاق بن إبراهيم الموصلي قال : جلس الأبيجر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من

١٥ (١) زيادة في الأغاني ج ٦ ص ٩

(٢) زيادة في بعض النسخ .

(٣) في الأغاني ج ٣ ص ١١٥ «ضية» .

(٤) هكذا بالأصول . وفي الأغاني ج ٣ ص ١١٥ «وهو مولى لكثانة ثم لبني بكر» ، ويقال إنه

مولى لبني ليث .

التنميم فلذا عسكر جرار [قد أقبل<sup>(١)</sup>] في آخر الليل وفيه دوابٌ تُجَنَّبُ ومنها فرس  
أدُمٌ عليه مرج حليته ذهب فاندفع يُغْنِي

عرفت ديار الحلى خاليةً قفراً \* كأن بها لما توهمتها سطرًا

فلما سمعه مَنْ في القباب والمحمل أسكوا وصاح صائح : ويحك أريد الصوت !  
قال : لا والله إلا بالفرس الأدُم بَسْرَجِه وِلْجَامِه وأربعائة دينار ، وإذا الوليد بن

يزيد صاحب العسكر فنودي : أين متزك ، وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا الأجير ومترل على  
زقاق باب الجزائرين ، ففدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعائة دينار ونَحَتِ

ثياب وثني وغير ذلك ثم أتى به الوليدُ ، فأقام وراح مع أصحابه عشية التروية  
وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام . وحكى عن عمرو بن حفص بن

أم كلاب<sup>(٢)</sup> ، قال : كان الأجير ، ولانا وكان مكيًا وكان إذا قدم من مكة نزل علينا فقال  
لنا يوما : اسمعونا غناء ابن عائشكم هذا ، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار ،

فغنى ابن عائشة ، فقال الأجير : كل مملوك له حر إن غنيتُ معك إلا بنصف صوتي ،  
ثم أدخل إصبعه في شِدْقِه وغنى فسمع صوته مَنْ في السوق ، فحَمَر الناس علينا فلم

يَفْتَرِقَا حتى تَنَاسَمَا .

### ذكر أخبار أبي زيد الدَّلال

هو أبو زيد ناقد ، مدني مولى عائشة بنت سعيد بن العاص وكان مختنًا . قال  
إصحاق : لم يكن في المختنين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أغرُف من الدَّلال

قالوا : ولم يكن بعد طويس أغرُف منه ولا أكثر مَلْعًا ، وكان كثير النوادر تَزَرَّ  
الحديث ، فلذا تكلم أضحك التَّكالي وكان ضاحك السن ولم يكن يُغْنِي إلا غناء مُضْمَعًا

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٣ ص ١١٥ (٢) بالأغانى ج ٣ ص ١١٦ «الجزائريين» .

(٣) في الأغانى ج ٣ ص ١١٦ «عن عمرو بن حفص بن أبي كلاب» .



- يعنى كثير العمل . وقال أيوب بن عبيدة : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم ونفروا به ، فعلمت أن ذلك تفضيلة كانت عنده . قالوا : وكان مثبتاً بالنساء والكون معهن فكان يُطلب فلا يُقدر عليه ، وكان صحيح الغناء حسن الجزم ، قالوا : وإنما لُقّب بالدلال لشكله وحسن ظرفه ودلّه وحلاوة منطقه وحسن وجهه ، وكان مشغوقاً بمخالطة النساء يكثر وصفهن للرجال ، وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يحالسه عن الغناء بأحاديث النساء كراهةً منه للغناء ، وكان إذا غنى أجاد كما حكاه ابن الساجشون عن أبيه قال : غناني الدلال يوماً بشعر مجنون بنى عامر فلقد خفت الفتنة على نفسي ، وأستحصره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرّاً وغناه وأقام عنده شهراً ثم صرفه إلى الحجاز مُكرّماً . قال الأصمعيّ : حجّ هشام بن عبد الملك فلما قدم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشام وقّادهم يجنب دار الدلال ، فكان الشاميّ ١٠ يسمع غناء الدلال ويُصْنِئُ إليه ويصعد فوق السطح ليقرب من الصوت ثم يبعث إلى الدلال : إما أن تزورنا وإما أن تزورك ، فبعث إليه الدلال بل تزورنا ، فبعث الشاميّ ما يصلح ومضى إليه بعلامين من غلامانه كأنهما دُرّتان مكنونتان ، فغناه الدلال ، فاستحسن الشاميّ غناهما ، فقال : زدني ، قال : أو ما يكفيك ما سمعت ؟ قال : لا والله ما يكفيني ، قال : فإن لي حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تبيعي ١٥ أحد هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : اختر أيهما شئت ، فاختر أحدهما ، فقال له الشاميّ : هو لك ، فقبله منه الدلال ثم غناه ، وغنى

- دَعْنِي دَوَاجٍ مِنْ أَرِيًّا فَهَيَّجَتْ • هَوَى كَانِ قَدَمًا مِنْ فَوَادٍ طَرُوبٍ  
لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى أَنْ يَمُودَ لِي • فَتَخَفِرَ أَرْوَى عِنْدَ ذَلِكَ ذُنُوبِي  
سَبَنِي أَرِيًّا يَوْمَ نَفِثَ مُحْسِرٌ • بُوْجِهَ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ ٢٠

فقال له الشامي: أحسنت، ثم قال له: أيها الرجل الجليل إنني [إليك] حاجة<sup>(١)</sup>، قال  
الدَّلَالُ: وما هي؟ قال: أريدُ وصيفةً ولِدتُ في حِجْرٍ صالحٍ ونشأتُ في خيرٍ، جميلةٌ  
الوجه مجذولةٌ وضيئةٌ جعدةٌ في بياض مُشربةٌ حمرةً حسنةً الهامة سَبَاطَةٌ أُسيلةٌ الخد  
عذبةٌ اللسان لها شَكْلٌ يملأ العين والنفس، فقال له الدَّلَالُ: قد أصبتهَا لك، فإني عندك  
إن كُلتُكَ عليها؟ قال: غلامِي هذا، قال: إذا رأيتهَا وقبَلتهَا فالغلامُ لي؟ قال: نعم،  
قال: فأتى امرأةً كَتَنِي عن آسَمِها، فقال لها: جُعِلْتُ فِدَاكَ، نزل بقربي رجلٌ مِنْ قُوَادِ  
هشام، له ظَرْفٌ ومِخْطَاٌ وجامنٌ زائراً فَاكْرَمْتُهُ ورأيتُ معه غلامين كأنهما الشمسُ  
الطالعةُ المُنيرةُ والكواكبُ الزاهرةُ ما وقعتُ عيني على مثلهما ولا يطول لسانِي  
بوصفهما، فوهب لي أحدهما والآخَرُ عنده وإن لم يَصِرْ إلى ففَضِي ذاهبةً، قالت:  
وتريد ما ذا؟ قال: طلب مَنِي وصيفةً على صفة لا أعلمها إلا في ابْنَتِكَ، فهل لك  
أن تُريه إياها؟ قالت: وكيف لك بأن يدفعَ الغلامَ إليك إذا رآها؟ قال: إني قد  
شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع، قالت: سَأَلْتُكَ لا يعلم هذا أحدٌ، ففضي  
الدَّلَالُ وأتى بالشامي، فلما صار إلى المرأة وَضِعَ له كَرِييًى وجلس، فقالت له المرأةُ:  
أَمِنَ العرب أنت؟ قال: نعم، قالت: مِنْ أَيِّهم؟ قال: مِنْ خُرَاعَةَ، قالت: مرحباً بك  
وأهلاً! أي شيء طلبت؟ فوصف لها الصفة، قالت: قد أصبتهَا وأسرَّتْ إلى جارية  
لها فدخلت فكَتَتْ هُنَيْةً ثم خرجت، فنظرت فقالت: أخرجني، فخرجت وصيفةً  
ما رأى [الراءون] مثلها، فقالت لها: أقبل فاقْبَلْتُ، ثم قالت: أَدْرِى فَاذْبَرْتُ تَمَلًا<sup>(٢)</sup>  
العين والنفس، فإني منها شيء، إلا وضع يده عليه، فقالت له: أَتُحِبُّ أن تُؤَزَّرَها لك؟  
قال: نعم، قالت: أَتَدْرِى فضمتها الإزارَ وظهرت بحاسنها الخفية، فضرب بيده إلى

(١١٦)

(١) الزيادة عن الأغاني ج ٤ ص ٦٧

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٤ ص ٦٨

- (١)  
عجيزتها وصدرها، ثم قالت: أتعجب أن تُجرِّدَها لك؟ قال: نعم، قالت: [أى جيبتي] وَصَحِّي، فألقت الإزارَ فإذا أحسنُ خلق الله كأنها سبيكةٌ، فقالت: يا أبا العرب كيف رأيت؟ قال: منيةَ المِتمنى، قال: بِكُمْ قولين؟ قالت: ليس يومُ النظرِ يومَ البيعِ ولكن تعود غدا حتى تُبايعَكَ فلا تَصِرُفُ إلا عن رضا، فأنصرف من عندها فقال له الدَّلَالُ: أرضيت؟ قال: نعم، ما كنت أحسبُ أن مثل هذه في الدنيا وإن الصفةَ لتقصُرُ دونها ثم دفعَ إليه الغلامَ الثاني، فلما كان من الغدِ قال له الشامي: أمض بنا، فضيا حتى قرعا البابَ فاذنَ لهما، فدخلَا فسلما، فرحبتِ المرأةُ بهما ثم قالت للشامي: أعطنا ما تبدلُ، فقال: ما لها عندى ثمنٌ إلا وهى أكثرُ منه فعولى أنتِ يا أمةَ الله، قالت: بل قل أنتَ فإنا لم نُوطِئَكَ أعقابنا ونحنُ نريدُ خلافاكَ وأنتَ لما رضا، قال: ثلاثة آلاف [دينار]، قالت: والله لقبله منها خيرٌ من ثلاثة آلاف [دينار]، قال: أربعة آلاف [دينار]، قالت: غفر الله لك أعطنا أيها الرجلُ، قال: والله ما معى غيرها — ولو كان لزدتِكَ — إلا رقيقٌ ودوابٌ، قالت: ما أراك إلا صادقا، أتمدري من هذه؟ قال: تُخبريني، قالت: هذه أبتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان قم راشدا، فقال للدَّلَالُ: حَدِّثْنِي، قال: أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتَهَبُ مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال: أما هذا فَنَم، ونعربا من عندها. والدَّلَالُ أحدُ مَنْ خُصِيَ من المختئين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بمحصرهم.



## ذكر أخبار عطرّد

هو أبو هريرة <sup>(١١)</sup> عطرّد مولى الأنصار [ ثم مولى <sup>(١٢)</sup> بن عمرو بن عوف ، وقيل :  
إنه مولى مُزينة ، مدني كان ينزل قُبَاءً ، وكان جميل الوجه حسن الفناء طيب  
الصوت جَيِّد الصنعة حسن الرّئي والمروءة قعيها قارئا للقرآن ، وقيل : إنه كان  
مُعَلِّل الشهادة بالمدينة ، وأدرك دولة بني أمية وبقى إلى أول أيام الرشيد ، وكان  
يُفَنِّي مُرَجَّلًا . وحكى أبو الفرج الأصبهاني بسند رفعه قال : لما اسْتُخْلِفَ الوليدُ  
أَبْنُ يَزِيدَ كُتِبَ إلى عامله بالمدينة فأمره بإختصاص عَطْرَدُ الْمُغْنَى إليه ، ففعل ، قال  
عَطْرَدُ : فدخلتُ على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مُرَصَّصة مملوءة  
نحرا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سباحة<sup>(١٣)</sup>] ، قال : فوالله ما تركني أَسْلَمَ  
حتى قال : أَعَطْرَدُ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما زلتُ إليك مشتاقا  
يا أبا هريرة ، غَنَّى .

حَيَّ الْحَمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ \* إِذْ لَا يَلَا تُمَّ شَكْلُهَا شَكْلِي  
أَلَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتَ بِهِ \* وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيَّةِ الرَّجُلِ

(١) كذا في الأغاني ج ٣ ص ٩٦ ويؤيده ما سياتي قريبا . والذي في الأصول

«أبو مروان» .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٩٦

(٣) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٩٨

(٤) هو ما بين البصرة واليمامة .

(٥) في الأصول «بشاكل» . والتصويب عن الأغاني ج ٣ ص ٩٨ وتاج العروس ومعجم البلدان

لياقوت في مادة «عزل» .

أتى بجلك وأصل حبل \* ويريش نيك رائس نبلي  
وشمائل ما قد عليت وما \* نبحث كلاك طارقاً مثلي

قال : ففتيته إياه ، فوافقه ما أتمته حتى شق حلة وشى كانت عليه لا أدرى  
كم قيمتها ، فتجوز منها كما ولدته أمه ، وألقى نفسه في البركة ففهل منها حتى تبيت  
أنها قد نقصت نقصانا يئنا وأخرج منها وهو كالميت سُكراً ، فأُنجِعَ وَغُطِّيَ ،  
فاخذت الحلة وقت وأنصرفت إلى منزلي متعجباً من فعله ، فلما كان في غد جاءني  
رسوله في مثل الوقت فأحضرنى ، فلما دخلت عليه قال : يا عطرْدُ ، قلت : ليك  
يا أمير المؤمنين ! قال : غَنِّي

أيذهب عُسرى هكنا لم أتل به \* مجالس تشفى قرَحَ قلبى من الوجْدِ  
وقالوا تداو<sup>(١)</sup> إن في الطب راحة \* فملت نفسى بالدواء فلم يُجِدِ

ففتيته إياه فشق حلة وشى كانت تلمع عليه بالذهب احترق والله الأولى عندها  
ثم ألقى نفسه في البركة ففهل منها حتى تبيت نقصانها وأخرج كالميت سُكراً ، فألقى  
وُغُطِّيَ ونام ، وأخذت الحلة وأنصرفت ، فلما كان اليوم الثالث ، جاءني رسوله  
فدخلت إليه وهو في جهو قد أقيت سُتوره ، فكلمني من وراء الستور ، وقال : يا عطرْدُ ،  
قلت : ليك يا أمير المؤمنين ! قال : كَأْنِي بك الآن قد أتيت إلى المدينة فممت  
في مجالسها وقعدت وقلت : دطاني أمير المؤمنين فدخلت عليه فاقرَحَ على ففتيته  
فاطربته فشق ثيابه وأخذت سلبه وفعل وفعل ، ووافقه يابن الزانية إن تحركت  
شفتك بشيء مما جرى لأخبرين عتقك ، يا غلام أعطه ألف دينار ، خذها وأنصريف

(١) بالأمول والأعاني ج ٣ ص ٩٩ «تداوى» بآيات حرف العلة والقواعد تأتي بها .

إلى المدينة، قلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقييل يده ويزودنى نظرة منه وأغنيته صوتاً، قال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرف، قال عطرده : فخرجتُ من عنده وما علم الله أنى ذكرتُ شيئاً مما جرى حتى مضتُ من دولة بني هاشم مدة . ودخل عطرده على المهدي وغناه . قيل : ودخل على الرشيد وغناه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

### ذكر أخبار عمر الوادي

هو عمر بن داود بن زاذان، وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان، وأخذ الفناء عن حكم، وقيل : بل أخذ حكم عنه، وهو من أهل وادي القرى، قدم الحرم وأخذ من غناء أهله فخلق وصنع فأجاد، وكان طيب الصوت شجيماً مطرباً، وهو أول من غنى من أهل وادي القرى، وأصل الوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جداً، وكان يسميه «جامع لذناتي وعني طري»، وقيل الوليد وهو يفتيه، وكان أتر الناس به عهداً . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن أبي السمع وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص به، وفي عمر هذا يقول الوليد بن يزيد

إنما فكرتُ في عمر \* حين قال القول واختلجاً  
إنه للسنير به \* قر قد طمس السرجاً  
ويغنى الشعر ينظمه \* سيد القوم الذي قلباً  
أكل الوادي صنعه \* في كتاب الشعر فاندجاً

أراد الوليد بن يزيد بقوله سيد القوم نفسه .

### ذكر أخبار حَكَم الوادى

- هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلاقاً يَحْلِقُ رَأْسَ الوليد، فاشتراه فأعتقه، وكان حَكَم طويلاً أحول يُكْرِى الجمالَ ينقل [عليها] الزيت من الشام إلى المدينة، وقيل : كان أصله من الفرس. وكان واحدَ عصره في الحديق وكان يُغْنِي بالثف ويغْنِي مَرْتَجِلاً. وعمر عمرًا طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشطر من خلافة، وأخذ الغناء عن عُمَرَ الوادى، وقد قيل : إن عُمَرَ أخذ عنه . قال حاد بن إسحاق : قال لى أبى : أربعة بلغت في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قصر عنه غيره : «معيد» في الثقل، و «ابن مريح» في الرمل، «وحَكَم» في المَرْج، « وإبراهيم » في الماخورى . قال أبو الفرج الأصفهاني : وزار حَكَم الوادى الرشيد فبَرِه ووصله بثلاثة ألف درهم ، ١٠ وخيره فممن يكتب له بها عليه . فقال : أكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي . وكان إبراهيم إذ ذاك عاملًا له بالشام . فقدم عليه حَكَم بكتاب الرشيد فأعطاه ما كتب له به ، ووصله بمثل ذلك إلا أنه قصَّصه ألف درهم من الثلاثة ألف ، وقال له . لا أصلك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدي : وأقام عندي ثلاثين يوما أخذت عنه فيها ثمانية صوت ، كل صوت أحب إلى من الثلاثة ألف التي وهبتها له . وقيل : إنه لم يشتهر بالغناء حتى صار إلى بنى العباس فاقطع إلى محمد ابن أبي العباس وذلك في خلافة المنصور ، فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه، وكان يقال : إنه أهزجُ الناس، ويقال : إنه غنى الأهرجاج في آخر عمره، فلامه أبنته على ذلك، وقال : أبعد الكبير تُغْنِي غِنَاءَ المَحْتَنِينَ ! فقال له : آسكت فأنك جاهل، غنيتُ [الثقل] ستين سنة فلم أنل إلا القوتَ وغنيتُ الأهرجاج منذ ستين ٢٠ فَكَيْفَ تَكُ مالم تَرَمْطَلَه قَطْ ، والله أعلم .

(١) كذا في الأعاني ج ٦ ص ٦٤ وفي الأصل «علاما» . (٢) الزيادة عن الأعاني ج ٦ ص ٦٦٦

## ذكر أخبار [إسماعيل<sup>(١)</sup>] بن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة  
 ابن صبيحة بن سهم بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، قالوا : وكان ابن جامع من  
 أحفظ خلق الله لكاتب الله تعالى، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي  
 الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس فلا يصلي الناس الجمعة حتى ينتم القرآن  
 ثم يتصرف إلى منزله، وكان حسن السميت كثير الصلاة، وكان يعم بعمامة سوداء  
 على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مرسياً في زى أهل الحجاز. وروى  
 عنه أنه قال : لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركْتُ المغنين لا ياكلون  
 الخبز. قال ابن جامع : أخذت من الرشيد بيتين غنيتُ إياهما عشرة آلاف دينار.  
 قالوا : وكان إبراهيم بن المهدي يفضل ابن جامع فلا يقدم عليه أحداً. قال : وكان  
 ابن جامع متقطعاً إلى موسى الهادي في أيام أبيه، فضربه المهدي وطرده، فلما مات  
 المهدي بعث الفضل بن الربيع إلى مكة فاحضر ابن جامع في قبة ولم يعلم به أحد  
 فذكره موسى الهادي ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع،  
 وقد عرقم موقعه مني ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين  
 وأحضره إليه، فوصل الفضل في تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

وحكى أنه دخل على الهادي فغناه فلم يجبه، فقال له الفضل : تركت الخفيف  
 وغنيت الثقيل، قال : فادخلني عليه أخرى فادخله، فغناه الخفيف، فأعطاه ثلاثين  
 ألف دينار. قال أحمد بن يحيى المكي : كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا

(١) زيادة في إحدى النسخ .

(٢) في الأصول «مرسا» والتصويب عن الأغان ح ٦ ص ٦٩، والمريسي نسبة إلى مريس وهي  
 أدنى بلاد النوبة التي تلي أرض أسوان وهي معروفة بجودة الخمر .



حَزَنَ، وأحبَّ الرشيدُ أن يسمع ذلك، فقال للفضل بن الربيع : أبعث بخريطة فيها نبيُّ أمِّ ابنِ جامع وكانَ برًّا بآمنه ففعل، فقال الرشيد : يابن جامع في هذه الخريطة نبيُّ أمِّك، فاندفع ابن جامع بغنيَّ تلك الحُرقة والحزن الذي في قلبه  
 كَمِ بِالْأَرْوَبِ وَأَرْضِ السَّنَدِ مَنْ قَدَّمَ \* وَمَنْ جَمَّاجِمٍ صَرَعَى مَا بِهَا قُبُرُوا<sup>(١)</sup>  
 بِقَنْدَهَارٍ وَمَنْ تَكْتَبُ مَنِيَّتَهُ \* بِقَنْدَهَارٍ يَرْجَمُ دُونَهُ الْخَبَرُ<sup>(٢)</sup>  
 قال : فوالله ما مدَّكَنا أنفسنا، ورأيت الغلمان يصربون برعوسهم الحيطانَ والأساطينَ، وأمر له الرشيد بعشرة آلاف دينار .

وروى أبو العرج بسنده إلى عبد الله بن علي بن عيسى بن مَاهَانَ قال : سمعتُ يزيدَ يُحَدِّثُ عن أمِّ جعفر أنه بلغها أن الرشيد جالسٌ وحده وليس معه أحد من السَّدَاءِ ولا المسامرينَ، فأرسلتُ إليه : يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذ ثلاث ١٠ وهذا اليوم الرابع، فأرسل إليها : عدى ابنُ جامع، فأرسلتُ إليه : أنت تعلم أني لا أتناها بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشْرَكَنِي فيه، ما كان عليك أن أَشْرَكَكَ في هذا الذي أنت فيه ! فأرسل إليها : إني صائر إليك الساعة، ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال للخدام : امضِ إليها وأعلمها أني قد جئتُ . وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجه إليها : إن معي ابن جامع ١٥ فعدلتُ إلى بعض المقاصير، وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يُسَمَّعُ منه فيها، ثم أمر ابن جامع فاندفع يُغَيِّ  
 مَا رَعَدَتْ رَعْدَةٌ وَلَا بَرَقَتْ : لَكُنْهَا أَنْشَأَتْ لَنَا خُلُقَةً

(١) ورد هذا البيت في معجم البلدان لياقوت عند الكلام على «قَنْدَهَار» هكذا :

كَمِ بِالْأَرْوَبِ وَأَرْضِ الْهِنْدِ مَنْ قَدَّمَ \* وَمَنْ سَرَّابِلٍ قَتَلَ لِيَهُمْ قُبُرُوا ٢٠

(٢) جاء في معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتح .

الماء يجرى ولا نظام له \* لو يحد الماء غرقاً خرقة  
بنشأ وباتت على نمارقها \* حتى بدا الصبح عنها أرقه  
أن قبل إن الرجل بعد غد \* والدار بعد الجمع مفترقه

فقلت أم جعفر الرشيد : ما أحسن ما أشتيت والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت  
لمسلم خادمها : أدفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم ، فقال الرشيد : غلبتنا  
يابنة أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجلبتنا ، فلما خرج حل الرشيد إليها  
مكأن كل درهم دينار .

### ذكر أخبار عمرو بن أبي الككث<sup>(١)</sup>

(١٢٥)

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أبو عثمان ، وقيل : أبو معاذ عمرو بن أبي الككث  
مولى بنى جامع ، وهو مكي مَنَّ حسن الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه ، وفيه  
يقول الشاعر

أحسن الناس فاعلموه غاء \* رجُلٌ من بنى أبي الككث .

قال محمد بن عبد الله بن فروة : قلت لإسماعيل بن جامع يوما : هل غلبك أحد  
من المغنَّين قط ؟ قال : نعم ، كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسول أمير المؤمنين هارون  
الرشيد فأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرتُ إلى الدار فإذا أنا بالفضل بن الربيع  
ومعه زلزل العواد وبرصوما ، فسلمتُ وجلستُ يسيرا ، فطلع خادم فقال للفضل :  
هل جاء ؟ قال : لا ، قال : فابعت إليه ، ولم يزل المغنون يدخلون واحدا واحدا حتى

(١) في الأناج ٦ ص ٧٧ « على » .

(٢) في الأصول « الككث » بالهاء بدل النون وهكذا ورد في هذا الفصل كله ، والمثبت ها هو ما ورد

في الأناج ١٨ ص ١٢٦ وما بعدها إلى آخره .

كَأَسْتَهْ أَوْ سَبْعَةً، ثُمَّ طَلَعَ الْخَادِمُ فَقَالَ : هَلْ جَاءَ ؟ فَقَالَ : لَا، فَقَالَ : قُمْ فَابْتَثْ فِي طَلْبِهِ، فَقَامَ فَغَابَ غَيْرَ طَوِيلٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ بِعَمْرٍو بْنِ أَبِي الْكَثَّاتِ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي، فَقَالَ لِي : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قُلْتُ : مُغْتَنُونَ هَذَا «زَلْزَلٌ» وَهَذَا «بَرْصُومًا» فَقَالَ : لِأُغْنِيَنَّكَ غَنَاءً يَحْرِقُ هَذَا السَّقْفَ وَيُجَيِّبُهُ الْخِطَاطُ، ثُمَّ طَلَعَ الْخَصِيَّ فَدَعَا بِكَرَاسِيٍّ، وَنَجَرَ الْجَوَارِي فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ الْخَادِمُ : شُدُّوا فَشَدُّوا عِيدَانَهُمْ ثُمَّ قَالَ : يُغْنِيَّ أَبْنُ جَامِعٍ، فَغَنَيْتُ سَبْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةَ أَصْوَاتٍ، قَالَ : أَسْكُتْ، وَلِيغْنِ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيَّ، فَغَنَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ ثُمَّ سَكَتَ، وَغَنَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى فَرَّغُوا، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي الْكَثَّاتِ : غَنِّ، فَقَالَ لَزَلْزَلٌ : شُدُّ طَبَقَتِكَ فَشَدَّ ثُمَّ قَالَ لَهُ : شُدُّ فَشَدَّ، ثُمَّ أَخَذَ الْعُودَ مِنْ يَدِهِ بَخْسَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِيدُهُ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى هَذَا، وَأَبْتَدَأَ الصَّوْتِ الَّذِي أَوَّلُهُ «أَلَا لَا» فَوَاقَهُ فَقَدْ خُبِلَ إِلَى أَنْ الْحَيَّاطَانِ تُجَاوَبُهُ ثُمَّ رَجَعَ النِّغْمَةُ فِيهِ فَطَلَعَ الْخَصِيَّ فَقَالَ : أَسْكُتْ لَا تَتِمَّ الصَّوْتُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قَالَ : يَجْلِسُ عَمْرٍو ابْنُ أَبِي الْكَثَّاتِ وَيَنْصَرِفُ سَائِرُ الْمُغَنِّينَ، فَقُمْنَا بِأَسْوَأِ حَالٍ وَأَكْثَفِ بَالٍ، وَلَا وَاقَهُ مَا زَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَتَا يَسْأَلُ صَاحِبَهُ عَنْ كُلِّ مَا يَرُويهِ مِنَ الْغَنَاءِ الَّذِي أَوَّلُهُ «أَلَا لَا» طَمَعًا فِي أَنْ يَعْرِفَهُ وَأَنْ يَوَافِقَ غَنَاءَهُ فَمَا عَرَفَهُ مَتَا أَحَدٌ، وَبَاتَ عَمْرٍو عِنْدَ الرَّشِيدِ لَيْلَتَهُ وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ بِجَوَائِزٍ وَصِلَاتٍ وَطُرْفٍ سَدِيَّةٍ . وَقَالَ هُوسَى بْنُ أَبِي الْمُهَاجِرِ : نَجَرَ ابْنُ جَامِعٍ وَأَبْنُ أَبِي الْكَثَّاتِ حِينَ دَفَعَ الْإِمَامُ مِنْ عَرَفَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَ الْمَازِمِينَ جَلَسَ عَمْرٍو عَلَى طَرَفِ الْجَبَلِ ثُمَّ أَدْفَعَ يُغْنِي، فَركب الناس بعضهم بعضًا حَتَّى صَاحُوا بِهِ وَاسْتَغَاثُوا : يَا هَذَا، اللَّهُ اللَّهُ ! أَسْكُتْ عَنَّا يَمُزِّجُ النَّاسُ، فَضَبْطَ ابْنُ جَامِعٍ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ حَتَّى مَضَى النَّاسُ إِلَى مُرْدَلَفَةٍ .

قال علي بن الجهم : حدثني من أتى به قال : واقفتُ ابنَ أبي الككات على جسر بغداد أيام الرشيد ، فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنه وقف في الموسم في أيام هشام ، فزبه بعض أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب منهم أحدٌ ولم يمض ، فقلت له : من هذا الرجل ؟ قال : أنا ثم أندفع ففتني ، فحبس الناس فاضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها ، فقال ابن أبي الككات وكان مُعجِباً بنفسه : أنا أفعل كما فعل وقد رقي على القلوب أكثر من قدرته ثم أندفع ففتني الصوت الذي غنى فيه ابن عائشة وهو

بَرَّتْ سُنْعًا قُلْتُ لَهَا أُجِيرِي \* نَوَى مَشْمُولَةٌ فَتَى اللَّقَاءُ

بنفسى مَنْ تَذَكَّرُهُ سَقَامٌ \* أَعْلَجُهُ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

قال : ففتناه وكنا إذ ذاك على جسر بغداد ، وكان على دجلة ثلاثة جُصور ، فاقطعت الطرق وامتلات الجصور بالناس فازدحوا عليها واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لتقل من عليها من الناس ، فأخذ فأتى به الرشيد ، فقال له : يا عدو الله أردت أن تفتن الناس ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام فأحببت أن يكون في أيامك مثله ، فأعجبته ذلك وأمر له ببال وأمره أن يغني فغنى ، فسمع شيئاً لم يسمع مثله فأحبسه عنده شهراً يستريده ، وكل يوم يُستأذن له في الانصراف فلا يأذن له حتى تم شهراً وأنصرف بأموال جسيمة . وقال عثمان بن موسى : كنا على شراب يوماً ومعنا عمرو بن أبي الككات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : من تحبون أن يحييكم ؟ قلنا : منصور المجبى ، فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فكنتنا ساعة ثم أندفع فغنى

٥

١٠

١٥

٢٠

أَحْسَنُ النَّاسِ فَأَعْلَمُوهُ غَنَاءً \* رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَثَّانِ  
عَفَّتِ الدَّارُ فَالْهَضَابُ اللَّوَاتِي \* <sup>(١)</sup> بَيْنَ نَوْرٍ فَكُنْتُ عَرَافَاتِ

فلم نلبث أن رأينا منصورا من بعد قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلْتُ له : من أين عَلِمْتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صرْتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال . وقال يحيى بن يعلى بن سعيد : بينا أنا ليلة في متري في الرَّمْضَةِ بأسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكَثَّانِ كأنه معي ، فأمرتُ الفُضْلَامَ فأُسرَجَ لي دابتي وخرجتُ أريده فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالسا على الكُتَيْبِ العارض ببطن عرفة يُغَيِّ خُذِي الْعَفْوَمَيَّ تَسْتَدِيعِي مَوْدِي \* وَلَا تَطْلُقِي فِي سَوْرِي حِينَ أَعْصَبُ وَلَا تَتَغَيَّرِي تَقَرَّةَ النَّفِّ مَرَّةً \* فَإِنَّكَ لَا تَعْدِينَ كَيْفَ الْمُنْجَبِ ١٠  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَنْهَبُ

### ذكر أخبار أبي المهنا مُحَارِق

هو أبو المهنا مُحَارِق بن يحيى بن نائوس الجزار مولى الرشيد ، وقيل : بل نائوس لَقَّبَ أبيه يحيى وإنما لَقَّبَ بنائوس لأنه باع رجلا أنه يعصى إلى نائوس الكوفة فبطخ فيه قِدْرًا بالليل حتى يَنْضَجَ ، فطرح رهنه بذلك ؛ فَدَسَ الرجل الذي راحته رجلا فالتى نفسه في النائوس بين الموتى ، فلما فرغ نائوس من الطبخ مَدَّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطمعني ، فغرف بالمِغْرَفَةِ من المِرْقَةِ وصَبَّهَا في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمِغْرَفَةِ وقال له : أصبر حتى نُطْعَمَ الْأَحْيَاءُ أَوَّلًا ثم تَتَغَيَّرُ الْوُتَى ، فَلَقَّبَ نَائُوسًا

(١) في الأغانى ج ١٨ ص ١٢٧ \* بسوار فلتق عَرَافَاتِ

٢٠ ونور جبل مكة فيه البار الذي احتفى فيه النبي صل الله عليه وسلم ، وأما سَوَادُ فبن قري البحرين أظن يا قوت ج ١ ص ٩٣٨ و ج ٢ ص ١٨٠

- ذلك . قال : وكان غارق لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات المتفهمات في الضرب . نشأ غارق بالمدينة ، وقيل : كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزارا مملوكا وكان غارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاه طرقا من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعطاه ، وقيل : اشتراه إبراهيم من مولاه بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم ، قال : ولما اشتراه قال له الفضل ابن يحيى : ما خبر غلام بلغني أنك اشتريته ؟ فقال : هو ما بلغك ، قال : فأرنيه ، فأحضره ، ففتى بين يديه ، فقال له : ما أرى فيه الذي رأيت ، قال : أنت تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعة واحدة ، فقال : بكم تبيعه ؟ قال : اشتريته بثلاثين ألف درهم ، وهو حر لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار ، فغضب الفضل وقال : إنما أردت ألا تبعه أو تجعله سببا لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، فقال إبراهيم : أنا أصنع بك خصلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه [وأعلمه<sup>(١)</sup>] ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال وإلا بعته بعد وكان الربح بيني وبينك ، فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه وغضب ، فقال إبراهيم له : فانا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك ، وغدا إبراهيم على الرشيد فقال له : يا إبراهيم ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا الحجم مثله ! ولا يكون مثله أبدا ، قال : فوجهه إلى الفضل يأمره بإحضاره ، فوجه به إليه ففتى بين يديه فقال له : كم يساوي ؟ قال إبراهيم : يساوي

نَرَجَّ مصرَ وِضْيَاعَهَا، قال : ويحك ! أتكدرى ما تقول ! مبلغ هذا المال كذا وكذا، قال : وما مقدار هذا المال في غلام لم يملك أحد مثله قط ! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد عَرَفْتُ يميني أني لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا، فقال مسرور : فانا أمضى إلى الفضل فأستوجهه منه فإذا كان عندي فهو عندك، فقال له : شأئك ، فضى مسرور إلى الفضل وأستوجهه منه، فوجهه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذي أهداه للرشيد ، فأمره الرشيد بتعليمه فعله حتى بلغ ما بلغه . قال : وكان غمارق يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويُنْثَى وهو واقف، ففتى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد

كَأَنَّ نِيرَانًا فِي جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ \* مُصْبَغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَّارٍ<sup>(١)</sup>

هَوَتْ هِرَقْلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا \* جَوَانِمًا تَرْمِي بِالنَّقْطِ وَالنَّارِ<sup>(٢)</sup>

فطرب الرشيد وأستعاده مرارا ، وهو شعر مُدَح به الرشيد في فتح هرقله ، فأقبل الرشيد على ابن جامع دون غيره ، فغمز غمارق إبراهيم بعينه وهدمه إلى الخلاه ، فلما جاء قال له : مالي أراك منكسرا ؟ فقال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ! فقال غمارق : قد واقه أخذه فقال : ويحك ! إنه الرشيد، وابن جامع من تعلم ، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غايته وإلا فهو الموت ، فقال : دعني وخلّك ذم وعرفته أني أغنى به ، فإن أحسنت فإليك ينسب وإن أسأت فإلى يعود ، فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين أراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر ما يستوجه ! فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع

(١) في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٢ « نيرانا » .

(٢) القصص والقصص : المورثات .

(٣) في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٣ « حوائجا » .

ما شاء ، قال : أو لأبى جامع هو؟ قال : نعم ، كذا ذكره ، قال : فإن عبدك مخارقا  
يفنيه ، فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين قال : هاته ، فغناه وتحفظ  
فيه فأتى بالعجائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ثم أقبل على أبى جامع فقال :  
ويلك ! ما هذا ؟ فابتدأ يحلف بالطلاق وكل مُحَرَجَة إنه لم يسمع ذلك الصوت قط  
من غيره وإنه صنعه وإنها حيلة جرت عليه ، فأقبل على إبراهيم وقال : أصدقتني  
بجباتي ، فصَدَّقَه عن قصة مخارق فقال لمخارق : أجلس إذا مع أصحابك فقد تجاوزت  
مرتبة من يقوم ، وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعته ضيعة ومثلا .

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن هارون بن مخارق ، قال : كان أبى إذا  
غنى هذا الصوت

يَا رَجَّ سَأَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا \* زِدْتَ الْفُؤَادَ عَلَى عِلَالَتِهِ وَصَبَاً  
رَجَّ تَبْذُلُ مِنْ كَانِ يَسْكُنُهُ \* غُفَرَ الْقُبَاءَ وَطَلَمَانَا بِهِ عُصْبَاً

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت فقلت له : كيف يا أبت ؟ فقال : غنيته مولاي  
الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فسلني حاجتك  
فقلت : تُعْتَقْنِي يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ، فقال : أنت حر لوجه الله تعالى ،  
فأعد الصوت فأعدته ، فبكى وشرب رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فسلني حاجتك  
فقلت : ضيعة تقيمني غلثها ، فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى  
وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر لي بمثل وفرس وخادم  
فقال : ذلك لك ، أعد الصوت فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقبلت الأرض  
بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيلَ الله بقاءك ويُدِيمَ عزك ويُجْعَلَ من كل سوء  
فدماك ، فأنامولى هذا الصوت بعد مولاي .



وروى أيضا عن الحسين بن الضحاک عن مخارق أن الرشيد قال يوما للمغنين وهو مُصْطَبِحٌ : مَنْ مِنْكُمْ يُغْنِي

\* ياربِ نبلى لقد هيَّجْتَ لى طربا \*

فقلت : أنا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هاته ، فغَنَيْتَهُ فطرب وشرب ثم قال : على بَهْرَمَةِ ، فقلت فى نفسى : ماذا يريد منه ! فجاء هَرَمَّةٌ فقال له : مخارق الشارى • الذى قتلناه بنواحى الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهتأ فقال : آنصرف ، فآنصرف ثم أقبل الرشيد على فقال : قد كُنَيْتَكَ أبا المهتأ لإحسانك ، وأمر لى بمائة ألف درهم فآنصرفت بها وبالكنية •

قال أبو عبد الله بن حمدون كما عند الواثق وأمه عذيلة ، فلما صلبى المغرب دخل إليها وأمر آلأ نبرح بخلصنا فى صحن الدار ، وكانت ليلةً مُقَمَّرَةً وأبطل الواثق علينا ، فاندفع مخارق يغنى فاجتمع علينا الغلمان ، ونرج الواثق فصاح : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ومشى فى المجلس الى أن توسط الدار ، فلما رأيته بادرت إليه فقال لى : ويلك ! هل حدث فى دارى شئ ؟ فقلت : لا ياسيدى ، قال : فما بالى أصبح فلا أجاب ؟ فقلت : مخارق يغنى والغلمان قد اجتمعوا اليه فليس فيهم فضل لسماع غير ما يسمعون ؛ فقال : عذر والله لهم يا بن حمدون وأى عذر ! ثم جلس وجلسنا بين يديه الى السحر • وقد روى نحو هذه الحكاية فى أمر الغلمان مع مخارق عند المعتصم • وقال محمد بن عبد الملك الزيات : قال لى الواثق : ما غنأتى مخارق قط إلا قدرت أنه من قلبى خلق • وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه ؟ انظروا الى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السباط فكانوا يتفقدونهم وهم وقوفٌ فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا وهو واقف مكانه ضابطٌ لنفسه ،

فإذا تفتى غارق خرجوا عن صُورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسباب  
الطرب فيهم وأزدحموا على الجبل الذي يقفون من ورائه .

وحكى أنه خرج مرة إلى باب الكُتاسة بمدينة السلام والناس يرحلون إلى مكة،  
فنظر إلى كثرتهم وأزدحامهم فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء في الخبر أن

أبن سُرَيْج كان يفتى في أيام الحج والناس يشون فيستوقفهم ببنائه واستوقف لكم  
هؤلاء الناس وأستلهمهم جميعا لتعلموا أنه لم يكن ليفضلني إلا بصنعة دون صوته؛

ثم أندفع يؤذّن ، فاستوقف أولئك الخلق وأستلهمهم حتى جعلت المحامل يفتى  
بعضها بعضا . قالوا : وجاء أبو العتاهية إلى باب غارق وطرقه، فخرج إليه فقال له :

يا حسان هذا الإقليم ، يا حكيم أرض بابل ، أصيب في أذني شيئا يفرح به قلبي وتنتم  
به نفسي — وكان في جماعة منهم محمد بن سعيد اليزيدي — فقال : آتولوا ، فزلوا ،

(١٦٨)

فنتاهم ؛ فقال محمد بن سعيد : فكدت أسعى على وجهي طربا ، قال : وجعل أبو العتاهية  
يبيكي ثم قال : يا دواء المجانين لقد رقت حتى كدت أن أحسوك ، فلو كان الغناء  
طعاما لكان غناؤك أدما ولو كان شربا لكان ماء الحياة .

وقال أبو الفرج عن عمر بن شبة قال : حدثني بعض آل نُوبخت قال : كان  
أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نُوبخت وغيرهم وقفا بكُتاسة الدواب

في الجانب الغربي يبنّون ويتحدثون وإنهم لكنك إذ أقبل غارق على حمار أسود وعليه  
قبص رقيق ورياء مسموم ؛ فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه ؛ فقال : دعونا من وسواسكم

هذا ، أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيت وجهي  
وغثيت صوتا فلم يبق أحد بهذه الكُتاسة ولا في الطريق من مُشترٍ ولا بائع ولا صاير

ولا وارِد إلا ترك عمله وقرب مني وأتبع صوتي ؟ فقال عبد الله : إني لأحب أن أرى  
هذا ، فقل ما شئت ؛ فقال غارق : فرسك الأشقر الذي طلبته منك فمتعتني به ، قال :

هولك إن فعلت ما قلت، قال: فرمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه ثم أندفع يغنى  
بشعر أبي العتاهية

نادت بوشك رجلك الأيام \* أفلست تسمع أم بك استصمام  
ومضى أمامك من رأيت وأنت للتباقيين حتى يلحقوك أمام  
مالى أراك كأن عينك لا ترى \* عبراً تمر كأنهن سبام  
تمضى الخطوب وأنت متنبه لها \* فإذا مضت فكانها أحلام

قال : فرأيت الناس يأتون الى المقبرة أرسالا بين راكب وراجل وصاحب شغل  
ومازى الطريق حتى لم يبق أحد، ثم قال لنا من تحت رداءه : هل بقى أحد؟ قلنا :  
لا، وقد وجب الرهن، فقام فركب حماره، وعاد الناس إلى صنائعهم وقال لعبد الله :  
أحضير العرس، قال : على أن تُقيم عندي، قال : نعم، فسلم الفرس إليه وبرزه وأحسن  
رفسه .

وروي عن يحيى المكي قال : خرج مخارق مع بعض إخوانه الى بعض المتنزهات،  
فنظر الى قوس مذهبة مع بعض من خرج معه، فسأله إياها، وكأنت المسئول ضن  
بها، وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرايت إن تفتت صوتا  
فمعلقت على<sup>(١)</sup> به خدود هذه الظباء أندفع إلى القوس؟ قال : نعم، فاندفع يغنى

ماذا تقول الظباء \* أفرقة أم لقاء  
أم عهدنا بسليمي \* وفي البيان شفاء  
مرت بناسائحات \* وقد دنا الإمساء  
فاأحارث جوابا \* وطال فيها العناء

قال : فمطفتِ الظباء راجعةً إليه حتى وقفت بالقرب منه تنظر إليه مُصْبِغَةً إلى صوته ، فمِجِب مَنْ حضر من رجوعها ووقوفها وتاوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء [فعاودت الظباء قَارَها ومضت راجعةً على سنتها<sup>(١)</sup> ] .

وَرُوي عن إسماعيل بن إبراهيم قال : دخلت على أبي وهو جالس بين باين له ومخارق بين يديه وهو يغنيه

يا رَجَ بِشْرَةَ إن أَضْرَبَكَ اليل \* فلقَدْ رأيتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قال : فرأيت أبي ودموعه تجري على خديه من أَرْبَعَةٍ أما كُنْ وهو يَنْشِجُ أَرْ نَشِيج ، فلما رَأَى قال : يا إسماعيل ، هدا والله صاحب اللواء غدا إن مات أبوك .

وروي عن مخارق قال : رأيت وأنا حَدَّثُ كَأَن شَيْخًا جالسا على سرر في روضة حسنة ، فدعاني فقال لي : غَنِّ يا مخارق فقلت : أصوتا تَهْتَرِجه أو ما حضر؟ فقال : ما حضر ، فغَنَيْتُهُ

دَعَى القلبَ لَا يَزِدُّ خيالًا مع الذي \* به مِنْكَ أو داوَى جَوَاهُ المَكَمَّا  
وليس بترويق اللسان وصَوْغُهُ \* وَلَكِنَّهُ قد خالط الحُجْمَ والدَمَا

فقال لي : أَحَسَنْتَ يا مخارق ، ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلقه على المضرب ودفعه إلى بفعل المضرب يطول ويقلظ والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضرب كالرَّجِ والوتر كالعذبة [عليه<sup>(٢)</sup>] وصار في يدي علما ثم آتَيْتُ فحَدَّثْتُ برؤياي إبراهيم الموصلي فقال لي : الشيخُ بلا شك إبليس ، وقد عقد لواء صنعتك فانتَ ما حِيتَ رئيسُ أهلها .

(١) الزيادة عن الأغانى ج ٢١ ص ٢٣٧

(٢) الزيادة عن الأغانى ج ٢١ ص ٢٣٣

- وقال أحمد بن حمدون : غَضِبَ المعتصم على غمارق فأمر أن يُجْعَلَ في المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب، فَأَذْنَتِ العَصْرُ، فدخل إلى السَّتر حيث يقف المؤذن للسلام، ثم رفع صوته جُهدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحلك الله، فبكى حتى جرت دموعه وبكى كلُّ من حصر ثم قال: أدخلوه عليّ، وأقبل علينا ثم قال: سمعتم هكنا قط؟ هذا الشيطان لا يترك أحداً يفضب عليه! فدخل إليه فقبل الأرض بين يديه؛ فدعاه المعتصم إليه فأعطاه يده فقبلها وأمر بإحضار عوده فأحضر وأغله إلى مرتبته. وأخبره كثيرة، وفيها أوردناه منها كفاية. وكانت وفاته في أول خلافة المتوكل، وقيل: بل في آخر خلافة الواثق. وغنى خمسة من الخلفاء: الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق رحمهم الله تعالى.

١٠

### ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكي

- هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكي مولى بني أمية وكان يكرم ذلك لخدمته لخلفاء من بني العباس؛ وكان إذا سُئِلَ عن ولاته أتى إلى قریش، ولم يذكر البطن الذي ولاؤه له ويستغنى مَنْ يسأله عن ذلك. قال الأصفهاني: وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة وأصاب بالفناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر، وكان قدم مع المجازين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته فبقى بالعراق؛ وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلي وطَّحَ فزعون إليه في الفناء القديم فآخذونه عنه، ويَعَانِي بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه، فإذا خرجت لهم

٢٠

(١) كذا في الأغانى ج ٢١ ص ٢٤٥، وفي الأصل «أحصره».

(٢) في الأغانى ج ٦ ص ١٧ «بما يأخذونه ويحرب به على أصحابه».

الجوائز أخذوه منها ووفروا نصيبه . وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة . قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجناسها كبير جليل مشهور إلا أنه كالطروح عند الرواة لكثرة تخطئه في رواياته . والعمل على كتاب ابنه أحمد فإنه صحح كثيرا مما أفسده وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه ، وحقق ما نسب من الأغاني إلى صانعه ، قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت . قال أحمد بن سعيد : كانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد . وسئل ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذي سمع عندي منها ألف صوت وثلاثة صوت ، منها مائة وسبعون صوتا ، غلب<sup>(٢)</sup> فيها على الناس جميعا من تقدم منهم و<sup>(٣)</sup> [ من ] تأخر فلم يبق له أحد فيها . قال أحمد ابن يحيى قال لي إسحاق : يا أبا جعفر ، لأبيك مائة وسبعون صوتا من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابع ، والله أعلم .

### ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين<sup>(٤)</sup>

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي وكان يلقب طنيناً<sup>(٤)</sup> وهو أحد المحسنين المبرزين الرواة للفناء المحكي الصنعة . كان إسحاق يقدّمه ويؤثره ويشدو بذكره ويمهر بتفضيله . قال أبو الفرج : وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول عليها . قال : وكان مع جودة غناؤه وحسن صناعته أحد الضراب الموصوفين

(١) يقال أحذى الرجل إذا أعطاه مما أصاب من حيلة أو جائزة .

(٢) في الأصل «خطب» ، والتصويب عن الأغاني ج ٦ ص ١٩ .

(٣) الزيادة عن الأغاني ج ٦ ص ١٩

(٤) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٥ «ظنين» بالطاء .

(٥) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٥ «يشيد» .

المتقنين . قال علي بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي - وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي - : يا أبا أحمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكا كم كان يساوي ؟ قال : أخبرك عن ذلك ، أنصرفت ليلة من دار الواثق فأجرت بدار الحسن ابن وهب فدخلت إليه فإذا أحمد عنده ، فلما قاموا لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار ؛ قال : ثم رجع فتني صوتا فقال لي الحسن : كم يساوي أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوي ثلاثين ألف دينار ، ثم فتني صوتا آخر فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها ، ثم أردت الأنصراف فقلت لأحمد : غني

لولا الحياء وأن السير من خلتي <sup>(١)</sup> \* إذا قدمت إليك الدهر لم أقيم

أليس عندك شكر لتي جعلت <sup>(٢)</sup> \* ما أبيض من قدامات الرأس كاللحم

فغناه فأحسن فيه كل الإحسان ؛ فلما قمت للأنصراف قلت : يا أبا علي ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذي أسممكنا تقولانه ولست أدري ما معناه ؟ فقال : نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألت إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما : من يقي من المفتين ؟ قلت : وجه القرعة محمد ابن عيسى فقال : صالح كيتس ؛ ومن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي ، قال : ١٥  
بخ بخ !! ذاك المحسن الجميل الضارب المفتي ، القائم مجلسه لا يجوز أهل المجلس الى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

(١) هذا في الأغاني ج ١٥ ص ٦٦ وفي الأمل « السير » .

(٢) في الأغاني ج ١٥ ص ٦٦ « سكر » وهو تعريف .

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بنى أمية

يُكْنَى أبا العباس؛ وكان موسى الهادي يُسميه أبا الفريض . قال أبو الفرج :

وهو حسن الصنعة غزيرها؛ وفيه يقول الشاعر

يا وحشتي بعنك يا هاشم \* غبت فشجوى بك لي لازم<sup>(١)</sup>

اللهو واللذة يا هاشم \* ما لم تكن حاضره ماتم<sup>(٢)</sup>

وقال الأصمهاني بسند رفعه الى هاشم : أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده

جماعة فقال : يا هاشم ، غني

\* أتهارُ قد هيجت لي أوجاعاً \*

فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضية؛ قال : فغنيته وهو

أتهارُ قد هيجت لي أوجاعاً \* وتركيني عبدا لكم مطوعاً

بمحدثك الحسين الذي لو كُنت \* وحش القلاة به لحن سراعاً

وإذا مررت على البهار متضداً \* في السوق هيج لي إليك زراعاً

واقه لو علم البهار بأنها \* أضحت سميت لصار ذراعاً

فقال : أصبت وأحسنت ، سل حاجتك ، قلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن يُملأ

هذا الكانونُ دراهم — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فملئ فوسع ثلاثين

ألف درهم فلما حصلتها قال لي : يا ناقص المهمة ، والله لو سألت أن أملاء لك دنائير

لفعلت ، قلت : ألقني يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل الى ذلك ولم يُسعِدك

الجَد به . وقد رويت هذه الحكاية في موضع آخر ، وذكر أن الذي غناه غير هذا

الشعر ، وأن الكانون وسع ست مِدر فدفعها اليه .

(١) في الأعان ح ١٤ ص ٤٤ «دائم» .

(٢) أصلها «ماتم» وسببت المهمة لضرورة لأنها ألف التأسيس .



## ذكر أخبار يزيد حوراء<sup>(١)</sup>

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛  
ويكنى أبا خالد ؛ مُعَنَّ مُحَسَّن كثير الصنعة من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلي ؛  
وكان ممن قدم على المهدي في خلافة فتناء ؛ وكان حسن الصوت حُلُو الشماثل ،

- فحسده إبراهيم الموصلي على شمائله وإشاراته في الفناء فاشتري عتة جوار وشاركه [فيه] <sup>(٢)</sup>  
وقال له : علمته ، فما رزق الله تعالى من ربح فيه فهو بيننا ، وأمره أن يجعل  
وكده <sup>(٣)</sup> أخذ إشاراته ففعل ذلك ، فكان إبراهيم يأخذها عنهم هو وأبنته ويأمرهم  
بتعليم كل من يعرفه ذلك حتى شهرها في الناس فأبطل عليه ما كان متفردا به من ذلك .

- قال عبدالله بن العباس الربيعي : كان يزيد بن حوراء نظيفا ظريفا حسن الوجه شكلا ،  
لم يقدم علينا من الحجاز أنظف منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة  
لا تراها في أحد منهم إلا رأيته فيه ؛ وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع ،  
فكان إبراهيم يرفع منه ويُسِّع ذكره بالجيسل ويُنِّبُه على مواضع تقدمه [واحسانه] <sup>(٤)</sup>  
وبيعث بابنته إسماعيل [إليه] يأخذ عنه . وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد بن حوراء  
قال : كتبت أبو العاتية في أن أكل المهدي في عتة ، فقلت : إن الكلام لا يمكنني

ولكن قل شعرا أضنيه به ؛ فقال

١٥

نفسى بشئ من الدنيا معلقة \* الله والقائم المهدي يكفيها

إني لأياس منها ثم يطمئني \* فيها أحتمل لك الدنيا وما فيها

(١) هكذا بالأصل وفي الأغاني ج ٣ ص ٧٣ بغير زيادة «ان» وسيأتى في بعض مواضع من هذا

الفصل «يزيد بن حوراء» وفي بعضها «يريد حوراء» .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٣ ص ٧٤

(٣) الوكدة : المم والقصد .

٢٠

قال : ففعلتُ فيه لحنا وغنيتهُ ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال :  
 ننظر فيما سأل ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، ثم مضى شهر بقاء في فقال : هل حدث  
 خبر ؟ قلت : لا ، قال : فاذ كرني للمهدى ، فقلت : إن أحببت ذلك فقل شعرا  
 تحركه به وتذكره وعده حتى أغنيه به ؛ فقال

ليت شعري • اعندكم ليت شعري • فقد أخرج الجواب لأمر

ما جواب أولى بكل جميل \* من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد : فغنيت المهدى فقال : عليّ بعتبة ، فأحضرت فقال : إن أبا العتاهية  
 كلمني فيك فما تقولين ؟ ولك عندي وله ما تحبان مما <sup>(١)</sup> [ لا ] تبلفه أمانيكما ؛ فقالت :  
 قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حق مولاتي وأريد أن أذكر هذا لها  
 قال : فافعل ، قال : فأعلمت أبا العتاهية ، ومضت أيام فسألني معاودة المهدى  
 قلت : قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنيه به ؛ فقال

أشربت قلبي من رجائك ماله \* عقق يحب إليك بي ورسيم

وأملت نحو مما جودك ناظري \* أرعى محاييل برقهأ وأشيم <sup>(٢)</sup>

ولقد تنسمت الرياح لحاجتي \* فإذا لها من راحتك نسيم

ولربما استياست ثم أقول لا \* إن الذي وعد النجاح كريم

قال يزيد : فغنيت الشعر فقال : عليّ بعتبة ، فجاءت ، فقال : ما صنعت ؟ فقالت :  
 ذكرت ذلك لمولاتي فكرهته وأبت أن تفعل ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ؛ قال :  
 ما كنت لأفعل شيئا تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٣ ص ٧٤

(٢) كذا في الاغانى ج ٣ ص ٧٥ وفي الأصل « قريها » .

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ \* وَأَرْحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرَحُّالٍ  
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي \* وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَمْتَلِجْنَ بِبَالِي  
وَلَنْ طَمَعْتُ رَبِّ بَرَقَةٍ خُلَيْبٍ \* مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمَعَةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضا هذه الحكاية وأختصرها ولم يذكر الأبيات التي منها

\* أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالِهِ \*

إلا أنه غير قوله : أَشْرَبْتُ قَلْبِي بقوله : أَعْلَمْتُ نَفْسِي من رجائك ؛ وقال : فصنع فيه يزيد لحنا وغناه المهدى ، فدعا بابي العتاهية وقال له : أَمَا عُنْبَةٌ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهَا لَأَنْ مَوْلَاتَهَا قَدْ مَنَعَتْ مِنْهَا وَلَكِنْ هَذِهِ نَحْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَاشْتَرِ بَعْضَهَا خَيْرًا مِنْ عُنْبَةٍ ، فَخَمِلْتُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .

- ١٠ وحكى عن حماد بن إسحاق قال ، قال يزيد حوراء : كُنْتُ أَجْلِسُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَبْوَابِ قَرِيشٍ وَكَانَتْ تَتَرَبَّى جَارِيَةً تُخْتَلَفُ إِلَى الزُّرُقَاءِ لَتَتَعَلَّمَ مِنْهَا الْغَنَاءَ ؛ فَقُلْتُ لَهَا يَوْمًا : أَفْهَمِي قَوْلِي وَرُدِّي جَوَابِي وَكُونِي عِنْدَ ظَنِّي ؛ فَقَالَتْ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ ، فَقُلْتُ : يَا أَلَهَ مَا أَسْمِكُ ؟ فَقَالَتْ : مُنَمَّعَةٌ ، فَأَطْرَقْتُ طَبْرَةً مِنْ أَسْمَافِهَا مَعَ طَمَعِي فِيهَا ثُمَّ قُلْتُ : بَلْ بَاذِلَةٌ وَمَبْذُولَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَاسْمِي مَتَّى ؛ فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْسُمُ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَقُلْ ، فَقُلْتُ

لِيَهْنِكَ مَتَّى أَنِّي لَسْتُ مُفْشِيًا \* هَوَاكِ إِلَى خَيْرِي وَلَوْ مِتُّ مِنْ كَرْبِي  
وَلَا مَانِحًا خَلْقًا سِوَاكِ حَبَّةَ \* وَلَا قَاتِلًا مَا عِشْتُ مِنْ حِكْمِ حَسْبِي

فَنظَرْتُ إِلَى طَوِيلَا ثُمَّ قَالَتْ : أَسْأَلُكَ اللَّهُ ، أَعَنْ فَرَطُ حَبَّةٍ أَمْ أَهْتِاجُ غُلْمَةٍ  
[تَكَلَّمْتُ] ؟ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا عَنْ فَرَطِ حَبَّةٍ ؛ فَقَالَتْ

(١) فِي الْأَغَانِي ج ٣ ص ٧٣ « أَشْرَبْتُ نَفْسِي » ، وَفِي ص ٧٥ « أَشْرَبْتُ قَلْبِي » .

(٢) الزِّيَادَةُ فِي الْأَغَانِي ج ٣ ص ٧٥ . (٣) فِي الْأَغَانِي ج ٣ ص ٧٥ « وَلَكِنْ » .

فوافقه ربّ الناس لا ختكَ الهوى \* ولا زلتَ غصوصَ المحبة من قلبي

(١١)

فتقّ بي قلبي قد وثقتُ ولا تكن \* على غير ما أظهرتَ لي يا أخا الحبّ

قال : فوافقه لكأنما أضرت في قلبي نارا، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدثني فاتفّجّ بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، وكانت تكافيني وتلاطفني دهرًا طويلًا .

### ذكر أخبار فليح بن [أبي] العوراء<sup>(١)</sup>

هو رجل من أهل مكة مولى لبني مخزوم وهو أحد معيّ الدولة العباسية ؛ له عمل كبير من صناعته ؛ وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة صوت للرشد التي بنى أبو الفرج الأصفهاني كتابه المترجم بالأغاني عليها . قال إسماعيل بن إبراهيم الموصلي : ما سمعت أحسن من غناء فليح وأبن جامع ، وكان المهدي لا يقبضه مغن إلا من وراء الستارة إلا فليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه وبين المهدي . وهو أول مغن نظر وجهه المهدي .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي قال : كتب إلى جعفر بن يحيى - وأنا عامل الرشيد على [جند]<sup>(٢)</sup> دمشق - : قد قدم علينا فليح بن [أبي] العوراء فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله وأنا محال لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا ، فلم ألبث أن ورد على فليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ، فورد على منه رجل أذكرني لقاءه الناس وأخبرني أنه قد ناهز

(١) كذا في الأغاني ج ٤ ص ٩٨ ، وفي الأصل « فليح بن العوراء » .

(٢) الزيادة عن الأغاني ج ٤ ص ١٠١

المائة، فأقام عندي ثلاث سنين، وأخذ جوارى عنه كل ما كان معه من الغناء،  
وأنشرب بعض غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكي عن فليح بن [أبي] العوراء قال :  
كان بالمدينة قتي يشق أبنة عم له فوعده أنها تزوره، وشكا إلى أنها تأتيه ولا شيء  
عنده، فأعطيته ديناراً للشفقة، فلما زارته قالت له : من يلهيها؟ قال : صديق لي،  
ووصفني لها ودعاني، تأتيته وكان أول ما غنيت

مِنَ الْخَفِيرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا \* ولم ترفع لوالدها شئاً

فقامت إلى ثوبها فليسته لتصرف، فتعلق بها وجهد كل الجهد في أن تُحِمَّ  
فلم تفعل وأنصرفت، فأقبل يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت، فقلت : والله ما هو  
شيء أعتمدتُ به مَسَاءَتِكَ ولكنه شيء أُنْفِقُ، قال : فلم تبرح حتى عاد رسولها ومعه  
صُرة فيها ألف دينار فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك أبنة عمك هذا مهرى فادفعه  
إلى أبي وأخطبني، ففعل وتروجها .

### ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون، وأصله من فارس، وولد في سنة خمس وعشرين  
ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة . قالوا : ومات ماهان  
وترك إبراهيم صغيراً فكفله آل نُزَيْمَةَ بن خازم، فكان ولاؤه لبني تميم، وكان السبب  
في نسبة إلى الموصلي أنه لما كبر واشتد وأدرك صحب الفتیان واشتهى الغناء وطلبه،  
فاشته أخواله بنو عبد الله بن دارم عليه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى  
الموصل فأقام بها سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتیان : مرحباً

بالفتى الموصلى، فغلب عليه ثم أرتحل الى الرى<sup>(١)</sup> فى طلب الغناء، فطال مقامه هناك،  
وأخذ الغناء القارىنى والعربى . قال إسحاق : حدثنى أبى قال : أول شيء أُعطيته  
بالغناء أنى كنت بالرى أُنَادِمُ أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية  
مال كان معى، فز بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور الى بعض عمّاله برسالة، فسمعنى  
عند رجل من أهل الرى فثَقِفَ بى وخلع على<sup>(٢)</sup> دَوَاجٍ سَمَّوْهُ قِيَمَةً، ومضى بالرسالة  
فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة، فبغاني الى منزلى الذى  
كنت أسكنه، فأقام عندى ثلاثة أيام ووهب لى نصف الكسوة [التي معى] وألغى<sup>(٣)</sup>  
درهم، وكان ذلك أول مال كسبته من الغناء فقلت : والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على  
الصناعة التى أَدَاتِنِيهَا، ووَصَفَ لى رجلاً بالأبلَّة أسمه : "جوانويه" وكان حاذقاً،  
فخرجتُ إليه وصحبتُ فتيانها وأخذت عنهم وغنيتهم فثَخِفُوا بى . قال ابراهيم : ولما  
أتيت "جوانويه" لم أصادفه فى منزله فأقمت حتى جاء، فلما رآنى أحترمنى وكان  
مجوسياً فأخبرته بصاعتي والحال التى قصدته فيها، فرحب بى وأفرد لى جَنَاحاً  
فى داره ووكل بى جارية، فقَدَمْتُ لى ما أحتاج إليه، فلما كان العشاء عاد الى منزله<sup>(٤)</sup>  
ومعه جماعة من الفرس ممن يُغْنَى، فتركتُ إليه بغاسنا وأخذوا فى شأنهم وضربوا  
وغنّوا، فلم أجد فى غناء أحد منهم فائدة، وبلغت النوبة الى فضربتُ وغنيتُ،  
فقاموا جميعاً الى قبلوا رأسى وقالوا : سَخِرْتَ بنا، نحن الى تليملك إيانا أحوجُ منك  
إلينا، فأقمتُ على تلك الحال أياماً حتى بلغ سليمان<sup>(٥)</sup> بن على خبرى، فوجه الى

(١) فى الأغانى ج ٥ ص ٣ «طبق به» .

(٢) ضرب من الثياب . والسمور دابة معروفة تُسَوَّى من جلودها فراءً عالية الأثمان .

(٣) الزيادة عن الأغانى ج ٥ ص ٤

(٤) فى الأغانى ج ٥ ص ٤ «أعته» .

(٥) كذا بالأصل وفى الاغانى ج ٥ ص ٤ «محمد بن سليمان بن على» .

فاحضرني وأمرني بملازمته، فقلت: أيها الأمير، لست أتكسب بهذه الصبغة وإنما ألتد بالبقاء فلذلك تعلمته وأريد العود إلى الكوفة، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألني: من أين أنا؟ فانتسبت إلى الموصل، فلزمتني وعرفت بها، ولم أزل عنده مكروماً حتى قدم عليه خادم المهدى، فلما رأى عنده قال له: أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك، فدافعه عني، فلما قدم الخادم على المهدى سأله عما رأى في طريقه ومقصده، فأخبره بما رأى حتى انتهى إلى ذكرى فوصفني له، فأمره المهدى بالرجوع وإتصاصي إليه، فجاء وأتخصمني إلى المهدى وحظيت عنده وقتبني. قال: وما سمع المهدى قبلي أحداً من المغنين سوى فليح بن [أبي] العوراء وسيباط، فإن الفضل بن الربيع وصفهما له. قال: وكان المهدى لا يشرب فأرادني على ملازمته وترك الشرب، فأبى عليه وكنت أغيب عنه الأيام فلذا جئته جئتاً منسياً ففاظله ذلك مني وضربني وحبسني، فخذت القراءة والكتابة في الحبس ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصنعة للذوق عشرة إخواني ولو أسكنني تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى، فنضب غضباً شديداً وقال: لا تدخل على موسى وهارون، فوافقه أن دخلت عليهما لأفعلن وأصنعن، فقلت: نعم، ثم بلغه أني دخلت عليهما وشربت معهما وكنا مشربين بالنبذ، فضربني ثلثمائة سوط وستين سوطاً، فقلت له وأنا أضرب: إن جرعتي ليس من الأجرام التي يحل بها سفك دمي، ووافقه لو كان سرّ أبنيك تحت قدمي مارفتها عنده ولو قُطعتاً، ولو فعلت ذلك كنت في حالة أباي العبد الساعي، فلما قلت ذلك ضربني بالسيف في جفنه فشجني، فسقطت مغشياً عليّ وقال لعبد الله بن مالك: خذه

(١١٦)

١٠

١٥

٢٠

(١) في الأصل «صلت» والصواب عن الأعانح ٥ ص ٤

(٢) في الأعانح ج ٥ ص ٥ «ستترين»

(٣) هو البند الذي سعى به وموسى وهارون إلى المهدى وحذته بما كانوا فيه

إليك وأجعلهُ في مثل القبر ، فدعا عبْدُ الله بكبش فذبحه وسلخه وألبسني جلده  
 ليسكن الضربُ عني ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَمِيد التُّركي ، فجعلني  
 في قبر ووكل بي جارية ، فتأذيت بِتُرْكان في القبر وبيق ، فقلت للجارية : أصلحي لي  
 بحِجْرَة وكُنْدُرًا ليذهب عني هذا البق ، ففعلت ، فلما دَخَنْتُ أظلم القبر وكادت نفسي  
 تذهب ثم خَفَ ذلك وزال البق وإذا حَيَتَانِ مَقِيلَتَانِ نحوى من شَقِّ في القبر  
 تدوران حولي ، فهممت أن آخذ واحدة يدي اليمنى والأخرى يدي اليسرى ، فإِذَا  
 علي وإِذَا لي ، ثم كُفِيْتُهُمَا ، فدَخَلْنَا في الثقب الذي خرجنا منه ، فكثت في ذلك القبر  
 ما شاء الله ، ثم أُخْرِجْتُ منه وأُحْفِنِي المهدى بالطلاق والعناق وكلَّ يمين لا فسحة لي  
 فيها إلَّا أدخل على آبنه موسى وهارون أبدا ولا أُغْنِيهما وخلق سبيل . قال إبراهيم :  
 وقلت وأنا في الحبس

ألا طال لي أراعي النجوم \* أطال في الساقِ بَجَلًا قميلا  
 بدار المهوان وشر الديار \* أسأمتُ بها الخسفَ صبرا جميلا  
 كثير الإخلاء عند الرخاء \* فلما حُبِسْتُ أراهم قليلا  
 لطول بلائي مَلَّ الصديق \* فلا يَأْمَنْتُ خليلٌ خليلا

قال : فلما ولي موسى المهادى الخلافة أَسْتَدَّ إبراهيمُ منه ولم يظهر له بسبب  
 الأيمان التي حلف بها للمهدى ، فلم يزل يطلبه حتى أُبِيَّ به فلما عاينه قال : ياسيدي  
 [فارقت] أم ولدي أعز الخلق عليّ ، ثم غناه

يأبى خير المملوك لا تتركني \* غرضا للعُدُوِّ يرى جبالِي  
 فلقد في هواك فارقتُ أهل \* ثم عَرَضْتُ مهجتي للزوال  
 ولقد غفْتُ في هواك حياتي \* وتقربت بين أهلي ومالي



قال إسحاق بن إبراهيم : فتوله الهادى وخوله ، وبحسبك أنه أخذ منه مائة ألف وخمسين ألف دينار في يوم واحد ، ولو عاش لنا لبينا حيطانَ دورنا بالذهب والفضة .

- قال حماد بن إسحاق : قال لى أبى : والله ما رأيت أكل مروءة من جتلك ، كان له طعام يُعدُّ أبداً في كل وقت ، فقلت لأبى : كيف كان يمكنه ذلك ؟ قال : كان له في كل يوم ثلاثُ شياهُ : واحدة مقطعة في القدور ، وأخرى مسلوخة معلقة ، وأخرى قائمة في المطبخ ، فإذا أتاه قوم طعموا مما في القدور ، فإذا فرغت القدورُ قُطعت الشاةُ المعلقةُ ووضعت في القدور وذبحت القائمة وأتى بأخرى فأقيمت في المطبخ ؛ وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى وسوى كسوته . ولقد كان مرةً عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ما فيهن واحدة إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخص جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدة الى هولاها وصلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعمائة دينار قُضيت منها .

- وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال : اشترى الرشيد من أبى جاريةً بستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل الى الفضل بن الربيع وقال له : إنا أشرينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صُفَةٍ وليست كما ظننا وما قَرَبُها وقد قُتل على الثمن وبينك وبينه ما بينكما فأذهب اليه فسله أن يُحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار ؛ قال : فاتاه الفضل فخرج اليه وتلقاه فقال له : دعنى من هذه الكرامة التى لا مَسونة فيها ، قد جتلك في أمر ثم أخبره الخبر ، فقال له إبراهيم : إنما أريد أن يلو قدرك عندى قال : هو ذلك ، قال : فمالى في المساكين صدقةٌ إن لم أُضِعْفه لك ، قد حططتك أننى عشر ألف دينار ، فرجع الفضل اليه بالخبر فقال : ويحك !

أحمل إليه المالَ بجلته ، فما رأيتُ سُوقَةً أُمثلُ منه نفساً ! . قال إسمحاق : وكنت قد  
أُتيتُ أبي قُلتُ : ما كان لحطيطه هذا المالَ معنى ولا هو قليلٌ يُتغافلُ عنه ، قال لي :  
يا أحمقُ أنا أعرفُ الناسَ به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلًا ما أخذته إلا وهو  
كارهٌ ولَحَقَدَ ذلك ، وكنتُ أكونُ عنده صغيرَ القدر ، وقد مننتُ عليه وعلى الفضل  
وَأَتَبَسْتُ نَفْسُهُ وَعَظُمَ قَدْرِي عنده ، وإنما أَشْتَرَيْتُ الجاريةَ بأربعين ألفَ درهم  
وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألفَ دينار ، فلما حَمِلَ إليه المالَ بكاله دعاني  
وقال : كيف رأيتُ يا إسمحاق ، مَنِ البصيرُ أنا أم أنتُ ؟ قُلتُ : أنتَ ، جعلني الله  
فدائك . قال : وإبراهيمُ أَوَّلُ من علَّمَ الجوارى المِثْمَنَاتِ الفَنَاءَ ، فإنه بلغَ بالقبانِ كل  
مبلغٍ ورفعَ من أَقدارهنَّ .

(١٣٣)

ومن أخبره مع الرشيد ما رَوَى عن إسمحاق قال : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : إن الرشيدَ  
غَضِبَ عَلَيَّ فَقِيدَنِي وَحَبَسَنِي بِالرَّقَّةِ وَجَلَسَ للشربِ يوماً في مجلسٍ قد زينه وحسنه ،  
فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلستنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غيبةُ إبراهيمِ الموصليِّ عنه ،  
فأمره بإحضاري فَأَحْضَرْتُ في قيودي فُكِّتَ عَنِّي يَدَاهُ ، وأمرهم فتناولوني  
عوداً ، ثم قال : غنَّ يا إبراهيم ، فغنَّيته

نَضَوَعٌ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ . به زَيْنَبُ في نَسْوَةِ عَطِرَاتِ (١٣)

فاستعاده وشرب وطرب وقال : هَكَاتِي وَسَاهَتِيكَ بالصَّلَةِ ، وقد وهبتُ لك  
الحنى والمرى ، فانصرفتُ ؛ فلما أَصْبَحْتُ عَوَّضْتُ منهما مائتي ألفَ درهم .

(١) في الأُخَانِ ج ٥ ص ٧ «أبيل» . (٢) في الأُخْل «أر» .

(٣) في الأُخَانِ ج ٥ ص ٧ «خمرات» .

(٤) الحنى والمرى : بهرام بلزا ، الرقة والزامة حرمة : هشام بن عبد الملك وأحدثَ فيها واسط الرقة

أطرا يافوت طبع أوروبا ج ٤ ص ٩٩٤

قال إبراهيم : دخلت على موسى الهادى فقال لى : يا إبراهيم ، غنّ من الغناء ما ألدّ وأطربُ عليه ولك حكاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن لم يقابلنى زحلُّ يبرده رجوتُ ذلك ، فغنيته

وإنى تَعَرُونِى لِذِكْرِكَ هِزَّةٌ \* كَمَا آتَفَضُ الْمُصْفُورُ بِلَهِّ الْقَطْرِ

فضرب بيده إلى جيب ذراعته فخطه ذراعاً ، ثم قال : أحسنت والله ! زدنى فغنيته  
فياجِبْها زِدْنى جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ \* وَيا سَأْلَوةَ الأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرِ

فضرب بيده الى ذراعته فخطها ذراعاً آخر وقال : زدنى ويلك ! أحسنت والله  
ووجب حكاك ، فغنيته

هَجْرَتِكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الْهَوَى \* وَزَرْتِكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ

١٠ فرفع صوته وقال : أحسنت والله أبوك ! هات ما تريد ، فقلت : يا سيدى  
عين مروان بالمدينة ، فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما الجمرتان وقال :  
يا بن الخناء أردت أن تُشَهِّرَنى بهذا المجلس فيقول الناس أطربه لحكم عليه فتجعلنى  
سَمَرًا وحديثاً ! يا إبراهيم الحدائق ، خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت مال الخليفة فإن

(١) كذا رويت فى شرح حراة الأدب ج ١ ص ٥٥٢ والمقاصد النحوية شرح شواهد الألفية

١٥ التى بهامش شرح خزاة الأدب ج ٣ ص ٦٧ وفى الأصول «قرة» وروى «قرة» وهى رواية واليت  
ذكرها البهادرى فى شرح الخزانة ج ١ ص ٥٥٣ وسبها الى أنى على التالى فى أماليه وبين وجه صحتها  
ولكن الوارد فى الأمالى ج ١ ص ١٥٠ طبع بولاق «هزة» .

(٢) الذراعاة جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف .

(٣) جاء هذا البيت فى أمالى التالى ج ١ ص ١٥٠ هكذا

٢٠ هجرتك حتى قلت لا يعرف التلى \* وزرتك حتى قلت ليس له صبر  
وكذا طبع المصحح بهامش الأمالى هكذا : المشهور «وصلتك» بدل «هجرتك» .

(٤) هكذا فى إحدى النسخ وفى أخرى «الحدائق» بالخاء المهملة وفى الأمان ج ٥ ص ١٦

«الخزانة» .

أخذ كل ما فيه نغله وإياه؛ فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار . وهذا الشعر  
لأبي صخر الهذلي وأوله

عجبتُ لسمى الدهر بنى وبينها \* فلما آتقضى ما بيننا سكن الدهرُ  
فياحبها زدني جوى كل ليلة \* ويا سلوة الأيام موعيدك الحشرُ  
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى \* وزدت على ما ليس يملئه الهجرُ<sup>(١)</sup>  
وإني اتعروني لذكرائك هزرة \* كما آتتفض العصفور بلله القطرُ  
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى \* وزرتك حتى قيل ليس له صبرُ  
أما والذي أبكى وأضحك والذي \* أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ  
قد تركتني أحسدُ الوحش أن أرى \* ألفين منها لا يرؤعهما الدهرُ

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى :  
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة سنورد منها طرفا . منها ما حكى  
عن غمار قال : أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا  
انه يستغل فيها مع الحرم ، فضى الجلساء أجمعون الى منازلهم وقد أصبحت السماء  
مُنِيْمَةً تَطش طشيشا خفيفا فقلت : والله لأذهبن الى أستاذي إبراهيم فأعرف  
خبره ثم أعود ، وأمرت من عدى أن يسؤوا لنا مجلسا الى وقت رجوعي ، فحفت  
الى إبراهيم ، فدخلت إليه فإذا هو جالس في رواف له والستارة منصوبة والجواري  
خلفها ، فدخلت أترتم بعض الأصواب وقلت له : ما بال الستارة لست أسمع من  
ورائها صوتا ؟ فقال : أقعد ويحك ! إني أصبحت بجاء في حبر ضبيعة فجأورني

(١) ورد هذا الشعر هكذا في الأمانح ص ١٦ وأمال القال ج ١ ص ١٥٠ ، وفي الاصل

\* وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر \*

قد والله طلبتها زمانا وتمنيتها ولم أملكها وقد أعطى بها مائة ألف درهم، فقلت له : ما يمتك منها؟ فوالله لقد أعطاك الله أضاعف هذا المال وأكثر، قال : صدقت ولكن لست أطيب نفسا بأن أخرج هذا المال، فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم؟ قال : والله ما أطعم في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه ! ثم قال : اجلس خذ هذا الصوت، ثم قرّ بقضيب على الدواة وأنى على هذا الصوت .

نام الخليلون من همي ومن سقيي \* وبث من كثرة الأحران لم أنم

يا طالب الجود والمعروف مجتهدا \* إعمد ليحي حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكته ، ثم قال لي : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد قُحّ ولم يجلس بعد ، فاستأنذ عليه قبل أن يصل اليه أحد فإنه ينكر بجيتك ويقول : من أين أقبلت في هذا الوقت؟ فخذته بقصدك إياي وما ألقيتُ اليك من خبر الضيعة وأعلمه أني قد صنعت هذا الصوت وأعجبني ولم أر أحدا يستحقه إلا جاريته فلانة وأنى ألقيته عليك [حتى أحكته] لطرحة عليها ، فسيدعوها ويأمر بالسّارة فتُنصب ، ويوضع لها كرسي ويقول لك : أطرحه عليها بحضرتي ، فأفعل وأتني بما يكون بعد ذلك من الخبر . قال مخارق :

لجئت الى باب يحيى بن خالد فوجدته كما وصف ، وسألني فأعلمته بما أمرني به ، ففعل كل شيء قاله لي إبراهيم وأحضر الجارية فألقيته عليها ، ثم قال لي : هيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف؟ فقلت : بل أنصرف ، أطل الله بقاءك ، فقد علمت ما أذن لنا فيه ، فقال : يا غلام ، أحمل مع أبي المهنا عشرة آلاف درهم وأحمل الى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثم هذه الضيعة ، فحملت عشرة الآلاف معي ، وأتيْتُ منزلي وقلت : أُسرَّ

(١٣٤)

يومي هذا وأسرَّ من عندي . ومضى الرسول بالمال الى ابراهيم ، فدخلتُ منزلي  
وشرتُ على مَنْ عندي دراهم من تلك البَدْرَةِ وتوسَّدْتُها وأكلتُ وشربتُ وطربتُ  
وسُرَّرتُ يومي كله ، فلما أصبحت قلت : والله لأتيَنَّ أسْتَاذِي ولأعرفنَّ خبره ،  
فأتيته فوجدته كهَيْئته بالأمس على مثل ما كان عليه ، فترنَّمتُ وطربتُ فلم يأتلق ذلك  
بما يجب ، فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال بالأمس ؟ فقال : بلى ، فما كان خبرك  
أمس ؟ فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ قال : أرفع السِّجْفَ فرفعته فإذا عشرة  
بدر ، فقلت : فأى شيء بقى عليك في أمر الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله  
إلا أن دخلتُ منزلي حتى نَجَحْتُ عليها وصارت مثل ما حوتُ قديما ، فقلت :  
سبحان الله ! فتنصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقَى عليك صوتا صنعته يفوق ذاك ، فقمعت  
بجلست بين يديه ، فالتقى عليّ

٥

١٠

ويفرَحُ بالمولود من آل بريك \* بغاة الندى ، والسيِّف والرمح والتَّصْلُ  
وتبسيط الآمال فيه لفضله \* ولا سيما إن كان والده الفضل

قال غارق : فلما ألقى على الصوت سمعتُ مالم أسمع مثله قطَّ وصَغُرَ في عيني  
الأوَّل ، فأحكته ثم قال : آمض الساعة إلى الفضل بن يحيى فإنك تجدته لم يَأْذَن  
لأحد مدُّ وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فاستأذِن عليه وحدثه بحدِيثنا وما كان  
من أبيه إلينا وأعلمه أني سمعتُ هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلة من الصوت  
الأوَّل الذي صنعته بالأمس ، وأنى ألقيته عليك حتى أحكته ووجهتُ بك قاصدا  
تُلقِيَه على فلانة جارِيَه ، فصرْتُ إلى باب الفصل فوجدتُ الأمر على ما ذكره ،  
فاستأذنتُ فوصلتُ إليه ، وسألني عن الخبر ، فأعلمته بخبري وما وصل إلى وإليه من  
المال ، فقال : أنرى الله ابراهيم ، ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :  
اضرب الستارة ، فضربها ، فقال لي : ألقِه ، فلما ألقيته وغتته الجارية لم أُنِمَّ حتى

١٥

٢٠

أقبل يمز مطرفه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال : أحسن والله استأذك  
وأحسن أنت يا غارق ، ولم أبرح حتى أحكته الحارية فُسرت بذلك سرورا عظيما  
وقال : أقيم عندي اليوم ، قلت : يا سيدي إنما بقي لنا يوم واحد ولولا أنني أحب  
سرورك لم أخرج من منزلي ، فقال : يا غلام ، أحمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم  
وإلى أبي إصحاق مائتي ألف درهم ، فانصرفْتُ إلى منزلي بالمال ، وقضتُ بَدْرَةَ  
وثرث منها على الجوارى وشربت وسُررتُ أنا ومن عندي يومنا ، فلما أصبحت  
بَكَرتُ إلى إبراهيم أتعرف خبره وأُعرِّفه خبري فوجدته على الحال التي كانت عليها  
أولاً وآخراً ، فدخلتُ أترنم وأُصَفِّقُ فقال لي : ادن ، قلت : ما بقي عليك ؟ فقال :  
أجلس وأرفع صَحنَ هذا الباب فرفته فإذا عشرون بَدْرَةَ مع تلك العشرة ، قلت :  
ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو إلا أن حصلتُ حتى جرت مجرى ما تقدم ،  
قلت : والله ما أظن أحدا نال من هذه الدولة ما نلت ! فلم يجعل على نفسك بشيء  
تمنيته دهرًا وقد ملكك الله أضعافه ! ثم قال : أجلس نخذ هذا الصوت ، فالتقي  
على صوتا أنساني صوتي الأولين وهو

أفي كل يوم أنت صبب ولسلة \* إلى أم بكر لا تُفسيق تُقصِرُ  
أحب على الميجران أكلّف بنتها \* فيالك من بيت يُحبُّ ويُهجرُ  
إلى جعفر سارت بنا كل جَسْرَةٍ \* طواها سُرّاهَا نحوّه والتَهجرُ  
إلى واسع للجندين فَنأوه \* تروح عطاياه عليهم وتَبْكُرُ

وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفرا . قال غمارق : ثم قال لي إبراهيم :  
هل سمعت مثل هذا قط ؟ قلت : ما سمعت قط مثله ! فلم يزل يردده عليّ حتى  
أخذته ، ثم قال لي : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلتُ بأبيه وأخيه ، قال : فضيت  
ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت فسرّ به ودعا خادما

فأمره أن يضرب السارية وأحضر الجارية وقعد على كرسي ثم قال : هات يا غارق ، فألقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال : أحسنت يا غارق وأحسن أسنأذك ، فهل لك في المقام عندنا اليوم ؟ قلت : يا سيدي هذا آخر أيامنا وإنما جئت لموقع الصوت متى حتى ألقينه على الجارية . فقال : يا غلام ، أحمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل ثلثة ألف درهم ، فصرت إلى منزلي بالمال وأقلت ومن عندى مسرورين نشرب طول يومنا ونطرب ثم بكرت إلى إبراهيم فلقاني قائما ثم قال لى : أحسنت يا غارق ! قلت : ما الخبر ؟ قال : أجلس ، فجلسنا وقال لمن خلف السارية : خذوا فيما أتم عليه ثم رفع السجف فإذا المال ، قلت : ما خبر الضيعة ؟ فأدخل يده تحت مسورة وهو متكئ عليها فقال : هذا صك الضيعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلى : قد علمت أنك لا تسخو فسك بشراء هذه الضيعة من مال يحصل لك ولو حوت الدنيا كلها ، وقد آتيتها من مالى ، ووجه إلى بصكها وهذا المال كما ترى ، ثم بكى وقال : يا غارق ، إذا عاشرت معاشر مثل هؤلاء ، وإذا احتكرت فاحتكر لمثل هؤلاء ، ستائة ألف ، وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه ، متى يدرك مثل هؤلاء .

وروى عنه قال : أتيت الفضل بن يحيى يوما فقلت له : يا أبا العباس ، جعلت فداك هب لى دراهم فإن الخليفة قد حبس بره ، فقال : ويمك يا أبا اسحاق ما عندى ما أرضاه لك ، ثم قال : هاه ! إلا أن هاهنا خصلة ، أنا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه ، ووجه [الينا] بـ (٢) بخسين ألف دينار يشتري لنا بها عبقنا ، فقلت ضياء جاريتك ؟ قلت : عندى جعلت فداك ، قال : فهوذا ، أقول لهم يشترونها

(١) المسورة المسورة مكان من آدم . (٢) الزيادة عن الأغني ج ٥ ص ٢١

(٣) هكذا بالأغني ج ٥ ص ٢١ روى الأصل « حتى يشترونها » بذكر حتى .



- منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه ثم أنصرفت، فبكر على رسول صاحب اليمن ومعه صديق له ولي فقال: جاريتك فلانة [عندك]؟ قلت: عندي، قال: اعرضها علي، فعرضتها عليه فقال: بكم؟ فقلت: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها دينارا واحدا، وقد أعطاني الفضل بن يحيى أمس هذه العطية، فقال: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة؟ وكان يشتري الجارية أربعمائة دينار، فلما وقع في أذني ذكر ثلاثين ألف دينار أُرِيجَ عليّ ولحقني جزع وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع وخفت والله أن يحدث بالجارية حدث أو بي أو بالفضل بن يحيى، فسلمتها وأخذت المال ثم بكرت على الفضل وإذا هو جالس وحده، فلما نظر إلى ضحك وقال لي: ياضيق المعطن والحوصلة، حرمت نفسك عشرين ألف دينار؛ فقلت له: جُعِلْتُ فداك، دع ذا عنك فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه ١٠ ويخفت أن تحدث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك أعانك الله من كل سوء، فبادرتُ بقبول الثلاثين ألف دينار؛ فقال: لاضير، يا غلامُ جي بياريته، بغى بها، فقال: خذ بيدها وأنصرف بارك الله لك فيها، ما أردنا إلا منفعتك ولم نرد الجارية، فلما نهضت قال لي: مكانك، إن رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقصينا حوائجه ونفدنا كتبه وقد ذكر أنه قد جاء بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نحب، فأعرض عليه جاريتك هذه ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار، فانصرفت بالجارية، وبكر عليّ رسول صاحب أرمينية ومعه صديق لي آخر فقالوا لي بالجارية فقلت: لن أنقصها من ثلاثين ألف دينار؛ فقال لي: معي عشرون ألف دينار مسلمة خذها بارك الله لك فيها، فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى

وخفت مثل خوفى الأول، فسألتها وأخذت المال وبكرت على الفضل فإذا هو وحده، فلما رآنى ضحك وضرب برجله ثم قال : ويحك، حومت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت : أصلحك الله، خفت والله مثل ما خفت فى المرة الأولى، فقال : لا ضير، [أنخرج<sup>(١)</sup>] يا غلام جاريتك، يغىء بها، فقال : خذها ما أردناها وما أردنا إلا منفعتك، فلما ولت الجارية صحت بها : إرجعى، فرجعت، فقلت : أشهدك جعلت فداك هى حرة لوجه الله تعالى، وإنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم، كسبت لى فى يومين خمسين ألف دينار فإجراؤها إلا هذا، فقال : وقفت إن شاء الله تعالى .

وأخبره مع البرامكة كثيرة وصلاتهم له وافرة، وقد ذكرنا منها ما فيه غنية عن زيادة، قلندكر وفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغداد فى سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات فى يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمار، فرفع ذلك إلى الرشيد، فامر المأمون أن يصلى عليهم، فخرج وصلى عليهم . قال إسحاق : لما مرض إبراهيم<sup>(٢)</sup> مرض مرضه ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعودوه وهو جالس فى الأبرن فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدى كما قال الشاعر

سقيم مل منه أقربوه \* وأسلمه المداوى والحيم

فقال الرشيد : إنا لله، فخرج فابعد حتى سمع الواعية عليه .

(١) الزيادة عن الاغانى ج ٥ ص ٢١

(٢) الأبرن ملة الأول حوض يقتل فيه وقد يؤخذ من نخاس، مبرج آب زن .

(٣) الواعية الصراخ على الميت وفيه .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصولين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .  
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ؛  
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد  
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم  
البكرى التيمي القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم .

تم الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ،  
يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الخامس  
ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

---

( مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣/٥٩ / ٢٠٠٠ )

---















